ولما إعتنق العرب الإسلام أضـافوا الى تجارتهم بضاعة ثقيلة لا وزن لها، ثمينـة بلا ثمـن ، روح بلا جسد ؛ تـجارة سامية لا يسموا عليها ؛ هـى الاســـــــــــــــــــــــــلام

١
٢
٣
٤
٥
٦
٧
٨
٩
١٠
١١
١٢
١٣
١٤
١٥
١٦
١٧
١٨

الإسلام وتجاره
(قراءة جديدة)

١٩
٢٠
٢١

الصين

محيى يوسف
سفير (سابقا)

٢٦
٢٧
٢٨
٢٩
٣٠
٣١
٣٢
٣٣
٣٤
٣٥
٣٦
٣٧
٣٨
٣٩
٤٠
٤١
٤٢
٤٣
٤٤
٤٥
٤٦
٤٧
٤٨
٤٩
٥٠
٥١

خريطة الصين
地图教学
هيلونغجيانغ
جيلين
منطقة منغوليا الداخلية ذات الحكم الذاتي
لياونينغ
بكين
تيانجين
منطقة نينغشيا ذات الحكم الذاتي لقومية هوي
قانسو
شينغهاي
شانشي
شاندونغ
منطقة التبت ذات الحكم الذاتي
شنشي
خنان
جيانغسو
شنغهاي
سيتشوان
هوبي
أنهوي
تشونغتشينغ
تشجيانغ
جيانغشي
هونان
فوجيان
قويتشو
يونّان
تايوان
هونغ كونغ
ماكاو
هاينان

بســـــــــــم الله

الصـين
الإسلام وتجاره

صعوبات البحث ومحدداته

تختلف الكتابة عن الصين عن غيرها من البلدان لغرابة المحتوى الثقافى بالنسبة لكاتب ينتمى لحوض المتوسط ، قد يكون بُعد الشقة أحد أسبابها أو إغتراب الصين الإختيارى عن العالم .

وأول ما واجهته من صعوبات ؛ كتابة الأسماء الصينية لأقرب ما يكون الى حقيقتها الصوتية ، فإختلاف نُطقها يؤدى لإختلاف كتابتها من لغة لأخرى ومن ترجمة لأخرى ومن مرجع لأخر ؛ وهو أمر قد يُضلل الباحث إن لم ينتبه الى هذه الحقيقة فيحتسب الشخصَ شخصين مختلفين ؛ ويزيد الأمر صعوبة تعدد تسميات الفرد ما بين إسم ميلاد وآخرشخصى وثالث عند الزواج وآخر عندما يصبح إمبراطورا ، و قد تستبق الإسم كنيته مرة وتستأخر أخرى .

و عهود الأباطرة (فترة الحكم) لها تسميات غير أسماء الأباطرة ؛ تُسميات لا رابط بينها وبين إسم الإمبراطور ؛ قد تكون صفة لعهده مثلما كان لسلاطين مصر الظافر والقاهر ؛ والأسماء الأجنبية عندهم تختلف عن أصل نُطقها المعروف فمصر عندهم **wu-ssi-Li** والكوفة " يا تشو- لو" والقاهرة **Kie-Ye** ، و الإسكندرية **O-Kon-to** ، والإسكندر الأكبر المقدونى **Tsu-Ko-Ni** وغيره الكثير وقد حاولت جاهدا تطويع إستيعابى للأمر ؛ بذكر المسميات الصينية للأفراد والمدن رغم ثقلها على القارئ مقترنه بأصلها فى المرجع ، حتى يتسنى للقارئ المُطلع إن عَنَّ له أمرَ الرجوع الى مصادره .

والثانى ... قلة المراجع الوافية بالإنجليزية أوالعربية التى يمكن الإطمئنان اليها والركون عليها عن موضوعنا ؛ إلا ما تركه رحالة الفرس والعرب الذين جابوا الصين فى ذلك الزمن ؛ وما توفر غيرها من ترجمات قليلة لمدونات البلاط الإمبراطورى للأحداث ، ومن مشكلات النصوص المترجمة إختزال المترجم ما إستغلق عليه فهمه من ظلال الكلمات والمعانى التى تختلف من ثقافة لأخرى ؛ الأمر الذى يضيع معه الفهم المتكامل للمحتوى والمضمون.

والثالث ... إتباع سجلات البلاط الإمبراطورى فى تأريخ الأحداث ؛ دورة خاصة بكل إمبراطور من بداية عهده الى نهايته (فترة حكم) ويبدأ تأريخ دورة جديدة مع قدوم إمبراطور

جديد ؛ ولكل دورة تسمية مختلفة عن إسم الإمبراطور.. كالقول " فى العام الثالث من فترة (تشن قوان) / عهد إمبراطور تانغ/ تاى تسونغ " ، ولم أتمكن من حل لُغزه كما أن الأصدقاء الصينيون لم يُفسروا الأمر لى .

والرابع صعوبة حصر الثورات والحروب الأهلية لكثرتها ولإختلاف المراجع بشأنها وإغفال بعض تفاصيلها ؛ فإنتقيت ما إستطعت توثيقه وما فيه الكفاية لخدمة الموضوع .

العرض التـــــــاريخى

ولما كانت أسرة تانغ الحاكمة فى الصين فى الفترة ٦١٨– ٩٠٧م ؛ هى التى إستقبلت الإسلام فى أول عهدها ؛ فقد بدأنا الكتاب من عصر هذه الأسرة وتابعنا مسيرته ، فى العصور الإمبراطورية المتعاقبة على النحو التالى :

- **سلالة تانغ ٦١٨ ــ ٩٠٧**
- **وبشكل محدود الفترة ٩٠٧-٩٦٠ الخاصة بدويلات الأسر الخمس والممالك العشر**
- **سلالة سونغ ٩٦٠ ــ ١٢٧٩**
- **سلال يوان (المغولية) ١٢٧٩ ــ ١٣٦٨**
- **سلالة مينغ ١٣٦٨ ــ ١٦٣٨ (١٦٤٤)**
- **سلالة تشينغ (المانشو) ١٦٤٤ ــ ١٩١١**

وآثرنا أن يبدأ العرض بالتعريف بالصين هذا العملاق الذى تعامل مع سائر الامم إنطلاقا من مفهوم " مملكة السماء " العالى المتسامى ؛ وهو محور موضوعنا ، ليستوعب القارئ خصائص البيئة التى إحتضنت الإسلام والمسلمين لقرون ثم أوغلنا الى إستيطان الفرس والعرب الصين وتوحدهم فى عصب إقتصادها وتاريخها ، ليؤسسوا لعلاقات طيبة وصحيحة بينها وبين عالم الإسلام الرابض على حدودها البرية والبحرية ، والممسك بمفاصل ممرات التجارة الدولية والمتحكم فى إزدهار أطرافها.

والمناخ الجيد الذى ساد العلاقات العربية / الصينية فى عمومه ؛ ليس وليد الصدفة وإنما وليد الحكمة والتعقل وإعلاء المصالح المشتركة ؛ فالأمويون رغم سمعتهم فى الفتوح الضخمة العابرة للقارات لم يفكروا فى مناطحة الصين على أرضها وما تم بينهما من مناوشات تم بالوكالة عن الحلفاء وعلى أراضيهم ، والعباسيون بدورهم إمتنعوا وهم المنتصرون عن إنتهاك أرضها رغم قدرتهم على ذلك وهم يعلمون وضعها المهترئ ؛ وقد يكون موقفهم هذا عرفانا لرصيد الأسرة من التسامح والود مع المسلمين وحُسن إسقبالها للإسلام منذ عهد أباها الأول إمبراطور /تاى تسونغ وموقفه الحكيم برفضه دعم يزدجرد ضد المسلمين الأوائل .

وهذا الرصيد من الحكمة والود المتبادل بين الطرفين ؛ كان وراء قرار الخليفة المنصورالعباسى مد إمبراطور تانغ/ سو بمساعدة عسكرية لإسترداد عرشه فى الحرب الأهلية

الكُبرى ضد آن لوشان .

و تابعت أسرة سونغ الشراكة مع تُجار الإسلام على نحو أوسع لترقى هى وهم أعلى مراتب الإزدهار الإقتصادى وكافأتهم بفتح الباب واسعا لإندماجهم الطبيعى طبقا لسنن الحياة فى متن الهُوية الصينية وثقافتهادون المساس بخصوصياتهم فى العقيدة والثقافة .

ولما إستقر المغول فى الصين وجلبوا معهم أجيال ضخمة من المسلمين لبناء دولتهم ؛ كان من الطبيعى فى ظل إفرازات الوجود الإسلامى الكثيف أن يصبح الإسلام فى أزهى عصوره رغم المنغصات المغولية التى طالت بعض تطبيقات العقيدة ، وفى عهد أسرة مينغ لم ينغص صفو مسيرة الإسلام إلا ما الحقته به سياسات الحظر الإجتماعى لمؤسس الأسرة الإمبراطورية / هنغوو من أضرار ، رغم ما قيل عن إقتراب هذا الإمبراطور من الإسلام ؛ فمحظورات هنغوو إستهدفت المسلمين بالدرجة الأولى وكانت إفرزاتها طويلة المدى تضاءلت بجانبها منغصات المغول المحدودة الأثر والمدى ؛ صحيح أنها ضايقت المسلمين ولكنها لم تضرالإسلام على نحو ما أضرته محظورات هنغوو فى المدى الطويل التى وضعت أساسا لأسوة تُتبع فى بعض العهود القادمة.

أما أسرة تشينغ (١٦٤٤ ـ ١٩١١) وهى أسرة لا تنتمى للعرق الصينى ، فقد ناصبت أهل الإسلام العداء لثلاثمائة عام ؛ قضت معظمها فى حروب لم تنقطع مع طوائفه ، وفى غضون ذلك إنتهى دور تجار الإسلام عندما أطلت على سواحل الصين قوى الإستعمار الكبرى لتقبض على قلب البلاد وعقلها ونثرت عنوة على أرضها آفة الأفيون فبددت أمنها وسلامتها وثرواتها ([1])([2]).

مع تحياتـــــــــــى

مع تمنياتى بقراءة هادئة وبالله التوفيق

محيي يوسف

القاهرة عام ٢٠٢٠

---

١ ـ كان ظهور السفن العاملة بالبخار من أسباب تقلص دور التجار المسلمين الذى كان قد تقلص أصلا منذ عهد الإمبراطور هنغوو ومن بعده أيضا بسبب تغلغل الحكومة فى عهد يونغلى فى التجارة الدولية بإسطول الكنز.

٢ ـ ملحوظة تم الإستعانة بكتب وأبحاث منشورة على الشبكة العنكبوتية وكذلك بالنسبة للصور والخرائط...أكون شاكرا لكل من لديه ملحوظة أو وجد ما يستوجب التصحيح وهو أمر شائع فى سجلات التأريخ ؛ أن يتكرم مشكورا بموافاتى به مشفوعا بمصادره حتى يتسنى معالجته ؛ وذلك على البريد الإلكترونى التالى: Mohiey٤٧@Outlook.Com

مقـــــــــــدمة

بعد إندحارالفرس والروم القوتين الأعظم آنذاك فى نصف العالم الغربى على أيدى المسلمين الاوائل من العرب ؛ لم يتوان قادة العرب عن مواصلة الجهاد والفتح فى كل الإتجاهات ولم يُثنهم عن ذلك ضغوط القتال المتواصل ؛ فقد كان سباقهم الى الفتح إستباقا للشهادة وهم يعلمون من أحاديث رسول الله أنه مقررعليهم ؛ سواء قاموا به هم أو غيرهم ممن يلحقهم من المسلمين ولا خيار لهم فيه ؛ فإنطلق الخلفاء الراشدون واحدا إثر الأخر بالمضى بالفتح وتابع بنو أميه الفتوح على أوسع نطاق ، وإستقرت حدود إمبراطورية الإسلام فى عهدهم فى أوسع ما وصلت اليه من حدود الصين شرقا الى قلب فرنسا غربا .

وكانت الفتوح شرق جزيرة العرب نحو قلب آسيا عربية خالصة فى البداية ؛ وعربية فارسية فى عمق آسيا الوسطى ؛ ثم تعهدتها منفردة عناصر تركية أسلمت مبكرًا ومغولية تأخر إسلامها ؛ وهذه العناصر بإمتداداتها العرقية واسعة الإنتشار فى المنطقة هى التى تعهدت مد الإسلام فى القرون التالية ؛ أقاموا فيها إمبراطوريات عظيمة الشأن حملت رايات الإسلام وأعلتها على أسس خالدة لحضارات زاهرة أشعت فى كل مناطق العالم الإسلامى على إتساعه ؛ فالعنصرالتركى بمشموله العرقى الواسع ومعهم الفرس ؛ هم من أسهموا بحظ وافر فى أسس حضارة الإسلام العالمية فى معظم مناحى العلوم (٣)، وكان جهادهم فى مجال الدعوة والفتح عملا خالدا يعكس صلابة هذه الشعوب المقاتلة ؛ وكان علينا عند إستقصاء أمجادهم فى آسيا سبرغور تاريخهم فى بلدين من أعظم بلادها هما الصين والهند ؛ وهما أعظم حضارات المنطقة التى تربطها بالإسلام علاقة قوية وأصيلة ترمى بظلالها عليه ومنه وبه .

وعند الحديث عن الإسلام ؛ تستدعى الذاكرة العرب والصحراء وقوافل التجارة ؛ فالعرب سادة الإتجار من قديم الأزل جابت قوافلهم أرجاء العالم القديم محملة ببضائعه من مشرقه الى مغربه ؛ وعندما إعتنق العرب الإسلام أضافوا الى تجارتهم بضاعة ثقيلة لا وزن لها ، ثمينة بلا ثمن ، روح بلا جسد ؛ تجارة سامية لا يسموا عليها ؛ هى الإسلام حملته قوافلهم على جناحها تستقر به حيثما إستقرت ، وأصبحت التجارة والإسلام صنوان لا يفترقان

---

٣ - من أشهر من أنجبت آسيا الوسطى من أعلام الحضارة الإسلامية : البخاري والترمذي والبيهقي والفارابي وإبن سينا ومحمد بن موسى الخوارزمي وأبو الريحان البيروني (من أعظم علماء القرون الوسطى فى الفيزياء والرياضيات والعلوم الطبيعية مؤسس علم الميكانيكا والفلك التجريبين) ، والزمخشري وأبو الليث السمرقندي وأبو منصور الماتريدي ومحمد بن الحسين الفارقي المشهور بابن نباتة والإمام الداعية أحمد اليسوي والإمام الزاهد المحدث عبد الله بن مبارك الخوارزمى والفضيل بن عياض السمرقندى.

والتجارة كعادتها لعبت الدور الهادئ السلس فى مد الإسلام على كل محاور تحركه فى أنحاء العالم لا يضاهيها فى ذلك شئ أخر؛ فهى بما تولده من علاقات عامة وخاصة على المستويين العملى والرسمى تؤسس لتعاظم مكانة التجار ونفوذهم إستنادا لقوتهم الإقتصادية ؛ ويُزيد قوتهم قوة إندماجهم الإنسانى فى محيطهم الإجتماعى بما يُمكنهم من الهيمنة بنعومة على حركة محيطهم ، ومُحصلة كل هذا خيوط من السلطة الذهبية فى أيديهم غير ظاهرة ولكنها مؤثرة ؛ تفرز ردود فعل إيجابية فى معظم الاحوال وسلبية فى بعض الاحيان بما يفرزه بريقها من حسد وأحقاد ترتد على روادها بالكوارث إذا ما لفت بريقها الحاسدين من أهل البلاد (٤) .

وحديثنا عن الإسلام فى الصين لا يمكن معالجته بعيدا عن الحديث عن تجار الإسلام عربا وفرسا (بوسي) ، الذين جلبوا الإسلام إلى الصين ودورهم فى إدارة تجارة الصين الدولية ؛ فالتجارة والتجار معا أسَّسا لمصالح مشتركة قوية القت بظلال وارفة على مد الإسلام لقرون ، فالتجار المسلمون كانوا عادة ودائما هم رُسل الإسلام الذين يتعهدون مده الهادئ السلس ويُقيمون رايات الدعوة ثم يسلمونها الى أهل البلاد ، وهو ما حدث على إمتداد الطريق البحرى فى جنوب شرق أسيا حتى الصين.

ولنبدأ بالصين أساس العرض

---

٤ - تعرض التجار المسلمون عربا وفُرسا لمذبحتين فى عهد أسرة تانغ ؛ الأولى فى عامى ٧٥٦ - ٧٥٨ م عندما قمعت قوات إمبراطور تانغ / Zhide تمرد ليو هويزان Lui Huizhan فى مدينة يانجتشو Yangzhou ؛ فقامت بقتل خمسة الاف من العرب والفرس ونهبت ممتلكاتهم دون أن يكونوا طرفا فى الثورة ؛ والمذبحة الثانية حدثت فى السنة الثانية من حكم إمبراطور تانغ / هسي تسونغ Hsi-Tsung او Xizong ؛ فى ثورة الفلاحين الكُبرى عام ٨٧٤ م ، على يد القرصان (مهرب الملح) هوانج تشاو Hwang-Chau عام٨٧٨م الذى تولى قياد الثورة بعد موت قائدها وأعلن نفسه إمبراطورا بلقب – وانغبا - عام ٨٧٩م وتمكن من إحتلال العاصمتين لويانج و شانجان ؛ و ذبح ثواره فى خانفوا أكثر من مائة الف من التجار العرب والفرس ؛ ويقول سليمان التاجر (ويُسمى أيضا أبو زيد السيرافى الإيرانى) الذى عاصر الحدث فى كتابه التاريخ القديم للهند والصين صـ ٤١-٤٢ " " ثار ثائر على ملك الصين من غير بيت الملك ، تبعه أهل الدعارة والفساد ، وكثر جنده فقصد مدينة خانفوا سنة أربع وستين ومائتين هجرية فحاصرها وأتته جيوش الملك فهزمها وإفتتح المدينة عنوة و إستولت العصابات الصينية على القانون و راحت تذبح الناس على هواها وتضطهد العرب والفرس وإستباحت الحريم وقتل من أهل المدينة خلقا لا يحصون كثرة ؛ فبالإضافة للصينيين الذين قتلوا فى الثورة قتل ما يقرب من ١٢٠ الف مسلم ويهودى ومسيحى من الموجودين هناك ؛ وطالت الكارثة ربابنة السفن والملاحين من سيراف وعمان" ؛ وفى عام ٨٨٠م إستقدم الامبراطور ٤٠ الف مقاتل من الاتراك تمكن بهم عام ٨٨٣م من تحرير العاصمة بعدما إستمال قائد الجناح الشرقى للثوار ، الأمر الذى أدى لإنتحار زعيم الثوار (الإمبراطور) هوانج تشاو عام ٨٨٤م وبذلك انتهت الثورة.

الفصل الأول
صين ذاك الزمان([٥])

الوفرة المطلقة

نَعُمت الصين بوفرة مطلقة لا حدود لها فى كل نواحى بنيتها **(وما زالت)** ، وفرة طابعها التطرف فى أقصى شطحاته فضاء جغرافى هائل ، مناخ متنوع تتنوع محاصيله ([٦]) ؛ يجرى من تحتها الف وخمسمائة نهر ويزيدها نعيما أمطار طاغية **(ستة آلاف مليار متر مكعب)** ، ثُلثيها يطغى على الزرع والنسل وثُلثها الباقى تمتصه شبكة قنواتها الضخمة **(٢٥ الف ميل)** ([٧]) ، تزرع السهل والجبل **(بليون وأربعماية الف هكتار)** ؛ وغابات **(مائة وثمانية وخمسين مليون هكتار)** ، ومراعى ٢٦٦مليون هكتار تقريبا **(١٣ % من مساحة البلاد)** ترتع فيها ثروة حيوانية مهولة.

نَسَمَاتُها ؛ كتله عِرقية ضخمة بأحجام فلكية بمعايير زمانها بلغت ١٨ مليون نسمة عام ٧٥٥م **(وفق إحصاء العام الثالث من فترة تشن قوان إمبراطور تانغ/ تاى تسونغ)** وإرتفعت الى ٨٠ مليون نسمة بعد مائة عام ثم الى ١٦٠ مليون نسمة فى القرن الرابع عشر ؛ ومكنتها كثافتها البشرية دائما من حشد جيش ضخم يزيد على المليون شخص فى كل الأوقات ([٨]) ، ووفرت هذه الكتلة طاقة إنتاجية وتسويقية أهلتها لتقود الصناعة فى العالم **(وما زالت).**

الشطحات السلبية

ولم تقتصر شطحات التطرف فى مكون الصين الطبيعى بعناصره المختلفة على الإيجابيات وإنما إمتد الى الكوارث ؛ من فيضانات جامحة تهلك الحرث والنسل وتنشر القحط والمجاعة **(١٨٢٨ مجاعة كبرى من ١٠٨ ق م حتى ١٩١١)** فجرت الغضب والثورات ، ثورات لا رحمة فيها أسقطت أسرا حاكمة كانت راسخة ؛ وأزهقت أرواح الملايين وحرقت الأرض

---

[٥] - ملحوظة : ملحوظة تم الإستدلال ببيانات معاصرة عن مكون الصين الطبيعى فمدلولات الحالى كامنة منذ الماضى والماضى يتجلى فى الحالى ؛ ونراها لا تحدث فرقا فى الخلاصات ، فالمستقر المتكرر فى الطبيعة كالمطر والغابات والارض تبقى مؤشر صالح للإستدلال وإسقاطها على الوضع القديم على إعتبار أنها مؤشر لطاقات كامنة.

٦ - تتراوح ما بين القطبى الى الإستوائى .

٧ -- القناة العظمى التي تربط خانبليك (بكين) في الشمال بـ هانغتشو على الساحل في الجنوب الشرقي ، بدأ حفرها فى القرن الخامس قبل الميلاد فى عهد أسرة سوى الحاكمة وتعهدتها الأسر المتتالية بالمد حسب إحتياجاتها الإستراتيجية والإقتصادية لتسهيل الإنتقال عبر البلاد للافراد والسلع والنهوض بالتجارة حتى عهد أسرة يوان المغولية قبل سقوطها فى القرن السابع عشر- وهى أطول قناه فى العالم - تُقدر مذكرة بلاط إمبراطور مينغ/ يونغل فى اوائل القرن الخامس عشر ؛ ما يتم نقله خلالها من إنتاج البلاد من الحبوب إلى أربعة مليون دان (٤٢٨ مليون لتر).

٨ -- بلغ عدد جيش إمبراطور المينغ/ هونغوو مليون ومائتى الف جندى علاوة على أسطول من مئات السفن .

والزرع ([٩]) ، وإضطرت قسوة القحط وشدته الفقراء لبيع بناتهم بقليل من "الكاشات ".

وشطحت السلطة أيضا فى بطشها ، جماحا دمويا إجراميا وجماعيا على نحو ما إستقر عليه بطش المانشو (أسرة تشينغ) ؛ ذبحوا الثوار بالموت البطئ أحياء سلخا الى قطع صغيرة ؛ وكانت أرقام ضحايا الحروب وإخماد الثورات مخيفة فالحرب الأهلية بين أسرة تانغ و الجنرال/ آن لوشان كلفت الصين خلال ثمان سنوات **(الفترة ٧٥٥ الى ٧٦٣)** حوالى ٣٦ مليون قتيل ، وحملة الثوار بما فيها حرب مينغ لطرد المغول وإعادة توحيد البلاد كبدها حوالى ٣٠ مليون قتيل خلال عشر سنوات ، وإخماد المانشو ثورة تايبينغ الفترة ١٨٥٠- ١٨٦٤ حصد أرواح حوالى ٤٠ مليون نسمة ، ناهيك عما تكبدته فى العديد من الحروب والمجاعات والكوارث الطبيعية على مدى العهود ، ما نُشير اليه فى العرض.

و شاط الفساد شاطحا أيضا فى الإدارة فلم يكن له مثيلا فـ/ يشين رئيس وزراء إمبراطورالمانشو / تشين لونغQianlong ، إختلس تسعمائة مليون تايل فضة من خزائن البلاط الإمبراطوري أى ما يوازى فائض الخزانة لإثنى عشرعامًا .

النظام الأبوى المطلق

وإذا تعرضنا للنظام المجتمعى فلم يخرج عن هذا المنحى المتطرف ؛ قام على الطاعة والطاعة المُطلقة للحاكم والأب والزوج ؛ وإنصب كل هذا على المرأة فكان عليها طاعة أباها قبل الزواج وزوجها فى الزواج وأبناءها في الترمل ، والإلتزام بالفضائل الخمس الخير والاستقامة والتحشم والحكمة والإخلاص ، وكذلك براعتها في أعمال المنزل والعناية بجمالها.

التطبيقات الإبداعية للصين

ويزيد مكون هذا العملاق قوة سبق الصين العالم فى **إبتداع الإشتراكية ونظام السوق والإدارة العادلة** وهو ما رصده الرحالة المغربى إبن بطوطة :

- **فالنهج الإشتراكى** كان ماثلا فى توزيع إمبراطورالمينغ/ هونغوو الأرض على صغار المزارعين ؛ وتمَليكها لمن إستصلحها وإعفائه من الضرائب ؛ ووزع ثوار تايبينغ أراضى الإقطاعيين وكبار الموظفين الفاسدين على صغار الفلاحين بالتساوى .

---

[٩] - أسقطت الثورة التى حدثت عام ١٦٤٤م إمبراطورية مينغ ، وكانت المرة السادسة في تاريخ الصين التى تُسقط فيها ثورات الفلاحين إحدى الإمبراطوريات .

- **إدارة الدولة للإقتصاد** ؛ وهو ما يُسمى عندنا بالقطاع العام الحكومى فقد إقتضت مكافحة الغلاء قيام الحكومة بشراء المؤن وتخزينها لإستخدامها عند الحاجة فى المجاعات والكوارث الطبيعية لموازنة الأسعار ، وقد بنت أسرة يوان المغولية الصوامع لهذا الغرض **(سبقتهم مصر)** ؛ ويقول أحد الرحالة المسلمين " وإذا غلا السعور **(الأسعار)** أخرج السلطان من خزائنه الطعام فباعه بأرخص من سعر السوق ، فلا يبقى عندهم غلاء " ، ولم ترى الصين ضُرا فى إحتكار الدولة إنتاج وتجارة بعض المعادن فيقول الرحالة العربى .. "ويختصّ الملك بالملح ، وحشيش يُقال له الساخ (الشاى) بخلاف الحديد والأخشاب.

- **الإدارة العادلة** الكفؤة ؛ كان يتم إختيار الموظفين من خلال تنظيم البلاط الإمبراطورى إمتحانات دورية لإختيار أفضل المثقفين للوظائف الحكومية لا غش فيه أو محاباة ؛ وهو نظام قديم نصح به كونفوشيوس فى القرن السادس قبل الميلاد ، وإستمر تطبيقة فى كل العهود الإمبراطورية إلا فى عهد المغول .

إبن بطوطة والصين

أكد إبن بطوطة عناصر قوة الصين وإبداعاتها المتقدمة الذكر مضيفا اليها البعض الأخر التى شاهدها فى زيارته لها واصفا إياها " وإقليم الصين متسع كثير الخيرات والفواكه والزرع والذهب والفضة لا يضاهيه في ذلك إقليم من أقاليم الأرض ؛ يمر بوسطها نهر طوله مسيرة ستة أشهر**(اليانجتسى)** ....وميناء مدينة كوان شو من أعظم مراسى الدنيا أو أعظمها رأيت به نحو مائة جنك (سفن) كبير والصغار منها لا تُحصى عددا من كثرتها " ، ويستطرد " وأهل الصين أهل جمال وطول وبياض نقي مشرّب حمرة ، وهم أشدّ الناس سواد الشعور ونساؤهم يجزّون شعورهنّ".

كما رصد فى أضافاته:

١- **نظام التظلمات** ـــ " في كل مدينة شئ يُدعى الدّرا وهو جرس على رأس ملك (حاكم) تلك المدينة مربوط بخيط ماد على ظهر الطريق للعامة كافة ، وبينه والملك نحو من فرسخ ، ، فمن كانت له ظلامة حرّك الخيط فيتحرك الجرس على رأس الملك ، فيؤذن له بالدخول ليشرح ظلامته بنفسه ، وجميع البلاد **(فى الصين)** فيها مثل ذلك" .

٢- **رعاية الحكومة المعاقين والعبيد** ـــ " وبالمدينة معبد لرعاية العميان والأيتام والأرامل والشيوخ ممن لا مال له ؛ يضم مطبخ ومشفى وخدم ؛ يُخصِص له الملوك أوقاف كثيرة للإنفاق عليه ؛ ... ؛ ومن الأمور الرحيمة بالعبيد ُفك قيده بعد عشر سنوات ؛ ويُخير بين ترك الخدمة ويبقى طليقا فى الصين لا يُغادرها ، أو الإستمرار فى الخدمة فإن كان قد بلغ سن الستين أعتقوه من الأشغال وأنفقوا عليه ولا تُجرى عليه الأحكام وإعتبروه فى مصاف الصبية غير الناضجة ."

٣- **رعاية الحكومة كبار السن والفقراء** ـــ " وإذا ولد لأحد ذكر كتب اسمه عند السلطان فإذا بلغ ثماني عشرة سنة أخذت منه الجزية ، فإذا بلغ ثمانين سنة لم يؤخذ منه جزية ، وأجُرى عليه من بيت المال " ؛ " ولهم حجر منصوب طوله عشرة أذرع مذكور فيه الداء والدواء ، فان كان الرجل فقيرا تكفل بيت المال بثمن الدواء " .

٤- **العملة الورقية** ـــ "وأهل الصين لا يتبايعون بدينار ولا درهم وإنما يستخدمون قطع من الورق (كاغد) بقدر الكف مطبوعة بطابع السلطان وإذا تمزقت في يد إنسان ، حملها إلى دار سك النقود لإستبدالها مجانا ([١٠])".

٥- **التصوير (والأمن)** ـــ " لا يجاريهم أحد فى التصوير ، لا الروم ولا من سواهم فلهم فيه إقتدارا عظيما ؛ ومن عجيب ما شاهدت إنى ما دخلت مدينة وعدت اليها إلا وجدت صورتى وصور أصحابى منقوشة على الحيطان والكواغد وموضوعة فى الأسواق ..والغرض من ذلك أن الغريب إذا فعل ما يوجب فراره نشروا صورته فى البلاد للبحث عنه " .

عالم الصين الغنى المتعالى

كانت الصين بالمعطيات المتقدمة ولمدة عشرة قرون أكبرمركز صناعى وتجارى فى عالم ذلك الزمان **(ما بين القرنين السابع والسابع عشر)** ، فقد بلغت نسبة مساهمتها فى الإنتاج الصناعى للعالم حوالى٣٣ % طبقا لبيانات عام ١٧٥٠(١١) ، ويعكس ضخامة تجارتها الخارجية ؛ ضخامة موانيها وكثرة السفن الراسية بها والتى تجاوزت العشرة آلاف طبقا للمصادر الصينية فى عهد المغول ؛ ويمكن تقدير أهمية التجارة الدولية للصين بما جنته سلعة واحدة من سلعها الإستراتيجية وهى الحرير التى تغنى بها الشاعر الرومانى "ويجير" بقوله " أنه أجمل من الزهور وأدق من نسج العنكبوت" ؛ وتذكر المراجع أن الطلب عليه إستنزف الذهب والفضة من خزانة الإمبراطورية الرومانية ، وأن حصيلة الصين من تجارتها الخارجية إجمالا فى القرن العاشر الميلادي ، قد وفر لها مخزونا من الذهب فاق ما لدى دول أوروبا مجتمعة (١٢).

---

١٠ - إستخدم ١٧ تاجراً صينيا فى الفترة من ١٠٠٨ الى ١٠١٦ فى عهد سونغ ، عملة " جياوتشي " وهى أول عملة ورقية فى العالم ؛ وكانت صين/ سونغ - في مقدمة العالم في صناعة السفن ، وكان عهدها قمة تطور العلوم والتقنية الصينية القديمة مثل الطباعة بالحروف المطبعية، والإبرة المغنطيسية، وآلة النسيج بالقوة المائية، وجدار السفينة المقاوم للماء .

١١ - روبرت ألان – التاريخ الإقتصادى العالمى .

١٢ - كان الحرير والخزف والشاى من صادرات الصين الإستراتيجية ؛ وكانت حكرا على الحكومة ؛ وكان الحرير يُستخدم كعملة فى دفع رواتب الجند ويذكر المؤرخ سسوما تشيين أن إمبراطور هان وزع مليون لفة حريرعلى جنود سور الصين أثناء مروره عليهم ؛ وكانت تجارة الحرير الخارجية حكرا على تجار الفرس حتى القرن الثامن الميلادى ثم من بعد سيطر عليها تجار العرب – المصدر- هيلدا هوخام - تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين – صـ ٩٨ .

وأصبح ميزان أوروبا التجارى حتى القرن السادس عشر ؛ رهينا دائما لدى الصين ؛ فصادراتها الى بريطانيا إستنزفت رصيد الأخيرة من الفضة التى كانت تنقلها سفن شركة الهند الشرقية الى الصين سدادا لفروق الميزان التجارى([١٣]) ؛ وحاولت بريطانيا معالجة عجز الميزان بتعزير تجارتها مع الصين ، فأرسل جورج الثالث ملك بريطانيا فى نهاية القرن الثامن عشر طلبا الى الصين لتأسيس سفارة له لمباشرة العلاقات التجارية والحصول على بعض الإمتيازات ؛ فرفض إمبراطورالمانشو / شيان لونغ منوها بقدرة الصين الإستغناء عن العالم الذى لا يستطيع الإستغناء عنها .

وأجمل الإمبراطور/ شيان لونغ موقفه فى رسالة يقول فيها :

" إن مملكتنا السماوية لديها كل شيء مُتوفر بغزارة ؛ ولا تحتاج جلب أى شئ من الخارج ، فمصنوعاتنا تُغنينا عن مصنوعات البلاد البربرية **(يقصد أوروبا)** ، بينما منتجات مملكتنا السماوية من الشاي والفخار ضرورية للأمم الأوروبية ولكم ..." ....

وهذا المنطق قال به إبن كثير فى كتابه البداية والنهاية بقوله " والصينيون ليسوا فى حاجة إلى السفر في ملك غيرهم لكثرة أموالهم ومتاعهم وأرضهم المتسعة " ، وبذلك كانت الصين عالما متعاليا قائما بذاته لا حاجة به للآخرين ؛ فإستغنت فإنعزلت وإكتفت بالتجارة نافذة تُطل منها على العالم الخارجى لتحصد ثرواته .

كل هذا الرصيد جعل هذا العملاق يصمد فى وجه غائلة الزمن وأعتى الأعداء من غرب العالم الى شرقه فصمد فى وجه عدوان قوى الغرب الأوروبى العظمى صغيرها وكبيرها فى حقبها المختلفة ومعها أميركا وروسيا واليابان فى حروب متوالية منذ نهاية القرن الثامن عشر ؛ وقبلها صمد فى مواجهة ثورات داخلية عاتية فى خمسينيات ذات القرن ، إن هذا العملاق قوى عُظمى حقيقية .

تأثير مكونات الصين
على مسيرة تاريخ المسلمين

وبشطحات الصين بين السلب والإيجاب وبين الطيب والدموى ؛ شهد مسلمو الصين عبر تاريخهم أوقات طيبة لقرون ومآسوية لقرون آخرى ؛ غالبتهم فيه الصبغة الصينية وطبيعتها الإنعزالية بالإعتماد المطلق على الذات فى أقصى شطحاته فقد ثاروا لآنفسهم

---

١٣ -، كان هذا سببا فى إقحام الأفيون على خط التجارة مع الصين لقلب موازين الدفع التجارى معها ؛ وإقتضى تأمين تدفق هذه المادة للصين دخول الغرب فى حربين معها.

وحاربوا بأنفسهم وأقاموا سلطتهم الذاتية وصمدوا فيها مستقلين لفترات طويلة فى وجه العملاق الإمبراطورى الذى لم ترهبهم مقوماته الهائلة المشار اليها آنفا ، ولم يتطلعوا لمساعدة أحد من الخارج ، وقد أشار صن يات صن رئيس جمهورية الصين لمعاناة المسلمين فى بيان له جاء فيه" أن المسلمين (الهوى) ؛ كما يبدوا من تاريخ الصين قد قاسوا إضطهادا أشد من الآخرين، ولأنهم قاسوا أكبر المظالم وأوجع المصائب في القرون الأخيرة ، فمن الطبيعي أن تكون روح نضالهم أقوى وأشد... ومن الصعب أن تحقق الحركة الوطنية في الصين النجاح في مرحلتها الأخيرة بدون مشاركة المسلمين" .

وأقلقت الأجانب كِثرة ثورات المسلمين وصلابة صمودهم فى عهد المانشو/تشينغ ، فأرسل القيصر الروسى المستشرق الروسى فاسيليف الى الصين لإستطلاع الأمر ؛ فخلص الى أن " الإسلام مهيأ لأن يصبح الدين القومي للإمبراطورية الصينية ، و يقلب تبعا لذلك الأوضاع السياسية في العالم الشرقي رأسا على عقب " ، وقد أصابت هذه الكلمات الكاتب الإنجليزى توماس أرنولد بالإنزعاج فكتب " لقد مرعلى هذه التكهنات المزعجة ما يقرب من نصف قرن ولم تتحقق ؛ بل على العكس يبدو أن الإسلام خلال القرن الأخير**(التاسع عشر)** كان آخذا في التأخر بدلا من التقدم ؛ وهو أمر يثير الدهشة والغرابة والتساؤل إذ تعثرت خطى الإسلام في الصين وهو الذي غُرست بذوره هناك منذ ١٣قرنا" **(١٤)** .

وهو ما ستتقصى أسبابه هذه الدراسة

---

١٤ - كتاب الإسلام فى الصين - صـ ٥-١٤-١٧ لكاتبه فاسيلـ ـيف Vasil,ev- عام ١٨٦٧ ..نقلا من كتاب الدعوة إلى الإسلام صـ ٣٤٧.

الفصل الثانى
الصين وتجار الإسلام

إتجار العرب والفرس

كانت التجارة محورالعلاقات بين الصين والعرب منذ قبل ألفي عام تقريبا ؛ إستهلها تجار العرب سادة التجارة الدولية الذين كان الإتجار والابحار شرق العالم حكرا عليهم ؛ فهم رواد الإبحار في المحيط الهندي العارفون بأسرار الملاحة فيه ، وهم مفتاح الإتجار مع بلدان المنطقة من الهند الى الصين ؛ شاركهم الفرس هذا النشاط بحكم جيرتهم المباشرة للصين ، وكانت معابر البحر والصحراء اليها (الصين) فى أيديهم ودافع العرب والفرس معا عن مصالحهم التجارية فى تلك المناطق وتصدوا لمؤامرات الروم لإنتزاع السيادة من أيديهم ، وبعد ذلك بقرون تصدت أساطيل عُمان قوة العرب البحرية لمؤامرات من نفس النوع والهدف قامت بها أساطيل البرتغال ومن بعدها بقية القوى الإستعمارية .

وكانت الصين واعية بما يُحاك من مؤامرات بداية بمؤامرات الروم فى هذا الشأن ؛ فيذكر المؤرخ الصيني يوي هوان في كتابه " لمحة من تاريخ أسرة وي" - " حاول البيزنطيون الوصول إلى الصين عبر آنشي (فارس) بعد إزدياد طلبهم على الحرير ، لكن الفرس محتكروا هذه التجارة حجبوا عنهم المجازات البرية الى الصين عبر آسيا الوسطى خوفا من أن تفلت من أيديهم مقاليد هذه التجارة ؛ فحاول الروم من ناحية أخرى إختراق إحتكار الفرس والعرب لتجارة الشرق البحرية فأرسل إمبراطورهم جوستنيان وفدا إلى أكسوم عام ٥٣١م لتحفيز الأحباش على إحتلال اليمن بوابة الإبحار بالمحيط الهندي وتجارته ومدهم بالسفن اللازمة لذلك فإحتلوها بالفعل عام ٥٣٣ ؛ ولم ينجح الأحباش فى شق المؤامرة الآخر بالسيطرة على تجارة الشرق لعدم قُدرتهم على منافسة المؤسسات التجارية للعرب والفرس الراسخة في المنطقة على إتساعها من سيلان الى الصين ؛ وأكمل الساسانيون (الفرس) الإجهاز على هذا المخطط بمساعدتهم اليمنيين فى طرد الاحباش من بلادهم " .

ولما جاءت أساطيل الإمبريالية العالمية إصطدمت الصين بأساطيل البرتغال وهزمتها ونكلت بمبعوثيها لما إعتدوا غدرا على حليفتها الملايو .

محاولات التواصل العربى / الصينى قديما

أولا - المحاولات العربية

حاول ملوك العرب والصين التواصل برا منذ قبل الميلاد ، ومن محاولات العرب

الشهيرة ما قام به ملوك حمير باليمن وحضرموت سادة التجارة فى الوصول الى الصين فى أقصى الأرض ، وبادر **" شامر يرعش"** أحد عُظماؤهم قاصدا الصين بإحدى حملاته ولا نعرف إن كان فاتحا أو تاجرا مستكشفا ([١٥])، ولكن المؤكد وصوله الى حدودها وترك شاهدا حجريا على باب سمرقند بالخط المسند وبلغة حمير / العربية القديمة ، مفتخرا بوصوله الى هذه النقطة من الأرض ويصف فيها نفسه بملك العرب والعجم وقد يوحى إلحاقه كلمة عجم الى صفته الملوكية بإن حملته حملة فتح..

وقد شاهد قتيبة هذا النقش بباب سمرقند عند فتحه لها ، ويؤكد هذه الواقعة الإمام التابعي الشَّعبي فيقول: "شهدتُ فتح سمرقند مع قتيبة بن مسلم ، فنظر على بعض أبوابها لوحًا من حجر فيه خطوط كأنها عربية وليست عربية فتأمّله طويلا ثم قال: والله إني لأظنها بعض فِعالات حِمير **(خط حمير اليمني)** ، أبغوني رجلا من الجند قريب العهد باليمن وكلام حِمير؛ فبعث إلى عبد الله الحزامي فقال له أتعرف هذا الخط؟ قال نعم أصلح الله الأمير- هذا بخط حِمير الذي يقال له المُسند ؛ قال إقرأه فإذا هى " باسمك اللهمّ ؛ هذا كتاب ملك العرب والعجم شمر يرعش الملك الأشم ؛ من بلغ هذا المكان فهو مثلي ومن جازه فهو فوقي ومن قصر عنه فهو دونى ، فأبى قتيبة أن يرجع حتى يطأ بلاد الصين " ؛ وقد خلد/ دعبل بن علي الخزاعي حملة الملك يرعش الى الصين وإستقرار فلوله بالتبت فى قصيدة يفخر فيها بذلك قال فيها :

همو كتبوا الكتاب بباب مروا ..... وباب الصين كانوا الكاتبينا
وهم جمعوا الجموع بسمرقند..... وهم غرسوا هناك التبتـــيينا

ويُشير الرحالة العربى أبو دلف ([١٦]) وهو فى طريقه من خراسان الى الصين الى وجود قبيلة من أصل يمنى تتحدث العربية القديمة ؛ فيقول " وإنتهينا الى موضع يُقال له القُليب **(قرب الصين)** فيه بوادى عرب ممن تخلفوا عن تُبع **(ملك اليمن)** لما غزا الصين لهم مصايف ومشات ونخيل كثيرة ....يتكلمون بالعربية القديمة لا يعرفون غيرها ويكتبون بالحميرية (الخط المسند) ولا يعرفون قلما ، يعبدون الأصنام وملكهم من أهل بيت منهم لا يخرجون عنه ..... ويُهادى ملكهم ملك الصين ، فسرنا فيهم شهرا فى خوف ولا تعزير" ، كما أشار إبن الديبع

---

[١٥] - لا نعرف ما إذا كان هو ذى القرنين .

[١٦] - هو أبو دلف مسعر بن المهلهل الخزرجى الينبوعى ،الرحالة العربى الذى زار الصين والهند فى الفترة ٣٣١ / ٣٤١ هـ (٩٤٢ -٩٥٢) تقريبا ، وسجلها فى رسالته الثانية ؛ ضمن وفد حاكم «سمانيد» فى «بخارى» نصر الثانى أحمد (٣٠١ هـ / ٣٣١ هـ - ٩١٤ / ٩٤٢)لخطبة بنت ملك الصين لولى عهده ، وكان قد زارها قبل ذلك حاملا رسالة الى ملك الصين بإعتذار نصر الثانى عن تزويج إبنته ملك الصين لتعارضه مع الإسلام وبدلا من ذلك طلب تزويج ولى عهده احد أميرات الصين .

([١٧]) الى وجود " قبيلة عظيمة يُنسبون الى قحطان في أقصى خراسان وكذلك فى أرض التبت يقولون إنهم ذرية تُبع ".

ثانيا - إستكشاف الصين طريق الحريـــر (بعثة تشانغ تشيين)

تُشير سجلات أباطرة أسرة هان (١٨٩ ق م -٢٢٠ م) ؛ وهى من أقدم الأسر الحاكمة فى الصين الى محاولتهم تطهير غرب البلاد من القبائل التركية المعادية التى دأبت على قطع المنافذ المؤدية الى غرب الصين ؛ فأرسل إمبراطور الأسرة / وو تى ١٤١- ٨٧ ق م مفوضه العسكرى / تشانغ تشيين عام ١٣٨ ق م لإستكشاف الطريق والإتفاق مع قبائله على تأمينه بالوكالة ، وبعد رحلتين تمكن من وضع أساس طريق الحرير البرى .

وإستغرقت رحلة تشانغ تشيين الأولى ثلاثة عشر سنة تقريبا (١٣٨ ق م- ١٢٦ ق م) ؛ تمكن فيها من الوصول الى أفغانستان وأرسل منها نائبه محاولا الوصول الى سورية وبعد وصوله شاطئ الخليج الشرقى عاد ولم يُتم رحلته بسبب تضليل الفرس له ، ولكن ما تحصل عليه من معلومات عن المنطقة كانت وفيرة ، وقام برحلته الثانية عام ١١٩ ق م على رأس وفد كبير بذخيرة من الذهب فى مهمة طغى عليها العمل الدبلوماسى لعقد صداقات مع القبائل فى محيط الطريق لتأمينه وإستئصال تهديد الهون ؛ وبذلك وضع أولى اللبنات لطريق الحرير البرى وإنتظام التجارة عليه ([١٨]).

تجارة الجزية الصينية

ولما كانت التجارة عصب رئيسى لإقتصاد الصين ؛ فقد حاولت حكومات الصين المتعاقبة ؛ بكل الوسائل الخلاقة دفعها وتنميتها فكرم الأباطرة التجار وأكرموهم وتبادلوا معهم

---

[١٧] - نشر المحاسن اليمنية صـ١٤٨ ١٤٩ في ذكر توزيع ذرية حمير.

١٨ - قصد من رحلته الأولى الوصول الى قبائل داروتشي (اليويه تشين) لإحياء التحالف معهم لمحاربة الهون عدوهم المشترك بالوكالة لتجنب تكاليف الحملات العسكرية الباهظة ؛ وعند عبوره ممر السور إحتجزه الهون لعشر سنوات ولإستمالته زوجوه إحدى نساء القبيلة أنجبت له ولدا ؛ وفى عام ١٢٩ ق م تمكن من هجر القبيلة مع بعض رفاقه ليواصل مهمته ؛ وفى الطريق ساعده ملك داوان الراغب فى صداقة مملكة هان (الصين)الغنية ، ولما وصل قبيلة داروتشي خذلته بعدم رغبتها في محاربة الهون من جديد ، فتركها وتحرك الى مدينة لاتشي في داشيا (أفغانستان)، حيث مكث سنة تحصل خلالها على ذخيرة من المعلومات عن المنطقة ؛ وعند عودته عام ١٢٨ ق م حاول تجنب طريق الهون لكنها تمكنت من أسره ثانية فهرب مع زوجته وعاد الى الصين بعد رحلة إستغرقت ١٣ سنة تقريبا ، من عام ١٣٨ ق م إلى عام ١٢٦ ق م ؛ المهم أنه أثناء وجوده فى داشيا بعث مساعده قان ينغ لإستكشاف الطريق إلى داتشين Ta-Tsin (سورية) منطقة تجمع التجارة الدولية ومعبرها الى دولة بيزنطة ، فوصل إلى ساحل الخليج فى أرض تياوتشي (العراق) في العام التاسع (فترة يونغ يوان) إلا إنه لم يُكمل طريقه الى سوريا وعاد بأخبار وافرة عن المنطقة ، و في عام ١١٩ ق م قام تشانغ تشيين برحلته الثانية إلى المناطق الغربية لتطوير العلاقات مع مختلف القوميات وكان برفقته ٣٠٠ شخص ومعهم كميات ضخمة من العملات الذهبية والحرير وعشرة آلاف رأس من الأبقار والأغنام.

الهدايا وأحسنوا معاملتهم وسمحوا لهم بالإستقرار فى موانئ الصين والإتجار معها ، مقرنين التجارة بالدبلوماسية والولاء فى نوع فريد وغريب من التجارة الدولية ؛ هو الأول من نوعه معروف بتجارة الجزية (الولاء) ، يقوم على تقديم التجار الأجانب الهدايا للإمبراطور كرمز للخضوع مقابل السماح لهم بالإتجار مع الصين ، بينما يكافئهم الإمبراطور بدوره بالهدايا وكان كل هذا يتم على أرض الصين وبرعاية البلاط الإمبراطورى.

وتُفيد سجلات إمبراطور الهان / وو- دى أو وو تى ؛ أنه أرسل أكثر من عشرة بعثات الى ممالك عدة من بينها فارس و تياوتشي (العراق) دون الإشارة الى وهْم الخضوع والتعالى فى ممالك بعيدة لا تطولها يد الصين بحال ؛ ولكن سجلات الإمبراطور خه دي (٩٤م) العام السادس من فترة يونغ يوان أشارت الى حضور مندوبوا أكثر من خمسين بلد إلى الصين وتقديم رهائنها وهداياها **(جزية التجار)** الى الإمبراطور؛ و من بين هذه البلدان تياوتشي **(العراق)** وآنشي **(قد تكون عمان)** المطلتان على البحر والمحيط ؛ وفي العام الأول من فترة يونغ نينغ (١٢٠م) من عهد إمبراطور هان / آن دي " جاء مبعوثوا تياوتشي **(العراق)** الى الصين وقدموا هدايا نادرة الى الإمبراطور من بينها طير يسمى قيقا يبلغ إرتفاعه سبعة تشيات **(وحدة طول تعادل ثُلث متر)** يَفهم ما يقوله الإنسان".

وتجارة الجزية بمراسمها المتعالية على النحو المعمول به على أرض الصين برعاية البلاط ، ما كان يمكن ممارستها فى الخارج بنفس النهج فى أراضى بعيدة ، فالوفود الصينية وهى خارج حدود سيادتها ما كانت تتجرأ على الحديث عن الخضوع للسيادة الصينية وإلا لقيت ما لا يُحمد عقباه .

المسلمون وتجارة الجزية

تعهد التجار المسلمون مسئولية الجزية بدافع ذاتى ضمانا لمصالحهم ، وقدموا فى سبيلها القَيم من الهدايا الى البلاط لإرضاء الغرور الإمبراطورى ، وهم فى هذا لا يمثلوا دولهم وإن إدعوا ذلك عند تقديم هداياهم ، أما إمبراطوريات الإسلام فقد أرسلت مبعوثيها بالهدايا فى إطارها الدبلوماسى الصحيح لتوثيق العلاقات ودعم المصالح المشتركة بما فيها دعم تجارها وتجارتهم.

وكان يحكم تعاملات الطرفين الندية والإحترام طوال الوقت ، فأباطرة تانغ أرسلوا مبعوثيهم الى أمير المؤمنين فى دولة المدينة بخصوص فيروز بن يزدجرد والتعرف على الدولة الجديدة ؛ وأرسل إمبراطور تانغ / شوانزونغ الى أمير المؤمنين / عمر بن عبد العزيز عاهل الأمويين بدمشق فى طلب دعَوى للتعريف بالدين الإسلامى ، ولم يستنكف هذا الإمبراطور أن يخاطب مباشرة قادة الإسلام المحليين على حدوده عندما أرسل الى قُتيبة فى خراسان طلبا لمبعوث من جانبه ليوضح له بعض المسائل ومنها التعريف بالإسلام.

وأسرة تانغ العظيمة كانت على مودة ووئام مع الإسلام والمسلمين ودولهم ، فقد تبادلت مع الأمويين والعباسيين الوفود والهدايا بكثرة حتى فى أحلك الأوقات الدموية بينهما ؛ وهو ما يُظهر حرص الطرفين على المحافظة على مستوى جيد من العلاقات الطيبة **(سنتعرض له لاحقا)** ؛ ولما تناثرت إمبراطورية الإسلام ممالكا صغيرة أغرى الأمر الأدميرال/ شنغ خه قائد أسطول الكنز **(أسطول إمبراطور المينغ/ يونغلى)** على التصرف بالمفهوم الصينى المتعالى على شواطئ ممالك الإسلام خروجا على المنطق الحكيم فى التعامل الدبلوماسى وكان رد الجبور شيخ الإحساء أكثر تعاليا وشموخا .

إستقرار تجار الإسلام فى الصين

كان من البديهى أن يجتذب إقتصاد الصين الضخم أكبر تجمع للتجار العرب سادة التجارة ؛ وكان لابد لهم من مراكز تجارية متوطنة فى موانئ الصين لمباشرة تجارتهم ؛ وأذن لهم إمبراطور تانغ/ تاى تسونغ بذلك فإستقروا فى كبريات الموانئ الصينية وتشيرسجلات أسرة تانغ "٦١٨ – ٩٠٧م" الى إستقرارعدد كبير منهم فى قوانغتشو و تسي تون أكبر الموانى التى أصبحت مجمعا للبضائع العربية والفارسية وأسواقها الخاصة فى العاصمة تشانغآن و يانغ زو - كوان زو .

ومع التوسع فى التجارة والهجرة تضخمت مجتمعات تجار الإسلام المتوطنة، فإنضمت اليهم مجموعة شيعية وفدت من خراسان في القرن الثاني الهجري **(التاسع الميلادى)** عبر الطريق البرى فرارا من بطش الأمويين إستقرت فى منطقة الساحل وعملت بالتجارة ؛ وبلغ عدد التجار العرب(المسلمين) حسب السجلات فى نهاية عهد تانغ عام ٨٧٩ م حوالى١٢٠ الفا بنسبة ٨٠ % من إجمالى التجارالاجانب المستوطنين بالكميونات ، ولما كانوا هم الأغلبية الغالبة بين التجار عمم الصينيون لقب العرب عندهم تا شى على عموم التجار أجانبا كانوا أوعربانا .

إنقطاع الأساطيل العربية
عن الصين آخر عهد تانغ

إضطربت تجارة الصين الخارجية بسبب القلاقل التى سادت آخر عهد تانغ ؛ وزاد الأمر سوءا الفظائع التى تعرض لها التجار المسلمون آنذاك السابق الإشارة اليها فى كعب ٤ بالصفحة رقم ٩، ما أدى لإنقطاعهم عن القدوم الى الصين لقرن على الأقل قلت فيه وتيرة التبادل التجارى وإنقطعت خطوط ملاحة التجارة العربية الى الصين ، وكان التبادل التجارى المحدود يتم عبر موانئ ملقا **(الملايو)** حيث تلتقى السفن العربية والصينية لتتبادل أحمالها من منتجات المنطقتين ثم يرحل كُل الى مقصده .

ولم يكن أمام الراغبون فى زيارة الصين خلال تلك الفترة إلا ركوب السفن الأجنبية ؛ ويذكر تقرير حاكم كانتون - في العام الخامس من فترة شيانغ فو عهد إمبراطورسونغ / دا

تسونغ - أن عربيا في المائة والثلاثين من عمره يُدعي (Wuxihuluhua) جاء لزيارة الصين لإعجابه بهذا البلد العظيم في سفينة لدولة قيلون Quilon ؛ وقد إهتم الإمبراطور بالضيف العربي وأمر بمنحه رداء من القماش المقصب وحزاما فضيا ومنسوجات حريرية وهدايا أخرى تعبيرا عن إهتمامه وحسن رعايته.

وقد يكون هذا الرجل هو الداعية المدفون ببكين فى مسجد قانغشانغ **(الرابية)** بشارع البقر بحى نيوجيه ، المبني فى العام الثاني من فترة تشى داو - عهد إمبراطور سونغ / دا تسونغ ، حيث يقول سجل المسجد "أن شيخا عربيا إسمه قوام الدين (يبدوا أنه فارسيا فالمراجع الصينية دائما ما تخلط بين العرب والفرس) أتى إلى الصين ومعه ثلاثة أبناء لنشر الدين هم صدر الدين و ناصر الدين و سعد الدين والتقاهم الإمبراطور وأكرمهم وحاول منحهم مناصب رسمية وألقاب شرفية لكنهم إعتذروا للإمبراطور بإصرار عن قبول هذا التكريم إذ كان شاغلهم خدمة الدعوة وبناء مسجد ؛ فأنعم الإمبراطور علي كل واحد منهم بلقب إمام المسلمين ووهب والدهم مِنحة لبناء مسجد الرابية هذا تلبية لرغبته([١٩]) ؛ ومساحة المسجد ستة آلاف متر مربع ويضم مجموعة مبان أكبرها قاعة الصلاة التي تتسع لأكثر من ألف مصلِي وبه قبران لإمامين كانا يباشران الدعوة للإسلام ؛ هما أحمد البلدان الغساني المتوفى عام **١٢٨٠** ، و عماد الدين البخاري المتوفى عام **١٢٨٣** .

وبنى إبنا / قوام الدين ؛ سعدا وناصرا مسجدين بأمر من الإمبراطور أحدهما في دونغقوه (شرق بكين) والأخر في ضاحية بكين الجنوبية (ناحية نيوجيه) ؛ أما إبنه الثالث صدر الدين فساح فى الصين لنشر الإسلام وغابت أخباره .

سونغ ونهضة التجارة البحرية

بعد سقوط أسرة تانغ عام ٩٠٧ ؛ تقاسمت البلاد عدة ممالك جديدة فى الفترة ٩٠٧-٩٦٠ ؛ وهى الفترة المعروفة بفترة الأسر الخمس والممالك العشر ؛ ومن بين هذه الممالك أسرة سونغ وكانت ظروفها الإقتصادية صعبة لتقلص حيازتها الجغرافية وكتلتها السكانية نتيجة تفتت البلاد وما أصابها من تدهور فى نهاية عهد تانغ ؛ وكان عليها كدولة شاطئ تكثيف الإعتماد على التجارة البحرية للخروج من هذا الوضع ؛ خاصة وأن ممر خاشى فى الشمال الغربي معبر التجارة البرية الى طريق الحرير كان واقعا تحت سيطرة ممالك ناصبتها العداء وضيقت عليها الموارد وعاقت حركة تجارتها ، هى مملكتا - لياو (٩٠٧- ١١٢٥) و شي شيا (١٠٣٢-١٢٢٧) .

---

[١٩] - **من غير المعروف سبب تكريم الإمبراطور لهم فهم ليسوا تجارا.**

ومع نجاح سونغ فى تطوير وضعها الإقتصادى ؛ ركزت على دفع التجارة الخارجية لتصريف منتجاتها ، وروج إمبراطور سونغ / الإمبراطور شينزونج (١٠٦٧- ١٠٨٥) ([٢٠]) لِما ستجنيه الدولة من مزايا وفوائد بالقول " أن إسهامات التجارة الخارجية للدولة كبيرة جدا ، ويتطلب الأمر تعزيز النقل البحرى وأسطول الناقلات أحد هذه الإسهامات ..... كما أنه لابد من جذب التجار الاجانب " ؛ وسار على نفس النهج قاو زونغ أول أباطرة سونغ الجنوبية (١١٢٧- ١١٦٢) بدعوى " أن التجارة أفضل وسيلة للدخل بدلا من فرض الضرائب على الشعب ويمكن لعائداتها أن تحقق مبالغ ضخمة بملايين السلاسل **(العملة الصينية)** إذا أدرناها بشكل جيد " .

وعززت الحكومة بنية المرافئ فبنت منارات لإرشاد السفن على طول الساحل ومستودعات لتخزين السلع وناشدت الحكومة التجار للمساعدة فى بناء أسطول تجارى ، كما كان عليها أن تُحفز تجارالإسلام للعودة للتعاون مع الصين من جديد ؛ بعد توقفهم عن هذا عقب المذابح التى طالتهم أواخر عهد تانغ المضطرب ؛ فأرسلت اليهم الرسل وقدمت لهم الكثير من الحوافز وعقد المأدب السنوية (الندوات) للتشاور معهم رغم التكلفة الباهظة لتلك المآدب التى قدرتها سجلات سونغ "خوى ياو" بـ ٣٠ مليارحبل سنويا **(٢١)** .

ومع تعاظم التعاون بين سونغ والتجار العرب فى ظل تنامى الوضع الإقتصادى والتجارة الخارجية ، قُرب نهاية عهد سونغ قرر الإمبراطور / شن يا فى عام ٥ او ٦ من حكمه (١٢٤٦) العديدة من المزايا والترتيبات لتنظيم أوضاع التجار فكلفت الحكومة بو شوجينج **Pu Shougeng** للعناية بالتجار المسلمين ، وهو سنى من أصل عربى ويُعد من أكبر تجار قوانغتشو وكان من الشخصيات الهامة إقتصاديا ومن حيثياته مكانته السياسية لدى أباطرة سونغ ؛ فقد كان يلقبه البلاط بالتاجر العملاق وأشاد بإنجازاته التجارية **(سنتعرض له لاحقا)** .

سونغ والتجار المسلمون

أدركت سونغ أهمية الإستثمارات العربية والتجار المسلمين فى إنجاح خطتها لترقية تجارتها الدولية وتصريف منتجاتها المتعاظمة إسوة بما حدث فى عهد تانغ ؛ وحرصا منها على ذلك أرسلت للتجار البعوث لحثهم على العودة وقدمت لهم الكثير من الحوافز ([٢٢])، وتُشير سجلات بلاط سونغ الى ترحيب الحكومة والأباطرة بالتجار والعمل على راحتهم وتذليل

---

[٢٠] - قد يكون الإسم غير صحيح.

٢١ - وحدة المحاسبة المالية فى عهد سونغ وهى عملات نقدية معدنية مربوطة معا بحبل .

[٢٢] - لم يتجدد الاتصال االمباشر إلا في االقرن الثالث عشر - المصدر جورج فضلو حوراني- العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى- ترجمة يعقوب بكر صـ٢٢٦ – نقلا عن حسنة الغامدي (مرجعها فى أخر الكتاب).

العقبات أمامهم ؛ بل قامت بما هو أكثر وغير معتاد بمنحهم الأوسمة والوظائف العليا فى الجهاز الإدارى للدولة بما يعز على الصينيين أنفسهم .

وأدار تجار العرب بإقتدار تجارة سونغ وإزدهروا بها ؛ فقد كانوا أكبر المستثمرين وأكبر المساهمين وإحتكروا لأجيال إدارة تجارة الصين حتى أخر عهد أسرة مينغ ، وحققت تجارة الصين بفضلهم قفزات هائلة فى عائداتها من نصف مليون سلسلة فى نهاية القرن الحادي عشر الى مليون في أوائل القرن الثاني عشر ثم الى مليونين في منتصفه (القرن الثاني عشر) متجاوزة ما تحقق فى عهد تانغ بفضلهم أيضا بكثير **(٢٣)** وتراكمت ثروات هائلة فى أيدى سونغ من عائدات تصريف منتجاتها فى العالم وكذلك ما تحصده من مكوس باهظة تزيد على ٣٠% من قيمة واردات التجار ؛ كما تراكمت الثروات فى أيدى التجار العرب الذين أصبحوا بثرواتهم الدعامة المالية الهامة للحكومة الصينية بما تجنيه منهم من مكوس هائلة وأجمل **zhou qufei** المؤرخ الصينى هذه الحقائق (القرن الثالث عشر) بقوله " تساهم داشى **(بلاد العرب)** بأكبر نسبة فى تجارة الصين ؛ فهى المساهم الاكبر بالبضائع من حيث الحجم والقيمة " ([٢٤])([٢٥]) .

- مكانة التجار

عزز دور التجارالإقتصادى وإسهاماتهم الإجتماعية **(الإنفاق على تطوير المدن المقيمون بها)(٢٦)** نظرة السلطة والمجتمع لهم ؛ فتعاظم نفوذهم لدى الأباطرة ورعت الحكومات خصوصية هوية التجار وموروثهم القومى الإجتماعى والثقافى **(٢٧)** ، فتركت لهم الحرية فى إدارة شئونهم فى الحى الخاص بهم وعينت لهم رئيسا يختارونه (شيخ التجار) من أنفسهم يتبع الحكومة ويتمتع بسلطات إدارية ؛ ومنحت التجار إمتيازات خاصة حكرا عليهم كتكليفهم

---

٢٣ - السلسة هى وحدة العملة الرسمية ؛ وتضم السلسلة ألف قطعة نحاسية صغيرة.

٢٤ - أخضع الصينيون التجار العرب لقوانين صارمة فعليهم تسجيل بضائعهم عند الوصول الى الموانى الصينية ؛ ويدفعون ٣٠ بالمائة من قيمتها عينا رسم ميناء وإحتجاز ما يشاؤه الإمبراطور من السلع أولا قبل تسويقها للتجار او للجمهور مع دفع ثمنها ؛ وعند رحيل التجار من الصين عليهم ان يسددوا رسوم التصدير قبل ان يؤذن لهم بالسفر .

[٢٥]- عزف الصينيون عن العمل التجارى لتدنى تصنيف الكونفوشيوسية للنشاط التجارى والعاملين به ؛ وقد بدأت حملة الكراهية للتجار منذ عهد إمبراطور هان الأول / كاو تسو الذى حرم عليهم لبس الحرير و ركوب العربات ؛ وفرض عليهم ضرائب فادحة ؛ وكان الفلاسفة والموظفون الصينيون يعتبرون التجار أدنى الطبقات الإجتماعية ؛ ويقول إبن بطوطة فى هذا الشأن " أما التجار فهم أدنى الطبقات لأنها طبقة (غير منتجة) وتجني الأرباح بالإتجار بمنتجات الاخرين " ، و بعد سنوات رُفعت القيود عن التجار مع إستمرارحرمان أبنائهم من شغل الوظائف الحكومية.

٢٦ - حسب المصادر الصينية : حقق التجار المسلمون ثراءا كبيرا فقد لبسوا الحرير وتزينوا بالذهب والفضة ؛ وأنفق أثرياؤهم الكثير من اجل تعمير تسي تون .

٢٧ - تذكر المصادرالصينية أن " تساي جينغ فانغ " أحد مسئولي دائرة التجارة والملاحة بمدينة تسي تون كانت مهمته تذليل العقبات امام التجار ؛ وتخص بالذكر مساعدته التاجر العربي أبي روشين فى فتح متجر لبيع العطارة بالمدينة عام ١١٣٦؛ و سبق أن أهدته الحكومة هدية ثمينة ورحلة رسمية ولوحة عاجية.

بالإدارة الدائمة للنقل البحري والسماح لهم من جديد بالإشتراك فى الإمتحان الإمبراطوري الذى سبق أن منحته لهم حكومة تانغ ([٢٨]) ، كما منحت سونغ الكثير من التجار ألقابا ما كانت تُعطى للصينيين إلا بعد إختبارات قاسية وبشق الأنفس.

ولفت الرحالة الغرناطي فى زيارته للصين فى القرن الثاني عشر الميلادي ؛ النظر الى حُسن معاملة أباطرة سونغ للتجار فقال " إن ملوكهم (سونغ) أهل عدل وإنصاف... إذا مات بينهم غريب وله أحمال من الأموال لا يتعرضون لتركته... ويحترمون التجارالمسلمين غاية الإحترام لا يؤخذ منهم عشور في بيع أو شراء ولا مكس ([٢٩])" ؛ وفى / عهد شن يا - أسرة سونغ **(عام ١٢٤٥)** قامت الحكومة بترتيب مع التاجر العربى بو شوجينج (بو- شو- قنغ) بوضع نظام لتذليل العقبات أمام التجار.

ورصدت سجلات بلاط سونغ مدى ترحيب الأباطرة بوفود العرب ومن أمثلة ذلك :

- " منحت الحكومة فى العام الرابع من حكم إمبراطور سونغ / كاى باو (٩٧١) وظيفة جنرال للتاجر المسلم ليكمو" ومنحه الإمبراطور لقب قائد - أمير سلاح "هواي هوا" وسلمه وثيقة الإعتماد الإمبراطوري مكتوبة على ورق مذهب من الحرير".

- إستقبل إمبراطور سونغ وفدا من داشى عام ١٠٦٣" **بترحيب حار وإحترام بالغ** " ، وإستقبل إمبراطور سونغ التاجرالعربي أبو ياطل وخلع عليه حللا وقلنسوة وحزاما مرصعا وأثاثا ، وسمح له بان يسكن في العاصمة "بيا ليانغ " للإستجمام لعدة شهور وكان هذا إمتيازا خاصا جدا فقد كان محظورا على الأجانب البقاء والتجول فيها .

- يذكر التاجر الفارسى أبو الحسن السيرافي الذي دون معلوماته عن الصين والهند في تلك الفترة أن عراقيا إسمه إبن وهب زار الصين وإستقبله الإمبراطور وأغدق عليه الكثيرمن العطايا ومنحه إمتيازا إستطاع بمقتضاه أن يذهب إلى قوانغتشو (كانتون) ممتطيا بغل البريد.

- منح إمبراطور سونغ / شين زونج حزام تشينج شين لانج للتاجر التاشى بو شوجينج لانه نقل لبانا ([٣٠]) قيمته ٣٠٠ الف حبل (عملة) بخلاف إنجازاته الاخرى العظيمة ؛ وفى ذكر آخر حصل التاجر العملاق التاشى بو شوجينج (نفس التاجر) فى جنوب مين على سلطة ادارة السفن لمدة ٣٠ عاما ؛ وكان هذا المنصب يشغله تاجر مسلم باستمرار نظرا لدور المسلمين الرئيسى في التجارة الدولية.

---

[٢٨] - وهو أعلى امتحان دراسي في الصين قديما بمثابة الجامعة - إجتازه بنجاح كبير فى عهد تانج ...المسلم " لي يان شنغ
[٢٩] - الغرناطي عبد الرحيم القيسي الأندلسي - تحفة الألباب ونخبة الإعجاب صـ / ٤٦ --نقلا من مرجع حسنة الغامدي.
[٣٠] - اللبان كان من السلع الهامة لدخوله فى تركيب الأدوية وأدوية التخدير .

بو شوجينج (بو- شو- قنغ) أهم التجار فى عهد سونغ والمغول

كان "بو شوجينج " سنى من أصل عربى (أو فارسى) ؛ حظى بمكانة كبيرة فى مجتمع التجارأجانب وصينيين وكذلك لدى كبار العسكريين في مدينة قوانغتشو بمقاطعة فوجيان بجنوب الصين ؛ وزاده قوة ثقة أباطرة سونغ فيه حتى أن سجلات البلاط كانت تصفه بالتاجر العملاق صاحب الإنجازات العظيمة ، بعدما إستطاعت سفنه وسفن أخيه عام ١٢٧٤ صد هجوما للقراصنة فولته ؛ الحكومة الإشراف على النقل البحرى لمدة ثلاثين عام ومنحته سلطة عسكرية وإدارية تسمح له بادارة قوتها البحرية الكبيرة فى ميناء المدينة.

ولما إنهارت قوات سونغ أمام الغزو المغولى ؛ إنسحبت الى جنوب البلاد للتحصن بمدينة قوانغتشو معولة على مساندة قوتها البحرية بقيادة " بو شوجينج " ، لكنه خذلها ومنعها من دخول المدينة (عام ١٢٧٦) بعد تحوله بولائه الى جانب المغول لما أدرك انهم منتصرون لا محالة بعدما إقتنصوا معظم الأرض الصينية وإتسع ملكهم فى معظم أرجاء المعمورة ؛ ولما إتضح موقفه المتواطئ حاصرته قوات سونغ لكنها فشلت على مدى ٣ شهور فى إقتحام المدينة ، قام خلالها " بو شوجينج " بذبح الآلاف من الموالين لسونغ من بينهم أعضاء الأسرة الحاكمة ذاتها وقواتها التى إحتمت بالمدينة بعد هزيمتها فى وادي نهر هواي في العام السابق .

ولما جاءه دعم المغول العسكرى إضطرت قوات سونغ الى فك الحصار والإنسحاب ، وإنتهى أمر سونغ بهزيمتها فى معركة قوانغدونغ بعد عامين وكافأ المغول " بو" بسخاء كعادتهم فى مكافأة من يساعدهم وعينوه مفوضًا عسكريًا لولاية فوجيان وأغدقت على أسرته المناصب وأصبح نفوذه لدى المغول إرثا تتناقله أسرته بين أبنائها طوال حكمهم .

وشغل العديد من أعضاء الأسرة مناصب رئيسية في الإدارة الإقليمية للمغول ؛ فتولى إبنه منصب نائب حاكم فوجيان ، وتولى حفيده منصب مفتش الشؤون البحرية وإدارة وتعبئة الملح وغيرها من المنتجات الإستراتيجية التي تحتكرها الدولة ، وبلغ ثراء الأسرة بعد وفاته أن إستحوذ أحد أبنائه في تشيوانتشو على حصة كبيرة من أسطول التجارة بلغت اكثر من ثمانين سفينة ، وأثارت هيمنة الأسرة إستياء الشيعة ولما قامت ثورة إسباه الشيعية فى أواخر عهد المغول قامت بذبح أحفاده ؛ وبعد سقوط دولة المغول بعد أقل من تسعين عامًا من هذا الحادث ؛ قام الإمبراطور هونغوو ١٣٦٨ مؤسس أسرة مينغ بحظر نسله من المشاركة في الامتحانات الإمبراطورية أو الخدمة في أي منصب أو وظيفة رسمية عقابا لهم.

المرور التجارى للصين عبر أرض الإسلام بحرا و برا

لم يكن عالم الإسلام غائبا عن كل هذه التطورات منذ عهد تانغ ؛ فإمبراطوريات الإسلام كانت لها علاقات ودية متينة وكثيفة مع مملكتين من ممالك الصين ذلك العهد هما

سونغ القابضة على تجارة البحر ومعبرها ؛ ومملكة لياو المعاصرة لها والقابضة على مفاتيح المعبر البرى ، وكانت تجارة الصين لكليهما فى مجملها تصل أسواق العالم بكفالة عالم الإسلام أكبر كتلة إقتصادية فى العالم وقواه المهيمنة على التجارة العالمية وأسواقها ومعابرها .

وكان طريق مرور تجارة الصين الى العالم الخارجى بعد خروجها من أرض الصين بمنفذيها البحرى والبرى تمر فى أرض الإسلام فى أمان مطلق ؛ فالطريق البحرى وهو الأقدم ويُطلق عليه طريق العطور أو الفخارأو طريق الزجاج([٣١]) كان الأكثر إستقرارا وأمنا ؛ لا يستغرق الإبحار عبره الى بلاد العرب مقصده الرئيسى ونقطة توزيع تجارة الصين لأنحاء العالم سوى أربعة أشهر فقط ، وقد بلغت كفاءة المنفذ البحرى ذروتها فى عهد أسرة سونغ ؛ التى إزدحم فى عهدها ميناء البلاد الرئيسى قوانغتشو بألاف السفن التجارية الكبيرة **(عشرة آلاف سفينة عند دخول المغول - تقديرات صينية)** وما لا يُحصى من السفن الصغيرة ، تُبحر كل شتاء مع هبوب الرياح الشمالية الى المنطقة العربية وتعود الى الصين فى الربيع بدفع الرياح الجنوبية.

إضطربت تجارة المعبر البحرى فى فترات متقطعة ؛ عندما قيد / إمبراطور مينغ / هنغوو **(١٣٦٨ ــ ١٣٩٨)** الملاحة البحرية وتجارتها للحد من التهريب والقرصنة التى يقوم بها الصينيون واليابانيون فى بحر الصين **(٣٢)** ؛ وقصر التجارة على تجارة الجزية وما تجيزه الحكومة.

---

٣١ - يسير الطريق البحرى (طريق العطور أو طريق الفخار) عبر جوانغ ذوGuang Zhou (غوانتشو) ، و تشوان جو (Chuan Zhou ومينغ جو Ming Zhou ويانغ جو Yang Zhou مرورا بمضيق ملقا ثم بـ جينغ شي لان (سيريلانكا اليوم) ثم جنوب شبه الجزيرة الهندية وصولا إلى الخليج العربي سيراف او البصرة أو اليمن وهى مراكز تجميع تجارة الصين وتوزيعها فى العالم ؛ وقد سلكته السفن الصينية منذ عصر أسرة تانغ ، و في عصر أسرة سونغ وصلت سفن الصين الى عدن والبحر الأحمر و زنجبار فى شرق افريقيا (ويذكر المسعودي أن سفن الصين والهند كانت ترد إلى ملوك الحيرة (العراق)الموالين للساسانيين وتدخل في الفرات وترسو في ميناء الأبله) -المرجع :
Muslim In China By Hj Ibrahim T.Y.Ma (J.S.M

٣٢ - إستفحلت القرصنة خلال الثورة على المغول وأوائل عهد هنغوو ؛ وفى عهد المينغ بلغ الخطر حد السيطرة على بعض الموانئ وفى إحدى المهام قامت القوات الإمبراطورية بتحرير بعض الموانى وقتلت حوالى ٢٢٠٠ قرصانا وأنقذت ٣ ألاف رهينة - وفى عام ١٥٦١ إنتصرت المينغ على القراصنة اليابانيين فى تشيانج وحررت مدينة شيانيو عام ١٥٦٣ من حصار ٢٠ الفا من القراصنة ؛ وفى عام ١٥٦٦م قضوا على قراصنة فى ساحل فوجيان و جوانجدونج .

وفى اوائل القرن السادس عشر توقفت حركة التبادل التجارى بحرا بين بلاد العرب وبحر الصين بشكل شبه كامل عندما تسللت أساطيل البرتغال عبر باحة عالم الإسلام الخلفية فى رأس الرجاء الصالح بعد إكتشافها ؛ وإقتحمت المنطقة وإحتلت جزيرة سوقطرة فى مدخل البحر الاحمر ومضيق هرمز فى مدخل الخليج العربي ؛ لتسد منافذ التجارة البحرية الى الصين ثم قفزت من بعدها بقية أساطيل القوى الغربية الى مرمى حجر من شواطئ الصين لتتصادم معها فى عُقر دارها وتقبض على مفاصل تجارتها الدولية وتنحرف بها الى الإتجار بالسموم ؛ فتذهب بعقلها وقلبها قبل أن تنقض عليها .

أما المنفذ البرى **(٣٣)** ؛ فقد كان يمر بمناطق قاسية التضاريس والمناخ عبر سلاسل جبلية وصحراوية جدباء شديدة الحرارة ، تتربصها مخاطر القرصنة البرية وقُطاع الطرق بخلاف نزاعات وحروب القوى المنتشرة على الطريق ؛ وقد إضطربت حركة تجارة سونغ عليه بسبب إغلاق الممالك المعادية إمبراطورية لياو **(٩١٦-١١٢٥)** وشيا الغربية (١٠٨٣- ١٢٢٧) المعروفة بإمبراطورية تانغوت ممر خا شي الذى يحكم خناق الحركة الى الغرب فى وجه تجارة سونغ ؛ وهو ما قلص حركة تجارتها عليه بالمقارنة بحجم تجارتها على الطريق البحرى .

خلقت المصالح المشتركة بين العالمين الصينى والإسلامى جوا من التعاون والتفاهم القائم على الصداقة والمودة الفائقة كأساس للعلاقة الصينية الإسلامية ؛ فكانت وفود الإسلام تزور إمبراطورية سونغ فى الجنوب الشرقى للصين القابضة على المنفذ البحرى وإمبراطورية لياو القابضة على المنفذ البرى بأعداد كبيرة ومتصلة ، وقد بلغت الوفود العربية الزائرة الى صين سونغ وصين لياو تسعا وثلاثين بعثة ما بين العام الثالث من فترة تيان تسان من إمبراطورية أسرة لياو **(عام ٩٢٤)** إلى فترة كاي شي **(١٢٠٧)** وأغلبها لأسرة سونغ التى إمتد عهدها وأخضعت معظم الصين .

وإمتد الود لعلاقات النسب بين ملوك الطرفين ؛ فبخلاف ما إقتناه أباطرة الصين فى مختلف العهود من محظيات مسلمات أو مسيحيات من غرب الصين الأقصى من السغديين والإيرانيات البخاريات والفرس والعربيات ، وهن حسب المفهوم الصينى بمثابة الزوجة الثانية لا يحملن القابا رسمية لإقتصار حمل لقب الإمبراطورة للزوجة الأولى فقط .

---

٣٣ - يسير طريق الحرير من تشانغ آن غرب النهر الأصفر ليعبر ممر خا شي فى سور الصين حتى دونج هوانغ في مقاطعة كانسو المسلمة ، ثم يعبر يو- مين فى نهاية السور ثم هضبة بامير في منطقة تركستان المسلمة ، ليمر بأسيا الوسطى مخترقا تركستان وخراسان ثم فارس ليصل الى العراق وسوريا وينقل عليه بشكل رئيسى الحرير والشاي والبارود. .. المرجع السابق .

ولم ينفصم عرى التعاون بين شركاء التجارة الثلاث ، التجار وإمبراطوريات الإسلام والعملاق الصينى ؛ إلا بظهور قوى الغرب الاستعمارى وإنتشار أساطيلها فى بحار المنطقة من بحر العرب الى بحر الصين ؛ التى كان همها تفكيك هذا التحالف الثلاثى والقبض على تجارة الصين وسلبها من يد المسلمين لتحرمهم مواردها إضعافا لعالمهم من ناحية وإخضاعا للعملاق الصينى من ناحية آخرى.

ومن هذا المنطلق الذى يجمع المصالح الصينية والإسلامية العليا ، يبدأ حديثنا عن المد الإسلامى وأوضاع المسلمين فى عهود هذه الأسر :

- سلالة سوى ٥٨١ -- ٦١٨ .
- سلالة تانغ ٦١٨ ــ ٩٠٧
- الأسر الخمس والممالك العشر (٩٠٧-٩٦٠) - دويلات قصيرة المدى نتناولها عرضا.
- سلالة سونغ ٩٦٠ ــ ١٢٧٩
- سلال يوان (المغولية) ١٢٧٩ ــ ١٣٦٨
- سلالة مينغ ١٣٦٨ ــ ١٦٣٨ (١٦٤٤)
- سلالة تشينغ (المانشو) ١٦٤٤ ــ ١٩١١

الفصل الثالث
الإســـــــــــلام
وإمبراطوريات الصين

إمبراطور سوى/ ون تي والنجم الزاهر

وردت الإرهاصات الأولى عن نبى الإسلام فى سجلات أسرة سوى الحاكمة على شكل إشارات مبهمة ؛ فتذكر أن " ون تي **Wen Ti** " ؛ أول ملوك أسرة سوى رأى نجما زاهرً فى سماء إحدى ليال عام ٥٨٧ **(تُعاصر السنة السابعة عشر من حياة رسول الله)** ، نجمها له رئيس كهنته بأنه دليل على ظهور رجل عظيم الشأن في بلاد العرب " ، وتستبعد الحقائق ما يقوله بعض الرواة من أن الملك أرسل مبعوثا الى بلاد العرب لإستجلاء أمر هذا العظيم ، لان رسول الله لم يكن قد تلقى الرسالة بعد.

وفى وقت مُعاصر للسنوات الأخيرة من حياة رسول الله ، إرتقت أسرة تانغ العرش فى الصين ؛ وفى عهد إمبراطورها / تاى تسونغ تقدم الإسلام على أرضها.

ونبدأ تطور مد الإسلام فى العهود
الإمبراطورية على النحو التالى

أولا الإسلام وأسرة تانغ

إمبراطور تـانـــغ / تاى تســونغ Tai zong

مقدمة

بعد سنوات قليلة من رؤية - ون تى - إعتلت أسرة تانغ العرش ؛ وهى الأسرة التى إستقبلت الصين الإسلام فى أول عهدإمبراطورها / تاى تسونغ ، فقد إستهل حكمة أواخر عام٦٢٦ الموافق العام الرابع للهجرة وعاصرت السنوات الخمس الأولى من حكمه السنوات الخمس الأخيرة من حياة رسول الله ؛ وإمتد عهد / تاى تسونغ ليُغطى عهد خليفة رسول الله أبو بكر والخلفاء الراشدين من بعده عمر وعثمان ؛ وإنتهى حكمه بوفاته عام ٦٤٩ فى عهد الخليفة عثمان بن عفان تقريبا **(٣٤) (٣٥).**

تاى تسونغ

وأول معلومات رصدتها سجلات تانغ عن نبي الإسلام كانت قاصرة وغير صحيحة بالمرة وتحمل الكثير من الأغلاط وما هى الا مجرد خُزَعْبلات تناقلتها الموسوعات المتأخرة فى عهد تانغ ؛ وأقلها فى ذلك ما ذكرته بأن " رجلا شجاع من العرب اسمه موهومو **Mo-ho-mo** يتصف بالمهارة إختاره أتباعه حاكماً لهم " .

تحسنت معلومات البلاط عن الإسلام والمسلمين ،لما قابل التجار العرب الإمبراطور تاى تسونغ وزودوه بمعلومات صحيحة فى هذا الشأن.

٣٤- يُنطق ويُكتب إسم هذا الإمبراطور - تاى تسونغ - تاي زونغ - تاى تسنغ وفى بعضها تتحول الغين الى جيم ، حكم الفترة (٦٢٦–٦٤٩ م) .

٣٥- تاريخ وفاة رسول الله يوم الاثنين ١٢ ربيع الأوّل سنة ١١هـ المُوافق ٧ يونيو سنة ٦٣٢م ، و توفي أبو بكر يوم الإثنين ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣هـ - ٦٣٤ م ، وتوفى عمر بن الخطّاب فى نوفمبر ٦٤٤م الموافق ٢٦ ذو الحجة ٢٣ هـ ، وأثناء حكم الخليفة عثمان بن عفان الفترة ٦٤٤-٦٥٦م توفى الإمبراطور تاو تسونغ عام ٦٤٩.

الإمبراطـــــور
والمعلومات عن الإسلام والمسلمين

قدم العديد من وفود تجار المسلمون معلومات عن الإسلام وأهم ما سجله البلاط " أن وفدا كبير العدد من الغرباء ؛ من مملكة أنّام وكمبوديا ومدينا **(المدينة المنورة)** وبلاد أخرى جاء الى مدينة " جوانغتشو " ، وتقع مدينا منشأ ديانة هؤلاء غرب الهند ؛ وتختلف ديانتهم عن ديانة بوذا فلا يوجد في معابدهم تماثيل أو أصنام أو صور ، ولا يأكلون لحم الخنزير، ولا يشربون الخمر **(٣٦)** ؛ ولا يعبدون إلا الله ، وقد إستقبل إمبراطور الصين **(الإمبراطور تاى تسونغ)** هؤلاء المسلمين استقبالا حسنا، وسمح لهم بالإقامة في جوانغتشو([٣٧]) ؛ فاستقروا بها وبنوا دورا جميلة طرزها مختلفة عما في بلادنا ؛ وقد عملوا في التجارة وكوّنوا ثروات كبيرة ودانوا بالطاعة لرئيس انتخبوه بأنفسهم (شيخ التجار)" .

الدعوة الى الإسلام (منطقة الساحل)

تذكر المصادر الصينية أن رجلا يُدعى سعدا وصل الى الصين فى العام التاسع الهجرى الموافق عام ٦٢٩ أو ٦٣٠م **(السنة الرابعة من حكم الإمبراطور تاى تسونغ ، وقبل وفاة رسول الله بعامين أو أكثر قليلا)** ؛ إستقر بميناء جوانغتشو حتى العام الرابع عشر من الهجرة الموافق ٦٣٥ م ، وخلال حياته القصيرة فى الصين التى لم تتجاوز خمس سنوات باشرالدعوة بين تجار العرب فى جوانغتشو وبعض مدن الساحل ؛ ويعتقد المسلمون الصينيون أن سعدا هذا هو الصحابى الجليل سعد بن وقاص خال رسول الله ؛ الذى إستقبله الإمبراطور تاى تسونغ وكرمه وبنى له مسجدا فى جوانغتشو سماه " الشوق الى النبى" ، ودُفن هذا الصحابى بروضة المسجد المعروفة بإسمه ؛ روضة سيدنا وقاص ، ويُعزز إيمانهم بهذه الرواية النص المحفور على لوحة تجديد المسجد التى **تقول " هذا أول مسجد في الصين بناه سيدنا وقاص رضى الله عنه إذ دخل هذه الدار لإظهار الإسلام بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جدده المتأخرون مرة بعد أخرى - التوقيع فى نهاية النص الوصي سليمان عبد الكريم "**([٣٨]).

ويُلاحظ ان الروايات خلطت إسمى سعد (بـ) وقاص وهو ما أعطى الإنطباع أنه الصحابى الجليل سعد بن وقاص ، ولا يوجد ما يُؤكد ذلك فى تاريخ هذا الصحابى .

---

٣٦ - توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام ص٣٣١.

٣٧ - عُرفت منطقة إقامة التجار فى جوانغتشو بـ "الفان فانج " أى حى الأجانب بالصينى ، وهى المشهورة بـ (كانتون) التى أصبحت تطلق على المدينة .

٣٨ - ليس بالضرورة أن يكون هو الصحابى الجليل لانه مدفون بالمدينة المنورة وربما يكون أحد أقاربه وتذكر بعض الروايات أنه الصحابى عامر بن أبي وقاص جاءهم من هجرته الى الحبشة الهجرة الثانية لكن الثابت انه مدفون بالشام ومات فى عهد عمر بن الخطاب ؛ كما أن لوح تجديد المسجد الذى بناه الإمبراطور فى جوانغتشو وتنسبه للصحابى الجليل كانت قد حفرت بعد البناء بنحو مائة عام وهذه فترة طويلة قد تضيع معها ذاكرة الحقيقة .

الإمبراطور ورؤياه

يروى مسلمو الصين " أن الإمبراطور رأى في منامه " جنيا يطارده فى القصر كاد أن يفتك به ، لولا رجل وقور يرتدي طيلساناً وعمامة بيضاء أنقذه منه " ، وعبر أحد حواريه الرؤية " بأن الرجل الوقور هو نبيّ وُلد في جزيرة العرب ولا يدوم صلاح الصين بدون بركة هذا النبي " ، فبعث الملك إلى النبي يطلب منه بعثا لنشر الإسلام في الصين ، فأجابه رسول الله إلى طلبه وبعث له ثلاثا من صحابته توفي منهم إثنان في الطريق ودفنا فى الصين ([٣٩]) ، وعندما الْتقى ثالثهم الملك **(تذكر بعض النصوص أنه وقاص)** أكرمه وأحسن ضيافته وأمر ببناء مسجد له فى جوانغتشو ؛ سمّاه **(الإمبراطور)** جامع الشوق إلى النبي وهو معنى جياش بالمحبة والإحترام .

وتنسلخ عن الرواية تفصيلات تقول أن مبعوث الملك إلى رسول الله ، قام برسم صورة الرسول سِراً **(٤٠)** سُر بها الإمبراطور كثيراً وعلّقها على الحائط ليسجد لها فمنعه موفد رسول الله قائلا إن ديننا يمنعنا من السجود لغير الله ومن عبادة الصور والتماثيل ؛ فأعجب الملك هذا المبدأ الذى توافق مع هواه ؛ وهو الذى كان ينتقد علنا تسمية أباطرة الصين بإبن السماء ويخالف بعضا من طقوس الكونفوشيوسية وينتقدها علنا.

وتؤكد هيلدا هوخام نقلا عن مصادر صينية **(٤١)** ؛ مضمون رواية مسلمى الصين ولكن بتفاصيل مختلفة ، وهو ما يعطى أساسا لصحة رواية مسلمى الصين فتقول " وعندما إعتلى الإمبراطورالعرش لأول مرة أصابه المرض ؛ ويُقال أن شيطانا كان يُقلق نوم الإمبراطور كل ليلة بقرع باب غرفة نومه بعنف ؛ وأخذ الإمبراطور بمشورة كبار الوزراء بوضع صور بالحجم الطبيعى لحراس واقفين بباب الغرفة وأفلحت الحيلة لبعض الوقت لكن الشياطين عاودت إزعاجه بعد فترة " ، ورواية هيلدا ساذجة فالصينيون ليسوا بهذه السذاجة ليعتقدوا أن شيطانا يمكن خداعه بصورة زيتية.

سعدا أو وقاصا - داعية أومبعوث

ما ورد بشأنهما ، كان ما يرويه مسلمو الصين ، أما سجلات البلاط فلم تذكر سعد أو وقاص صراحة على حد علمى ، وكذلك فعلت مراجع / تانغ "هويهوي يووانلاي" لم تذكر

---

٣٩ - يُقال الصحابة هم سعد بن أبي وقاص ، سيد ، وهب بن أبو كبشة وأخر وفي روايات أخرى أن وهاب أبو كبشة وصل إلى كانتون عن طريق البحر في ٦٢٩ م ؛ وتوجد على سفوح جبل لينغشان مقبرتان تُعرفان بـ "المقابر المقدسة" ، يقال أنها لصحابيين أسمائهم الصينية Sa-Ke-Zu و Wu-Ko-Shun – بينما ذهب الصحابيان الآخران إلى قوانغتشو ويانغتشو.

٤٠ - سبقت الإشارة لما ذكره إبن بطوطة عن مهارة الصينيين فى الرسم التصويرى.

٤١ - فى كتابها تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين – صـ ١٥٠ .

الأسماء أيضا قد يكون بسبب غرابة الأسماء ، وهى تقول " وصل إلى إمبراطورية التفويض السماوي سنة ٦٢٨م **(التاسع الهجرى)** ، " أول سفراء الإسلام " وقد حلّ بشنغان **(عاصمة تانغ)** نزولا على رغبة الإمبراطور/ تاى تسونغ لتأويل رؤياه بشأن رجل حكيم وصادق هلَّ من الغرب **"(٤٢)(٤٣)** .

وواضح من النص أن الرجل ليس تاجرا أو مبعوثا موفدا من دولة وإنما رجل عقيدة يملك نواصيها ويُبشر بها بذاته ، مطلوبا لتعريف الإمبراطور بالرسالة والرسول والرجل هو المعنى الأول بها والقادرعلى إفادة الإمبراطور بالمطلوب فيما يتعلق برؤياه ؛ وعبارة " أول رسول للإسلام " دون الحاقة بسلطان دولة معينة يعنى أنه رسول عقيدة " .

وقد يدل تاريخ وصوله **عام ٦٢٨** فى أخر حياة رسول الله ؛ على أنه موفدا من فعلا من رسول الله ليُقيم الدعوة حسب طلب الإمبراطور إن صح الإدعاء فى هذا الخصوص ؛ فقد يكون هو سعدا الذى وصل بحرا ليصل فى فترة وجيزة (أربعة أشهر) من نفس العام (عام ٦٢٨) ؛ وهذه السنة تتوافق مع السنوات الأواخر فى حياة رسول الله ؛ وتتوافق أيضا مع التوصيف المدون على بلاطة تجديد المسجد بأنه أتى مبعوثا من رسول الله ، ثم عاد ومسألة قبره ليست دليلا على وجود جثمانه فيبدوا انها عادة صينية فالأدميرال شنغ خه المسلم له قبر فى الصين ويقولون أنه مات فى رحلته الأخيرة ودفن بكالكت وفى قول آخر دفنوه فى البحر كتقاليد البحر .

وتؤيد مصادر صينية أخرى فكرة مبعوث الإمبراطور الى رسول الله فقد ورد في كتاب " أصل هوى " للكاتب ليو سان جيه " أن الإمبراطور تاى تسونغ أرسل رسولا إلى سلطان هوى في المناطق الغربية (المدينة المنورة) في العام الثاني من فترة تشن قوان ، فأوفد السلطان إلى بلاط تانغ إمام الإسلام في دولته فقابله الإمبراطور تاى تسونغ بحفاوة ، وجاء فى كتاب " العقيدة الصحيحة في مكة " للكاتب لان شيوى تشى " أن مبعوث رسول الله جاء إلى

---

٤٢ - الإسلام في الصين من البدايات إلى جمهورية الصين الشعبية للمؤلفة الإيطالية فرانشيسكا روزاتي- تقديم التونسى عزالدين عناية.

٤٣ - وبعيدا عما ذكرناه فهناك نص بالسجلات الصينية يذكر أن "سلطان تا شى او داشي" أرسل في السنة الأولى (٦٢٧م) من عهد الإمبراطور تاى تسونغ ؛ مبعوثا إلى الصين بهدية من الدر واللآلئ ، ونحن لا نعتقد بصحة توصيف السجلات للمبعوث بأنه مبعوث سلطان داشى فالعام المذكور كان فى عهد رسول الله ؛ ومن غير المعهود أن يبعث رسول الله بهدايا من هذا النوع ، ولا يُمكن لأى مسلم أن يصف رسول الله بالسلطان ، ومن الممكن أن يكون المشار اليه تاجرا من البحرين هو الذى قدم الهدايا فهى بلاد صيد اللؤلؤ؛ وعادة ما كان التجار يقدمون أنفسهم طبقا لمفهوم تجارة الجزية على أنهم رسل ومبعوثى الدول لإكتساب الإحترام والقبول ، وكانوا يقدمون هدايا نادرة للأباطرة ؛ وإذا أخذنا إحتمالات ألخطأ فى حسابات التأريخ الصينى التى وتصل الى سنوات قليلة فقد يكون المقصود خليفة رسول الله أبى بكر الذى تولى فى هذا التوقيت.

الصين بمهمة تقديم القرآن إليها، فوصل تشانغآن في العام السادس من فترة تشن قوان ؛ ولما رآه الإمبراطور تاى تسونغ إنسانا عفيفا نزيها متضلعا فى العلوم الدينية أبقاه في تشانغآن وأمر بتشييد جامع عظيم تحت أشرافه ليقيم فيه هو ومرافقوه".

كل هذه التوافقات قد توحى بصحة الإدعاء بأنه مبعوث رسول الله ، ولكن كونه سعد بن أبى وقاص فلا يمكن قبوله ؛ فجثمان الصحابى الجليل أمين الأمة مدفونا بالبقيع بالمدينة المنورة وليس فى ضريح مسجد وقاص بالصين ، أما صفته كداعية فهى الأقرب للمنطق وحقائق وجوده ؛ فالنشاط الدعوى يقتضى من الداعية الإقامة الدائمة حتى وفاته ودفنه وهو ما يتفق مع طبيعة الدعوة لهذا الرجل ، فطبيعة هذه المهمة الديمومة والإقامة لفترة قد تطول الى نهاية حياته أو يرحل لما يرى أنه إستوفى مهمته عائدا ؛ وهى تختلف عن مهمة مبعوث السلطان الذى يعود بإنتهاء مهمته وعادة ما تكون قصيرة جدا لا تستغرق عدة أيام ولا يتحرك جائلا داعيا بين الناس ، ومسألة القبر ناقشناها آنفا.

و يمكن توثيق إستنتاجنا حول كون وقاص داعية من عدمه ، بتوثيق سجلات البلاط زيارة مبعوث دولة الإسلام الى الصين في أغسطس عام ٦٥١ أى بعد ٢٣ عاما من تواجد وقاص فى عهد الإمبراطور/ قاو تسونغ **Gaozong (إبن الإمبراطور تاى تسونغ الذى توفى ٦٤٩ عام)** ؛ وصفت فيها المبعوث بأنه " موفد أمير المؤمنين الى الصين" وهذا التوصيف يعنى أنه مبعوث دولة فهناك فرقا بينا بين توصيف البلاط لوقاص فى مقابلته للإمبراطور (الأب) وبين توصيفه لهذا المبعوث الزائر الذى وصفه البلاط الإمبراطورى بأنه أول مبعوث عربى من عند أمير المؤمنين ([٤٤]) ، وفى نص آخر أوضح " في العام الثاني من فترة يونغ هوي([٤٥]) من عهد إمبراطور تانغ/ قاو تسونغ **(يوم ٢٥ أغسطس سنة ٦٥١ م)** ؛ وصل الى تشايغآن- شيآن **(عاصمة تانغ)** مبعوث سلطان داشي داميمونين (أمير المؤمنين) عثمان بن عفان رسولا إلى الصين ، وقد ذكر المبعوث " أن دولتهم قد مضي على وجودها أربعة وثلاثون عاما ، و تعاقب علي حكمها ثلاثة حكام" **(٤٦)** ؛ وهو نص حى بمراسمية الدولة .

وأيا كانت التصورات ، فالثابت أن هذا الإمبراطور الحكيم/ تاى تسونغ ، كان موقفه كريما تجاه الإسلام فقد حسُن إستقباله للإسلام والمسلمين ؛ وفوق هذا كله إتخذ موقفا حياديا من

---

٤٤ - المجلد الرابع من كتاب أسرة تانغ القديم.

٤٥ - فترة حكم تعنى إسم عهده وليس إسم الإمبراطور ؛ وكانت فترة إمبراطور تانغ الأب / تاى تسونغ تُسمى / فترة "تشن قوان" ، وإسم فترة حكم إمبراطور تانغ الإبن / قاو تسونغ – فترة" يونغ هوي" .

٤٦- داشي هى نفس لفظة " تازيان" أي العرب ؛ ويُقال أنها فى الأصل (تنطق تاجى) منقولة عن الفارسية ؛ وكانت إسم قبيلة عربية فى وسط آسيا ومنها جاء إسم طاجيك و طاجيكستان ..و"سلطان داشي" هو عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين (٦٤٤- ٦٥٦ م).

الصراع بين المسلمين والفرس ، الذى مال فيه بوضوح الى جانب المسلمين وحاد فيه عن جانب الفرس .

الموقف الحكيم للإمبراطور/ تاى تسونغ
من الصراع بين كِسرى والمسلمين

يذكر الطبري أن يزدجرد ملك الفرس **(وتذكر المراجع الاجنبية أنه فيروز إبنه)** ، أوفد بعد هزيمته فى معركة نهاوند (٦٤٢م) على أيدى المسلمين مبعوثا إلى ملك الصين يستنهضه ضد المسلمين ؛ فإعتذر ملك الصين عن مساعدته رغم تأكيده للمبعوث إلتزامه بمبدأ تضامن الملوك ضد أعدائهم وقت الأزمات ؛ ويستطرد الطبرى فى روايته فيقول " قال الملك للمبعوث حقا على الملوك الإتحاد فيما بينهم على من غلبهم ؛ وسأله " صف لى هؤلاء القوم الذين رغم قلتهم وكثرتكم أخرجوكم من بلادكم ؛ ولا تبلغ قلة مثلهم وأنتم كِثرة ما تقوله إلا بخيرعندهم وشر فيكم ؛ وتساءل " أيوفون بالعهد " قال المبعوث نعم ، وتساءل وما يقولون لكم قبل أن يقاتلوكم ؛ قال المبعوث يدعوننا إلى واحدة من ثلاث إما دينهم فإن أجبناهم أجرونا مجراهم أو الجزية او المنابذة ؛ قال فكيف طاعتهم أمراءهم قال أطوع قوم لمرشدهم ؛ قال فما يحلون وما يحرمون فأخبره ؛ فقال أيحرمون ما حُلل لهم أو يحلون ما حُرم عليهم ؛ قال لا ، فقال الإمبراطور إن هؤلاء قوم لا يهلكون أبدا حتى يحلوا حرامهم ويحرموا حلالهم ؛ ثم قال أخبرني عن لباسهم فأخبرته وعن مطاياهم فقلت الخيل العراب (الأصيلة) ووصفتها فقال نعم الحصون هى ؛ ووصفت له الإبل و بروكها وانبعاثها بحملها فقال هذه صفة دواب طوال الأعناق "... وحوار الملك يُظهر إلمامه بالكثير من سلوك المسلمين عند القتال .

رد الإمبراطور على ملك الفرس

ورد ملك الصين على ملك الفرس قائلا " لم يمنعني أن ابعث إليك بجيش أوله بمرو **(عاصمة الفرس الجديدة)** وآخره بالصين الجهالة بما يحق علي لكم ؛ ولكن هؤلاء القوم الذين وصفهم لي رسولك لو حاولوا هد الجبال لهدوها ولو خلى سربهم أزالوني ماداموا على ما وصف ، فسالمهم وإرضى منهم بالمساكنة ولا تُهيجهم ما لم يُهيجوك **" (٤٧)(٤٨)(٤٩).**

---

٤٧ - تُضيف المصادر الصينية أن عددا من أبناء السلالة الساسانية ظلوا يترددون على البلاط الإمبراطوري الصيني حتى سنة ٧٣٧م، أى بعد مائة سنة من الفتح الإسلامي لفارس ، أملا فى مساعدة أباطرة تانغ لطرد العرب من فارس.
٤٨ - كتاب " الدعوة إلى الإسلام ".
٤٩ - وصل فيروز ابن يزدجرد إلى مدينة تشانجان الصينية كلاجئ عام ٦٧٤م، حيث منحه الإمبراطور لقب قائد في الحرس الإمبراطوري الصيني وأقام فيها حتى وفاته.

ومن الواضح أن رسالة الإمبراطور الصينى بما تضمنته من تقريع للساسانيين وإمتداح للمسلمين ، جاءت إنحيازا واضحا للمسلمين إنطلاقا من خلفية الإمبراطور الشخصية عن الإسلام.

مواصلة أباطرة تانغ التعرف على الإسلام

أولا - إمبراطور تانغ / قاو تسونغ ([٥٠])

(إبن الإمبراطور تاى تسونغ)

- زيارة مبعوث الدولة الإسلامية

في العام الثاني من فترة يونغ هوي (٦٥١) من عهد إمبراطور تانغ / قاو تسونغ أوفد "أمير المؤمنين"نطقوها **(Damimumuni)** سلطان "داشي" **(عثمان بن عفان (٦٤٤- ٦٥٦م)** رسولا إلى الصين ذكر " أن دولتهم قد مضي على وجودها أربعة وثلاثون عاما وتعاقب على حكمها ثلاثة حكام" (٥١) **" (ينتهى الإقتباس سبقت الإشارة اليه تفصيلا)** .....وهذا المبعوث قد يكون هو الذى رافق مبعوث تاي تسونغ فى عودته من زيارة دولة الإسلام للتعرف عليها والتنويه بموضوع فيروز ؛ التى لم يرد فى أى مصدر أنه تناولها .

قاو تسونغ

- أحاديث وفود التجار عن الإسلام

ذكرت سجلات البلاط فى عهد الإمبراطور/ قاو تسونغ " أن الوفد القادم من أرض بعيدة جدا نقل إلى الإمبراطور أنباء جزيرة العرب التي شهدت ظهور نبي بعثه الله من العرب داعيا إلى التوحيد وأن ملكهم يدعى هنجى موموبي (أمير المؤمنين) ؛ وقامت حكومتهم منذ أربع وعشرين سنة وقد مات منـهم ثلاثة ملوك حتى الآن" .

- رسالة إمبراطور تانغ / قاو تسونغ

إلى معاوية بن أبي سفيان

يذكر القاضي الرشيد بن االزبيرالذى زار الصين ([٥٢]) ؛ أن ملك الصين أرسل إلى

---

[٥٠] - ينطق أيضا جاو تسونغ ؛ ففى الصينية ينطقون ق – جيم فى بعض اللهجات.

٥١ - كتاب تانغ القديم - سجل داشي .

[٥٢] - القاضي الرشيد بن الزبير - كتاب الذخائر والتحف ، تحقيق محمد حميد الله سلسلة التراث العربي - دائرة المطبوعات والنشر - الكويت ،١٩٥٩صـ ١١ – ١٠ نقلا من العلاقات العربية الصينية فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر: نموذج ثقافة الاعتراف الشرقي بين الحضارات- تأليف / حسنة االغامدي.

معاوية بن أبي سفيان بمناسبة توليه الخلافة **(من ٦٦١ الى ٦٨٠ م / ٤١ - ٦٠هـ)** ، رسالة تهنئة ومعها هدية كتاب في العلوم داعيا الخليفة لإرسال مبعوث للصين يُعَرف أهلها بالإسلام ، ما يلى **نصها :**

"من ملك الأملاك (الملوك) الذي تخدمه بنات ألف ملك ؛ وبُنيت داره بلبن (طوب) الذهب وفي مربطه ألف فيل ، وله نهران يسقيان العود والكافور يوجد ريحه من عشرين ميلاً

إلى ملك العرب الذي يتعبد الله ولا يشرك به شيئاً

أما بعد ،

فإني قد أرسلت إليك هدية ليست بهدية ولكنها تُحفة ، فإبعث إلي بما جاء نبيكم من حرام وحلال ، وأبعث إلى من يبينه لي" .

ويُعقب إبن الزبير ، بأن الكتاب لما صارإلى خالد بن يزيد بن معاوية بدأت به حركة ترجمة العلوم وتوطين المعارف الصينية .

ثانيا - طلب إمبراطور تانغ / شوانزونغ
مبعوثا إسلاميا - بعثة هبيرة

ذكرالطبري فى كتابه " تاريخ الرسل والملوك" " أنه لما غزا قتيبة حتى قَرُب من الصين ؛ كتب إليه ملكها **(تانغ / شوانزونغ عام ٩٤ هـ - ٧١٢م)** أن ابعث إلينا رجلا من أشراف من معكم يخبرنا عنكم ونسائله عن دينكم.."

تقدير أباطرة تانغ بيت النبوة وملوك العرب ([٥٣])

يقص إبن وهب القرشي أنه زار عاصمة تانغ عام ٨٧١ م وطلب مقابلة الملك وقدم نفسه بصفته من أهل البيت ، فإهتم به الملك وإستضافه في أحد قصوره وأرسل إلى كانتون مركز التجار العرب لتقصي صحة ذلك ولما تأكد قابله وأغدق عليه العطايا ؛ وجرى بينهما حديثا صنف فيه الملك مراتب ملوك الأرض عند الصينيين ؛ جاء فيه ملك العرب فى مقدم الملوك فقال " إنا نعد الملوك خمسة أوسعهم مُلكًا ملك العراق لأنه في وسط الدنيا والملوك محدقة به وإسمه عندنا ملك الملوك ، وبعده ملكنا هذا وهوعندنا ملك الناس لأن لا أحد من الملوك أسوس منه ولا أضبط لملكه من ضبطنا لملكنا ولا رعية من الرعايا أطوع لملوكها

---

[٥٣] - المرجع - حسنة الغامدى (اسم المرجع – آخر الكتاب).

من رعيتنا ، فنحن ملوك الناس ، ومن بعدنا ملك السباع وهو ملك الترك الذى يلينا ، وبعدهم ملك الفيلة ملك الهند وهو عندنا ملك الحكمة لأن أصلها منهم ، وبعده ملك الروم وهو عندنا ملك الرجال ، لأنه ليس في الأرض أتم خَلقاً من رجاله ولا أحسن وجوها فهؤلاء أعيان الملوك ، والباقون دونهم ".

ويذكر السيرافي الذى زار الصين فى وقت متزامن مع رحلة القرشى في مذكراته نفس المضمون قائلا " أن أهل الهند والصين مجمعون على أن ملوك الدنيا المعدودين أربعة ملك العرب وهم (يجمعون على) أنه أعظم الملوك وأكثرهم مالاً وأبهاهم جمالاً ، وأنه ملك الدين الكبير يقصد الإسلام الذى ليس فوقه شيء ، ثم يعّد ملك الصين نفسه بعد ملك العرب ثم ملك الروم ثم بلهر (ملك الهند) .

الوفود العربية الى الصين فى عهد تانغ

ترددت وفود الأمويين والعباسيين بكثرة على بلاط أسرة تانغ على فترات متقاربة بما فيها أوقات التوتر بينهما خلال عهدها الذى إمتد لثلاثة قرون تقريبا ، وهو ما يُظهر حرص الطرفين على المحافظة على مستوى جيد من العلاقات حتى فى الأوقات الدموية التى إنجرا اليها بسبب تحالفاتهما خلال الفترة من ٧١١ الى ٧٥١ ، وكانوا حريصين فيها على تقديم كل الوان الهدايا القيمة والغريبة **نذكر منها :**

- رغبة حاكم عربى تقديم هدية من الآسود رفض البلاط قُبولها ؛ أوردناها على سبيل المزاح لأنها مثالا فريدا يُظهر جُرأة رئيس البلاط فى مخاطبة الإمبراطورة وو تسيتيان **Wu Zetian** المعروفة بقسوتها وبخلها **(٥٤)** ويقول النص " فى العام الأول من حكم الإمبراطورة وو تسيتيان **(عام ٦٩٦ م)** ، عهد الإمبراطور وانسوي- تونجتيان ...طلب الحاكم العربي أن يُقدم عدداً من الأسود هديةً إلى بلاط أسرة تانغ ، رفضتها الإمبراطورة بعد عرض رئيس الوزراء ياو شو مذكرة بالمضمون عليها ذكر فيها أن "...قبول هدية الأسود أكلة اللحوم سيكون مهمةً شاقةً ومكلفةً فمن العسير توفير اللحوم لها ومن الصعب نقلها بسبب بُعد المسافة ، ولما كانت جلالتك مُقتِّرة على نفسها لدرجة إمتناع جلالتك عن تربية الصقور و الكلاب وتأمرين بعدم تربية الأسماك والحيوانات ، فكيف ستتعاملين ببذخ مع الأسود ؟" .

---

٥٤ - كانت الإمبراطورة وو تسيتيان Wu Zetian من أسرة ثرية أرسلتها الى بلاط تانغ وعمرها ١٤ عاما ، ولجمالها وذكائها إتخذها الإمبراطور تاى تسونغ محظية(مرتبة الزوجة الثانية) لفترة محدودة ؛ ولما لم تنجب إكتفى بها سكرتيرة خاصة لإثنى عشر عاما ؛ ولما مات وكانت فى ٢٥ من العمر ، إتخذها إبنه قاو تسونغ محظية وأنجب منها ولدين وبنت ؛ ولمرضه قامت بدور الحاكم وبعد وفاته حكمت عبر أبنائها القصر من عام ٦٦٥ إلى ٦٩٠ م ؛ ثم نصبت نفسها "إمبراطورا" بإسم "الإمبراطور الأصفر" وعند موتها لم يكن هناك وريثا للعرش من أبنائها (هناك إدعاءات أنها تخلصت من كل نسلها وانتهى عهدها بفضيحة لشخصها)فردته الى الأسرة (موجز عنها فى الملحق الثالث).

زيارات الوفود العربية فترات التوتر

سفارةً الخليفة الأموي سُليمان بن عبد الملك إلى الصين عام ٧١١م **(سنتناولها لا حقا)** ، وكانت محملة بهدايا من عقيق وعباءات منسوجة بخُيُوط الذهب وخُيُول وأحزمة فضيَّة الخ .

زيارة الوفد العباسي (٧٥٣م) .. " فى العام الثاني عشر من فترة تيان باو ، أرسل العربي ذو الرداء الأسود الخليفة العباسي **Xie-duo-he-mi** وفدا برئاسة أمير وانج **Wang** مكون من خمسة وعشرين فرداً لتقديم التحية إلى بلاط تانغ ، ومنح البلاط كل واحد منهم لقب " تشونغ لانغ" ، ولقائدهم لقب قائد شرفي لحرس الشارة ، وأهداه رداءً بنفسجياً ذا علامة ذهبية وحزام السمكة ؛ وسمح لهم الإمبراطور بالعودة إلى بلادهم " ؛ وتمت الزيارة بعد هزيمة تانغ بعامين فى معركة طلاس عام ٧٥١م بيد العباسيين.

وهناك زيارات وفود عربية أخرى الى تانغ منها :

١- في يوم شن-هاي من الشهر الثالث /عام السادس عشر من عهد كاي يوان ؛ ٧٢٨/١/٢٧ م ، قام الأمير العربي Ti-bi-duo-lei ومعه وفد من ثمانية أفراد، بزيارة لتقديم التحية ؛ ومنحه الإمبراطور لقب قائد وسمح لهم بالعودة إلى بلادهم الأجنبية .

٢- في يوم يي- وي من الشهر التاسع من العام السابع عشر من عهد كاي يوان، ٧٢٩/٧/٢٦ م ، أرسل العرب مبعوثين لتقديم التحية إلى بلاط أسرة تانغ ومنحهم الإمبراطور مائة لفافة من الحرير .

٣- في الشهر الثاني عشر من العام السابع عشر من عهد كاي يوان فيما بين ١٥ أكتوبر و ١٢ نوفمبر عام ٧٢٩ م ، أرسل ملك العرب ، الأمير موصلان داجان Mo-si-lan-da-gan وآخرين لتقديم التحية إلى بلاط أسرة تانغ لتقديم هدايا من منتجاتهم المحلية .

٤- في يوم جوي-تشو في الشهر الثاني عشر من العام السابع عشر من عهد كاي يوان في ٧٢٩/١٠/٢٧ م، أرسل ملك العرب ...الأمير موصلان داجان Mo-si-lan-da-gan وآخرين لتقديم هدايا من المنتجات المحلية إلى بلاط أسرة تانغ، ومنحه الإمبراطور الصيني لقب قائد الجوي ومنح جميع أعضاء الوفد عشرين لفافة من الحرير و سُمح لهم بالعودة إلى بلادهم الأجنبية.

٥- في يوم البينج- شِن من الشهر الثاني عشر من العام التاسع والعشرين من حكم كاي يوان في ١٠/٢٨/ ٧٤١ م ، جاء الأمير العربي سامي Sa-mi لتقديم التحية ؛ ومنحه الإمبراطور لقب زوا- جينو- وي ؛ حرس الشارة الإمبراطوري وميزه بمنحه رداءً بنفسجياً ذا شريط ذهبي وسمح له بالعودة إلى بلده الأجنبى.

٦- في الشهر السابع من العام الثالث من حكم تيانباو فيما بين ٢٢ مايو و ١٩يونيو عام ٧٤٤ م، قام Dashi-guo ... (تم حذف أسماء البلدان الأخرى) .. بإرسال مبعوثيهم لتقديم هدايا من الخيل الأصيلة إلى بلاط أسرة تانغ، بالإضافة إلى أنواع أخرى من الكنوز.

٧- في الشهر الخامس من العام الرابع من حكم تيانباو فيما بين ٢٦ مارس و ٢٣ أبريل عام ٧٤٥ م، قام كل من Dashi-guo وشي- مو- جوا She-mo-guo بإرسال مبعوثيهم لتقديم التحية إلى بلاط أسرة تانغ.

٨- بعد هزيمة تانغ فى طلاس عام ٧٥٠م ، في يوم يي- ماو من الشهر الثاني عشر من العام الحادي عشر من حكم تيانباو فى ١٠/١٩/ ٧٥٢ م ، قام العربي ذو الرداء الأسود (العباسى) Xie-duo-he-mi بإرسال مبعوثيه لتقديم التحية إلى بلاط أسرة تانغ ، ومنحه الإمبراطور لقب قائد شرفي لحرس الشارة الإمبراطوري وسمح لهم بالعودة إلى بلادهم الأجنبية.

٩- في يوم شن-هاي من الشهر السابع من العام الثاني عشر من حكم تيانباو ؛ ٧٥٣/٧/١٢ م، أرسل العربي ذو الرداء الأسود أمير

وانج على رأس وفد من خمسة وعشرين فرداً لتقديم التحية إلى بلاط أسرة تانغ ومنحه الإمبراطور لقب قائد ١٢ ، وأهداه رداءً بنفسجياً ذا علامة ذهبية وحزام السمكة و سمح لهم بالعودة إلى بلادهم الأجنبية.

١٠- في ٧٥٨م اشتبك دبلوماسيوا خانات الأيغور مع الدبلوماسيين العباسيين بشأن من سيدخل الى الإمبراطور في تشانغآن أولاً وقام رئيس البلاط بحل الإشكال بإدخال الوفدين من بابين مختلفين على الإمبراطور فى آن واحد

علاقة تانغ بالإسلام
فى عهد الإمبراطور / شوانزونغ

نقفز لعهد إمبراطور تانغ / شوانزونغ (٥٥) لنعرض بعض الأحداث لعلاقتها بالإسلام :

نُبذة عن الإمبراطور / شوانزونغ

حكم لأكثر من أربعين عاما من ٧١٣ الى ٧٥٦ ، وعهده الأطول من بين حكام الأسرة حلت فيه الكوارث بالبلاد وكان مهووسا بمحظيته يانغ قوه هوان ؛ التى كاد غرامه بها أن يقضى على عهد أسرته بتركه عُهدة الدولة لإبن عمها ووزيره الأول يانغ قوه تشونغ ، وما يلى عرضا لأهم الأحداث :

شوانزونغ

الحدث الأول - بعثة هبيرة
مبعوث قتيبة بن مسلم الباهلي
(الخرســــــــانى)

من غريب الأمور فى علاقات الدول أن تتعايش تناقضات سلوكها فى الوقت نفسه ؛ ففى الوقت الذى تنشط فيه المجاملات الدبلوماسية قد يسير الواقع فى الإتجاه المعاكس ، ففى الوقت الذى تتحدَّث فيه السجلَّات الرسميَّة لأُسرة تانغ عن إرسال الخليفة الأُموي سُليمان بن عبد الملك عام ٧١١م سفارةً إلى الصين محملة بهدايا من عقيق وعباءات منسوجة بخُيُوط الذهب وخُيُول وأحزمة فضيَّة الخ سبقت الإشارة اليها ، قام ممثله فى خراسان قُتيبة بعد عدة أشهر (عام ٩٤ هـ - ٧١٢م) ، بإرسال مُقدِّمة جيشه بقيادة كبير بن فُلان لفتح كشغر والتوغَّل فى أرض الصين أوعلى أبوابها ، فبادر إمبراطور تانغ / شوانزونغ (هسوان تسونغ) بمكاتبة قتيبة (الأمويين) ... " أن ابعث إلينا رجلا من أشراف من معكم يخبرنا عنكم ، ونسأله عن دينكم.

ويذكر المؤرخ الموصلى إبن الأثير الجزرى الحدث كاملا فى كتابه " الكامل فى

---

٥٥ - يُكتب أحيانا هسوان تسونغ - وُلد فى ٨سبتمبر ٦٨٥م ومات فى ٣ مايو ٧٨٢م - حكم ٤٣ عاماً من عام ٧١٢ الى ٧٥٦م ؛ وهو سابع أباطرة أسرة تانغ ؛ و عهده الأطول حكما في تاريخ الأسرة ، وكان حاكماً معتدلا ولكن الكوارث حلت به وبأسرته فى أواخر عهده إستتبعها سلسلة من الاحداث على مدى يزيد عن قرن ، ادت لسقوط الاسرة .

التاريخ فيقول " ..... فانتخب قتيبة عشرة رجال لهم جمال وألسُن وبأس وعقل وصلاح فأمر لهم بعدة ومتاع حسن من الخز والوشي وغير ذلك وخيول حسنة (٥٦) ؛ وكان منهم هبيرة بن مشمرج الكلابي ؛ فقال لهم إذا دخلتم عليه (ملك الصين) أعلموه أني قد حلفت أن لا أنصرف حتى أطأ بلادهم و اختم (أختن) ملوكهم و أجبي خراجه".

فساروا وعليهم هبيرة ؛ فلما قدموا على ملك الصين دعاهم (٥٧) ؛ فلبسوا ثيابا بيضاء تحتها الغلائل وتطيبوا ولبسوا النعال والأردية ودخلوا عليه وعنده عظماء قومه فجلسوا ولم يكلمهم الملك ولا أحد ممن عنده فنهضوا فقال الملك لمن حضره كيف رأيتم هؤلاء؟ فقالوا رأينا قوما ما هم إلا نساء مابقي منا أحد إلا انتشر ما عنده ، فلما كان الغد دعاهم فلبسوا الوشي والعمائم الخز والمطارف وغدوا عليه فلما دخلوا قيل لهم إرجعوا وقال لأصحابه كيف رأيتم هذه الهيئة؟ قالوا أشبه بهيئة الرجال من تلك ؛ فلما كان اليوم الثالث دعاهم فشدوا سلاحهم ولبسوا البيض والمغافر وأخذوا السيوف والرماح والقسي وركبوا ؛ فنظر إليهم ملك الصين فرأى مثل الجبل فلما دنوا ركزوا رماحهم ودفعوا خيلهم كأنهم يتطاردون ؛ فقال الملك لأصحابه كيف ترونهم؟ قالوا مارأينا مثل هؤلاء .

فلما أمسى بعث إليهم الملك أن إبعثوا إلي زعيمكم فبعثوا إليه هبيرة فقال له الملك "قد رأيتم عظم ملكي ولا يمنعكم أحدا مني وأنتم كالبيضة في كفي وإني سائلكم عن أمر فإن لم تصدقوني قتلتكم" ، وسأل "لِمَ صنعتم بزيكم ما صنعتم اليوم الأول والثاني والثالث ؟" قال هبيرة "أما زينا الأول فلباسنا في أهلنا و الثاني فزينا إذا أمنا أمراءنا والثالث فزينا لعدونا "؛ فقال "ما حسن ما دبرتم فقولوا لصاحبكم (قتيبة) ينصرف فإني قد عرفت قلة أصحابه وإلا بعثت إليكم من يهلككم" فقال له هبيرة "كيف يكون قليل الأصحاب وأول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون؟ وأما تخويفك إيانا بالقتل فإن لنا آجالا إذا حضرت فأكرمها القتل ولسنا نكرهه ولا نخافه ؛ فإعتدل الملك في كلامه وقال لهبيرة فما الذي يرضي صاحبكم؟ قال

---

٥٦ - نقل الطبري القصة فى كتابه " تاريخ الرسل والملوك" على نفس النحو مع الإختلاف فى مسألة دخول أرض الصين من عدمه فيقول " .. وغل قتيبة حتى قرب من الصين؛ فكتب إليه ملك الصين أن ابعث إلينا رجلا من أشراف من معكم يخبرنا عنكم، ونسائله عن دينكم.." و يُضيف ابن كثير في كتابه "البداية والنهاية" بعض التفصيلات ؛ فيقول " .. دخل الرسل على الملك الأعظم فى قلعة عظيمة حصينة بقدر مدينة كبيرة فى (خان بالق – لم تكن سُميت به بعد إلا فى عهد يوان بعد عِدة قرون) التى يحيطها سور به تسعين بابا ، وهى مدينة عظيمة من أعظم المدن وأكثرها ريعا وأموالا (حتى أن) الهند مع اتساعها كالشامة في مُلك الصين ... وسائر ملوك تلك البلاد تؤدي إلى ملك الصين الخراج لقهره وكثرة جنده ، و عقب على وفد قتيبة بأنه كان يتكون من ثلاثمائة فرد ".. (تعقيب للباحث - ما ذكره إبن كثير عن عدد وفد هبيرة بالثلاثمائة لا يمكن قبولة فمثل هذا العدد كبير لا يمكن إعتباره وفدا فى العرف الدبلوماسى ، والأقرب الى الحقيقة ما ذكره إبن الأثير الجزرى من أنهم عشرة أفراد (٥٥٨-٦٣٧هـ/١١٦٣-١٢٣٩م) ؛ كما أن خان بالق لم تكن قد سُميت هكذا إلا فى عهد المغول ويبدوا أن إبن كثير كتب موضوعه فى عهدهم.

٥٧ - تفيد حوليات تانغ أن هبيرة أبى السجود التقليدي "كوتو" للإمبراطور شوانزونغ – كتاب الإسلام فى الصين - للمؤلفة الإيطالية فرانشيسكا روزاتي..(موجز عز الدين عناية).

إنه حلف ألا ينصرف حتى يطأ أرضكم ويختم (يختن) ملوككم ، ويُعطي الجزية ؛ قال فإنا نخرجه من يمينه ونبعث تراب أرضنا (٥٨) فيطأه وبعض أبنائنا فيختمهم (فيختنهم) ونبعث إليه بجزية يرضاها " فبعث إليه بهدية وأربعة غلمان من أبناء ملوكهم ثم أجازهم فأحسن ، فقدموا على قتيبة فقبل الجزية وختم (ختن) الغلمان وردهم ووطئ التراب وفاء بالقسم .

وفيه قال الشاعر سوادة بن عبد الملك السلولي:

لا عيب في الوفد الذين بعثهم ** للصين إن سلكو طريق المنهج
كسروا الجفون على القذى* خوف الردى * حاشا الكرم هبيرة بن مشمرج
أدى رسالتك التي استرعيته *** فأتاك من حنث اليمين **بمـخرج**

تداعيات المقابلة

تعكس روح المقابلة ومجرياتها ميل الجانبين الى السلمية والتراضى والابتعاد عن التصادم ، ويبدو أن الأمويين والصينيين وقد أنهكتهم حروب كُبرى داخلية وإقليمية ؛ قد رأيا من الحكمة التعاطى الدبلوماسى مع الموضوع فالدبلوماسية عادة ما تأتى بالحلول الفُضلى ؛ وتَبْدا هذا فى صبر الجانب الصينى على الأداء المسرحى للبعثة الأموية على مدى ليال ثلاث دون أن يتدخل البلاط لإنهائها ؛ رغبة منه فى عدم توتير الموقف خاصة وهو يستعد لإنذار إمبراطورية كُبرى تتهدده قابعة على حدوده.

وجاء حوار الإمبراطور وهبيرة معبرا عن الحكمة والتعقل والتغاضى عن موجبات الصراع وهى السياسة الدائمة المتبادلة بين الطرفين لقرون إلا اللَمَم ؛ فقد مالا معا **(الإمبراطور وهبيرة)** الى التعاون للخروج من دائرة الإنجرار للمواجهة فكليهما يعلم حقيقة عناصر القوة والضعف فى مسرح الأحداث والتى تستلزم ذلك المنحى التفاوضى ؛ فملك الصين حاول إستمالة هبيرة بأن يُشعره بأنه يستلهم رأيه ويشركه معه فى الأمر بقوله فما الذي يرضي صاحبكم؟ **(للوفاء بقسمه دون حنس)** ؛ ثم يأتى الملك بحل عبقرى يميل للرمزية سرعان ما قبله هبيرة وكأنه يبتغى مخرجا ، متجنبا الخوض فى شيطان التفاصيل تاركا أمرها للإمبراطور خصوصا أن من بينها أمرا محرجا يتعلق بخِتان الملوك .

---

٥٨ - أرسل الملك مع هبيرة إلي قتيبة بتراب من الصين فى صحاف كبيرة من ذهب ليطأه ، و مال جزيل وأربع غلمان من أبناء الملوك ليتختنهم ليبر بيمينه ، و ذهبا كثيرا ، وحريرا وثيابا صينية لا يدري أحد قدرها ؛ ويقول ابن الفقيه- كتاب البلدان صـ - ٦٢٥" نقلا عن الإمام التابعي الشَعبي قوله "شهدتُ فتح سمرقند مع قتيبة بن مسلم، فبعث إليه بإكليل مفصّل بالياقوت وبجراب من تراب بلده وقال: أبسط هذا التراب وإمش عليه، فإذا فعلت فقد برّت يمينك ؛ وضمن له خراجا في كل سنة .

أما الأداء المسرحى للوفد الأموى ؛ فيُظهر هُلامية الغرض من الزيارة فى مواجهة عملاق بكل المعايير حتى ولو كان منكسرا ؛ فليس الغرض سد الطريق أمامه وإستفزازه وإنما (هَشه) ؛ ولا نعرف بالضبط ماذا تقول السجلات الصينية عن هذه المقابلة ؛ ولكن المصادر العربية بحذاقة وفهم مؤرخيها وشعرائها الذين وعوا قوة بنية العملاق الصينى ، لاحظت سعى هبيرة للمحافظة على ماء الوجه بأى ثمن وهو أمر كان باديا للعيان من الخاصة والعامة ، وفضحه على الملأ شعر سوادة بن عبد الملك السلولي عندما أثنى على الحل الذى أتى به هبيرة وإعتبره مخرجا:

أدى رسالتك التي استرعيته *** فأتاك من حنث اليمين **بمخرج**

ويبدوا أن هبيرة قد خلص من مشاهداته خلال مسيرته الى مقر الملك ؛ صعوبة إقتحام أرض الصين بتحصيناتها الطبيعية والصناعية ؛ من تضاريس صعبة بصحاريها الشاسعة وسلاسلها الجبلية الممتدة التى يدعمها سور حصين ، بخلاف إنتشار شعوب بدوية مقاتلة صُلبة صَعبة المراس على أرضها تسُد الممرات الجبلية الى قلب البلاد ، والصين قادرة بكتلتها البشرية الضخمة على حشد أعداد كبيرة فى جيشها ومن وراء كل ذلك يقف رصيد ضخم من الحضارة والبنية الإقتصادية العظيمة ؛ وهى بمجملها تُبدد قوى أعتى الجيوش المهاجمة .

و حكمة الملك من وراء طلبه إستقدام مبعوث ، هى أن يعى المبعوث خلال خوضه فى الأرض الصينية مكونات قوة الصين بدون ضجيج التهديدات الكلامية الجوفاء ؛ فالعادة يبعث الملوك الرسل لإستجلاء الأمور ولا يستدعونهم إلا إذا كان هناك غرض آخر ، وهو فى هذه الحالة الحكمة المتقدمة(٥٩).

الحدث الثانى إنتصار الإمبراطور / شوانزونغ على الأمويين

(معركتا نامانجان Namangan عام ٧١٥م – و- أكسو Aksu عام ٧١٧ م)

أُغتيل قُتيبة في فرغانة في شهر ذي الحجَّة سنة ٩٦هـ المُوافق ٧١٥م على يد بعض الأعراب الثائرين بعد فترة وجيزة على بعثة هبيرة ؛ وفى نفس العام إصطدم الطرفان الصينى والأموى عندما خلع الأمويون "إخشيد" ملك وادى فرغانة (أفغانستان) ونصبوا الوتار ملكا

---

٥٩ - تمتد سلاسل جبال كونلون الشاهقة لأكثر من ثلاثة الاف كم ؛ و تصل مساحة صحراء غوبي أكبر صحاري أسيا الى مليون ومائتين وخمسة وتسعين كيلو متر مربع ، وبطول ألف وخمسمائة كم وعرض ثمانمئة الفا.

بدلا منه ؛ ففر الملك المخلوع الى كوتشا عاصمة آنشى محمية الصين طالبا العون ؛ فدعمه الصينيون بعشرة الاف جندى أعادوه الى العرش بعد إنتصارهم على الوتار وقوات التحالف التبتى / الأموى فى معركة نامانجان (٦٠) .

وفى عام ٧١٧ م قام الأمويون وحلفاؤهم الترجش(الترك) وقوات التبت بمحاصرة مدينتين فى أكسو لمفاجأة قوة الحماية الصينية فى آنشى ؛ ولكن القوة تمكنت بمساعدة فرسان القارلوك الأتراك من هزيمة التحالف وأرغموا الأمويين على الإنسحاب وقامت الدولة الأموية بفداء الأسرى بالذهب ؛ وكان من نتيجة هذه الهزيمة تخلى الترجش عن الأمويين وإنحيازهم الى الصين ؛ فأنعم إمبراطور تانغ على خانهم سولوك بلقب إمبراطورى ومنحه حكم مدينة **Suyab** ؛ وواصل الخان مهاجمة الأمويين فى فرغانة وإستولى على بعض أراضيها إلا من بعض الحصون(٦١).

الحدث الثالث هزيمة تانغ أمام العباسيين

معركة نهر طلاس عام ٧٥١م (٦٢)

فى السنة الاولى من حكم العباسيين عام ٧٥٠ م توتر الوضع علي الحدود العباسية / الصينية بسبب خلاف بين حاكم وادي فرغانه **(محمية صينية)** وحاكم طشقند؛ وكان يتمركز بالقرب من فرغانه قوات صينية فى تركستان الشرقية بقيادة الجنرال قاو تشيان تشي(جى) " **GAO XIAN ZHI**" الحاكم العسكرى للمنطقة ؛ الذى عرض على حاكم طشقند الخروج الآمن ولكنه غدر به وقبض عليه وأرسله الى العاصمة ليعدمه الإمبراطور بعد أن وشى به لخروجه على موضوع الجزية.

فطلب أمير طشقند المساعدة من أبومسلم والي خراسان **(افغانستان)** فى العهد العباسى الجديد ؛ فحشد أبو مسلم جيشا من خمسة الاف جندى بقياده زياد بن صالح الحارثي فى مواجهة الجيش الصينى الذى يضم ٣٠ الفا **(حسب سجلات الصين)** ؛ فإستخف الجنرال الصينى بجيش المسلمين الصغير (٦٣) ، ووقعت المعركة في يوليو ٧٥١م عند نهر طلاس علي الحدود بين قيرغيستان و كازاخستان .

---

٦٠ - A History Of Chinese Muslim (Vol.٢), Beijing: Zhonghua Book Company. Isbn ٧-١٠١-٠٢٨٩٠-X., Pp. ٢٣٥-٢٣٦

٦١ - ٨ Zongzheng, Xue (١٩٩٢), P. ٥٩٦-٥٩٧,٦٦٩

٦٢ - آخر صدام بين الصين وإمبراطوريات الاسلام .

٦٣ - تقدر سجلات المسلمين القوات الصينية بـ ١٠٠ الف مقاتل ورقم الصين ٢٠ الفا هو أقرب الى الصحة .

ولم يحسم المعركة أيا من الطرفين على مدى ٥ أيام من القتال ؛ إلا الظهورالمفاجئ لفرسان قارلوق الأتراك فى المعركة الى جانب العباسيين (٦٤) بعد أن تخلوا عن تحالفهم المعهود مع الصين ؛ ذلك التحالف الذى مكن الجيش الصينى من الإنتصار فى المعارك السابقة ضد الأمويين ، ومكن الدعم القارلوقى المسلمين من إطباق الخناق على الجيش الصيني بكامله وسقوط الألآف منه قتلي وهروب قائده من المعركة مع بضعة الأف هم من بقوا من جيشه وأسر الجيش العباسى ٢٠ ألف صينى (**الرقم حسب المؤرخين المسلمين غير منطقى ، فلا يمكن لجيشهم البالغ خمسة الاف أن يأسر أربع أضعاف عدده)** ، وأرسل القائد العربى زياد بن صالح الأسرى الى سمرقند **(اوزباكستان)** ثم بغداد وإفتدتهم الصين بالذهب ؛ بينما تذكر مصادر صينية غير رسمية أنه تم تبادل ثلاثة آلاف جندى (أسير) صينى بثلاثة آلاف جندى (أسير) مسلم **(لم تذكر المصادر أنهم أسرى)** ؛ وهو أيضا غير منطقى لأن هذا الرقم من أسرى المسلمين أكثر من نصف الجيش المسلم المنتصر .

كانت معركه طلاس أول وآخر صدام عسكري مباشر بين الصين وإمبراطوريات الإسلام ؛ ولا يُعتد بالمعارك السابقة فى عداد الصدام المباشر فهما لم يخوضاها بألاصالة عن نفسيهما وإنما إنجرا اليها دون رغبة منهما بقرار من القادة المحليين لدعم طرف حليف لهذا أو ذاك ؛ وبالتالى لم يتخلف عنها مرارة عدوانية أبدية ، وكان من السهل تجاوزها وتناسيها وإستمرار العلاقات فى مسيرتها الطبيعية من التعاون ، ويُظهر تصرف القادة المحليين على هذا النحو إنفصالهم عن مركز الخلافة الذى يمكن ملاحظته فى معركة نامانجان عام ٧١٥م و- أكسو عام ٧١٧ م ، اللتين هزمت تانغ فيهما التحالف الأموى التبتى .

ويرى جوزيف نيدهام أن هذه المعركة كانت واحدة من أكثر المعارك حسما فى تاريخ العالم ؛ لأنها وضعت حد فاصلا بين الإسلام والبوذية ؛ وهذا يتفق ووجهة نظره المعادية للإسلام ، ولكن الحقائق تُشير الى غير ذلك فالإسلام إستمر فى تمدده السلمى الهادئ فإعتنق القارلوك وغيرهم من الاتراك الإسلام بعد المعركة بقرنين تقريبا وتمدد الإسلام من افغانستان الى الهند عقر دار البوذية .

أما وقع المعركة على وضع طرفيها العباسيين والصين ، فقد كان باهتا لا يرقى لمصاف الحسم ؛ فالمعارك الحاسمة لا تُبقى على ما هو قائم بل تُحدث تغييرا جذريا سلبا فى أوضاع طرف وإيجابا لحساب الطرف الأخر ، أى فرض إرادة المنتصر وتعطيل إرادة

---

٦٤ - كانت علاقة الخليفة العباسى المعتصم وثيقة بالتركسانيين فمنهم والدته ماردة ؛ كما أن معظم قواده كانوا من أتراك الصغد أهل آسيا الوسطى؛ الذين أسلموا ودعموا العباسيين ضد الامويين ، وقد تكون كل هذه الأسباب وراء اقناع أتراك القارلوك الذين أسلموا بعد عام ٩٤٣م ، بالتحالف مع العباسيين قبل المعركة. .

المنهزم فى تصريف الأحداث ومعطياتها اللاحقة لفترة قد تطول أو تقصر تبعا لإستمرار مكونات الضعف والقوة لأطرافها ، وعلينا قياس الأمر على الصين والعرب بهذا المنطق .

فالصين ذلك العملاق الصُلب إعتاد على مر تاريخه القديم والحديث تجاوز كل الهزائم والمصائب وإبتلاع كل مناوئيها وأعدائها مهما كان حجم هزائمها ، فلم تُفقدها معركة طلاس هيمنتها على أراضيها لقرن قادم على الأقل ، رغم ضُعف تانغ التى سقطت بعد فترة ليس بسبب هزيمة طلاس بل بسبب جملة من الأوضاع المتردية قبل وبعد المعركة من حروب أنهكتها وكوارث طبيعية وتجرأ أمراء الحرب الطامعين (٦٥).

أما عدم إستثمارالعباسيين لنصر طلاس الساحق بإعتصار متزامنة أوضاع تانغ الكارثية المشار اليها فى حاشية رقم (٥٨) ؛ بحصد أقصى ما يمكن من فوائد بما فيها فتح أجزاء من الأرض الصينية ؛ يرجع لإفتقادهم روح الفتح والتوسع التى طغت على الأمويين ، فى وقت كانوا هم (العباسيون) فيه غير قادرون على إستيعاب الأراضى التى ورثوها عن الإمبراطورية الأموية المترامية الأطراف ، وبذلك إنتهى نصر العباسيين الكبير بنتائج باهته توقفت به الفتوح الإسلامية عند حدود الصين ولم تتجاوزها أبد ([٦٦]) ؛ ولكنها على أقل تقدير وفرت لهم سلاما طويل الأمد فى آسيا الوسطى ؛ إستغلوه فى نشر وتعزيز الإسلام وتنمية التجارة ([٦٧])

---

٦٥ - قبل طلاس أنهكت تانغ معاركها الخاسرة مع خيتان في منشوريا شمال الصين وحملاتها الكارثية ضد مملكة نانزهاو الجنوبية ؛ ومع إمبراطورية التبت منذ عام ٧٤٠م التى تمكنت فيها الأخيرة عام ٧٦٣م من الإستيلاء على العاصمة الصينية تشانغآن وإستعادت من تانغ جزءا كبيرا من أراضى آسيا الوسطى ؛ وفقدت الصين خلال تمرد آن لوشان والإضطرابات اللاحقة سيطرتها على المناطق الغربية وفقدت بحلول عام ٧٩٠م حوض تاريم فى تركستان الشرقية ، وتزامن فى غضون هذه الأحداث ، تمرد ليو هوى جان Lui Huizhan فى مدينة يانج تشو Yangzhou فى ٧٥٦ - ٧٥٨ م أوائل عهد إمبراطور تانغ / Zhide - مذبحة التجار العرب والفرس في يانغتشو سنة ٧٦٠ م وتقلص التجارة والكوارث الطبيعية في المناطق الشمالية والوسطى و ما إستتبعها من مجاعة جماعية أودت بحياة الملايين وأنهكت كلها ميزانية الدولة من تردى مدخول الضرائب .

٦٦ - كان توقف الفتوح الإسلامية فى أرجاء العالم موجة عامة بدأت بهزيمة الامويين فى أقصى الغرب الإسلامى بمعركة بلاط الشهداء (بواتييه) بوسط فرنسا سنة (٧٣٢م -١١٤هـ) فى أواخر العهد الأموى ، وإنتهت الموجة فى أقصى الشرق بنصر طلاس عند حدود الصين .

٦٧ - من محاسن نصر طلاس على البشرية إنتقال عدد من المعارف الصينية الى أرجاء العالم ؛ فقد إقتبس العرب صناعة الورق من الأسرى الصينيين العاملين بهذه الصناعة الذين ساعدوا فى إنشاء مصنع للورق في سمرقند و بغداد ؛ وهو ما أشار اليه الأسير الصينى تو هوان Tu Huan فى كتابه سفرياتى (Jing Hsing Chee) عن مشاهداته فى بلاد الإسلام فى القرن الثانى الهجرى (الثامن الميلادى) وهو أسير قضى اكثر من إثنى عشر سنة يتجول فى أرض المسلمين بعد إطلاق سراحه وعاد إلى بلاده سنة ٧٦٢م ؛ نفس العام الذى بدأ فيه بناء بغداد ؛ ويشير فيه إلى وجود صناع صينيين فى العراق منهم أوائل الرسامين والعاملين فى صياغة الذهب والفضة وصناعة أنوال نسج خيوط الحرير، " ؛ وربما يكون مفيداً أن نقدم بعضا مما سجله فى الملحق (١).

ومن الغريب أن هزيمة طلاس الدامية لم تترك أثارا مدمرة على علاقة تانغ بالخلافة العباسية ؛ **فإستمرت زيارات الوفود على النحو التالى :**

- فقد إستقبل بلاط إمبراطور تانغ / شوانزونغ فى عام ٧٥٣م بعد سنتين من المعركة ، سفارة الخليفة أبو العباس السفاح التى حملت معها العديد من الهدايا من بينها ثلاثين جواداً عربياً أصيلا ، إستقبلها بلاط تانغ بترحاب متناسيا مرارة الهزيمة .

- وفي العام الثاني عشر من فترة تيان باو **(نفس عام ٧٥٣م)** إستقبل البلاط أيضا خمسة وعشرين مبعوثا من التازيان السود(الدولة العباسية) ؛ منح البلاط الإمبراطورى كل منهم لقب " تشونغ لانغ".

وكل هذا يُشير الى تجاوز الطرفين المواقف الدامية بسرعة والتمسك بالأساس الجيد والمتين لعلاقات الصداقة التقليدية الطيبة مدعومة بأرضية عريضة من الحكمة والمصالح المشتركة القائمة على تداول التجارة الدولية عماد إقتصاد كل منهما.

الحدث الرابع إستغاثة تانغ بالعباسيين
(ضد تمرد آن لوشان أو(An-shi)

يتوجب علينا التعريف بعدد من الشخصيات قبل أن نخوض فى التفاصيل وإلا إنتقص فهمنا للأحداث ؛ هى إمبراطور **تانغ / شوانزونغ** ومحظيته **يانــغ قــوه هـــوان** و المتمرد الجنرال **آن لوشان (الإمبراطر الجديد):**

الشخصيتين الأولى والثانية
الإمبراطـور تانغ / شوانزونغ
ومحظيته يانــغ قــوه هـــوان Yang Yuhuan
أو يانغ يوهان

كان إمبراطور تانغ/ شوانزونغ **Xuanzong (٥٦عاما)** مفتونا بالجميلات وفى سبيل هوسه بهن كان يفعل ما هو بعيد عن العرف والأخلاق ؛ ففى عام ٧٣٧م ماتت محظيته المحبوبة **Wu** ؛ فحزن عليها حزنا شديدا لم يُخرجه منه إلا عُشقه الجديد للأميرة **يانغ يوهان** السغدية **(من الأوزبك أو الطاجيك)** زوجة إبنه الأمير/ لى ماو الذى لم يمض على زواج إبنه منها سوى أربع سنوات ؛ فقد كانت صغيرة ذات ١٨ ربيعا رائعة الجمال تُجيد الرقص ، وقررالإمبراطور أن يتخذها لنفسه خليلة .

وحتى يتجنب الإستهجان خطط لإعلان رهبانيتها **(تطليقها من إبنه فى العرف الإمبراطورى)** ؛ وأبقاها بالقصر ولم يبعث بها الى الدير وفى غضون فترة قصيرة زوج إبنه

بأخرى ؛ ثم إتخذ / يانغ يوهان محظية ومنحها لقب **Guifei** تعبيرا عن هيامه بها وهو أعلى مرتبة من لقب **Huifei** الذى منحه محظيته المتوفاة.

يانغ قوه هوان

وخصص الإمبراطور للعناية بمحظيته الجديدة الخصى **Gao Lishi** لرعاية أمورها ووضع تحت إمرته ٧٠٠ حائك للعناية بملابسها ، وأغدق علي أسرتها الكثير من النعم ؛ فمنح أنواطا لإسم والدها المتوفى الجنرال بجيش أسرة سوى الحاكمة السابقة التى قام على أنقاضها حكم تانغ ؛ وأنعم على والدتها وأخواتها الثلاث بلقب (ليدى) وأنعم على عمها وولديه بمناصب فى البلاط ؛ وزوج إبنته الحبيبة **Taihua** الى **Yang Qi** إبن عم محظيته .

ومن شدة هيامه بمحظيته كان يُحقق رغباتها حتى لو خرج الأمر عن المألوف ؛ فقد أمر نظام البريد بتخصيص فريق من الفرسان السريعة لموفاتها بالليتشى فاكهتها المحببة من جنوب الصين فى نوبات مستمرة لتصلها فى وقت مناسب ؛ ولم يكن يحتمل إغضابها والبعد عنها ، وإذا تجاوزت حدودها معه كان يُصاب بالندم ويقبل منها صاغرا ما إدعاه توبة .

الشخصية الثالثة

المتمرد آن لوشان

وهو الشخصية الرئيسية فى هذا الحدث فقد تمرد على الإمبراطورية وقاد ضدها حربا أهلية كبرى ، وهو - آن لوشان – كان فى الأصل أسيرا تركيا إستعبده أحد قادة الهان ولذكائه أصبح ضابطا بالجيش ؛ وتقرب الى محظية الإمبراطور المحبوبة لعلمه بمكانتها ، وعندما خسر إحدى المعارك ضد قبيلة خيتان بسبب تهوره طلب الوزير الاول **Li Linfu** إعدامه لكن الإمبراطور عفى عنه وزاد عليه بتعينه فى مناصب القيادة العليا حاكما لإحدى المقاطعات **(٧٤٢ الى ٧٤٤م)** ، ثم أنعم عليه بلقب أمير فى عام ٧٥٠م ثم حاكما عسكريا لـ - هيدونج عام ٧٥١م ثم نائبا للإمبراطورعلى قواد ثلاث حاميات يبلغ مجموع قواتها أكثر من مائة وخمسين ألف جندي يتمركزون على طول النهر الأصفر لتأمين حدود الإمبراطورية.

ولما مات الوزير الأول " لى " عام ٧٥٢م وتولى منصبه **Yang Guozhong** إبن عم محظية الإمبراطور ، وكان على خلاف مستحكم مع آن لوشان ووصل به الأمر الى إتهام الأخير بالتآمر وأعدم بعض معاونيه فى العاصمة ، فأعلن آن لوشان تمرده وتوجه بقواته الى

العاصمة فى ديسمبر ٧٥٥م ؛ فى وقت تأججت فيه ثورة الفلاحين الكبرى من ثُقل الضرائب والمجاعة بوسط الصين فإنضم اليه الساخطون على الاوضاع المعيشية الصعبة التى عمت البلاد.

آن لوشان وإعلان إمبراطورية يان العظمى

إستولي آن لوشان على لويانغ العاصمة الشرقية لتانغ ؛ وأعلن قيام إمبراطورية يان العظمى ونصب نفسه إمبراطورا عليها ؛ وإنضم اليه العديد من الجنود والمسؤولين ثم إندفع الى تشانغآن عاصمة تانغ الرئيسية ؛ لكن القوات الإمبراطورية المتحصنة فى ممرات الجبال المؤدية الى العاصمة أوقفت تقدمه ؛ وفى ربيع عام ٧٥٦ م أمر الوزير الأول - يانج - قوات تانغ بالخروج من مكامنها الحصينة لتهاجم آن لوشان فى السهول فى قرار جانبه التقدير فسحقها آن لوشان فى معركة يونغ تشيو **Yong qiu** وأصبحت العاصمة الإمبراطورية مكشوفة أمام قواته .

هروب إمبراطور تانغ
والحاشية من العاصمة

هرب الإمبراطور شوانزونغ من العاصمة الى شانسى ومعه أسرته وبطانته وحرسه الشخصى وكان مريضا وله من العمر ٧١ عاما ؛ وفى الطريق أثناء الفرار تمرد حرسه الجائع لعدم وجود مؤن وصبوا جام غضبهم على الوزير الأول متهمينه بالتآمر والتسبب فى النكسة العسكرية التى مُنيت بها القوات الإمبراطورية وقتلوه وأسرته ، وطالبوا أيضا بقتل يانغ قوه هوان محظية الإمبراطور ، لكن الإمبراطور لم يستجب إلا بعد ضغط القادة العسكريين الشديد عليه ، فأرسلها مرغما مع خصيها الى معبد بعيد حيث خنقها (٦٨) ، وبعد وصول الإمبراطور ملجأة فى سيتشوان تنازل عن العرش عام ٧٥٦ م لأبنه الأصغر سو زونج **Su zong** البالغ من العمر ٤٥ عامًا.

---

٦٨ - فى رحلة عودة الإمبراطور الى العاصمة بعدما أستعادتها القوات الإمبراطورية عام٧٥٧ ، حاول الإمبراطور حمل جثمانها لاعادة دفنها بما يليق فى العاصمة ولكنهم حذروه ؛ فكلف أحد رسامين البلاط برسم صورتها وكان يتابعه من وقت لآخر ، وكان دائم البكاء عليها كلما مر بحديقة قصر دامينغ ، كلما رأى أزهار اللوتس التى كان يضاهيها بها ، وقد سجل هذه اللحظات شاعر تانغ بو تشو الاول فى مرثيته لها شعرا فقال :
لم يكن عند عودته فى الحديقة أى تغيير .. فأللوتس يُذكره بوجهها والصفصاف بحاجبيها .. وعندما رأى كل هذا لم يستطع حبس دموعه، ويُقال أنها لم تمت وإنما تمكنت من الهرب الى اليابان وكانت على علاقة بالأسرة الامبراطورية فيها ولها قبر هناك ومعروفة بإسم Yōkihi.

العباسيون والإيغــور

ونجدة إمبراطور تانغ/ سو - زونغ لإخماد التمرد

والغريب أن الطرفان الذين كانا منذ فترة قريبة فى صدام دام مدا جسور التعاون فيما بينهما بسرعة ؛ فطلب إمبراطور تانغ/ شوانزونغ بتاريخ القمر التاسع من فترة **Cheh-the** سنة ٧٥٥م قبل تنازله عن العرش لابنه سو تسونغ عام ٧٥٦ م ، مددا من الخليفة العباسي "أبو جعفر المنصور" لردع تمرد آن لو شان فمده الخليفة بعدد كبير من الجنود العرب والفرس تُقدره بعض المصادر بأربعة الاف وأخرى بعشرة ألاف أو عشرين الفا ؛ ورقم العشرة الاف هو الأقرب الى المنطق لان الرقم الأول لا يمكنه أن يكون فعالا فى تقرير مصير حرب بهذه الضخامة وربما عد البعض الأربعة آلاف مقاتل الذين إستوطنوا العاصمة هم كل القوة المسلمة التى شاركت فى القتال ؛ كما مد بيانكور خان حاكم خاقانية الأويغور الاتراك **(تركستان الشرقية)** حليفة تانغ بـ ٢٢ الف مقاتل إيغورى (٦٩) .

وبمساعدة تلك القوات إستعادت قوات تانغ توازنها ومعها العاصمتين تشانغآن و- لويانغ فى العام التالى ٧٥٧م وتراجع الثوار وقُتل لوشان بيد إبنه ؛ الذى قُتل بدوره بيد حوارى والده وشريكه فى الثورة الجنرال / شي سي مينغ الذى تولى المسئولية و تمكن من إسترداد لويانغ من قوات تانغ ؛ ولكنه أيضا قُتل بيد ولده سنة ٧٦١ م الذى أعلن نفسه إمبراطورا على يان .

إنتهاء التمرد وأثار الحرب على الصين

فى مايو ٧٦٢ م تنازل إمبراطور تانغ/ سو زونج المريض بدوره لإبنه Dai zong البالغ من العمر ٣٥ عامًا عن العرش ؛ فإستغل الأخير الفوضى فى يان وهروب الكثير من جنرالاتها وجنودها وإنضمامهم الى صفه ؛ وإستعاد السيطرة على لويانغ في شتاء نفس العام وإنهارت إمبراطورية يان وإنتحر إمبراطورها / شي تشاو يي تجنبا للأسر في ربيع عام ٧٦٣ م ، وإنتهى التمرد بعد ثمان سنوات من الفوضى بنتائجه الكارثية على الصين من ناحية حجم الدمار المادى والبشرى الفادح وما إستتبعه من تدهور إقتصادى حاد بسبب الإنفاق العسكرى الذى إضطر تانغ للإستدانة من حليفتها خانية الإيغور ، علاوة على قلة حصيلة الضرائب بسبب الكوارث الطبيعية ؛ وتقدر الخسائر البشرية بـ ٣٦ مليون نسمة أي حوالي ثُلثي سكان

---

٦٩ - وتوثيقا للعلاقات تزوج الأمير الصينى Li Chengcai عام ٧٦٥ م من الأميرة Pijia ابنة بيانكورخان ؛ وللعلاقات الوثيقة بين تانغ والإيغور حدث إضطراب فى بلاط تانغ عندما حضر وفدين من خانة الإيغور وفى نفس الوقت وفد عباسى عام٧٥٨ فى كيفية التعامل معهما دون الإخلال بألأسبقيات فى الدخول على الإمبراطور وإنتهى الحل بدخول الوفدين فى آن واحد من بابين مختلفين كما سبقت الإشارة ، وذلك بعد حرب طلاس بثلاث أعوام .

الإمبراطورية وسدس سكان العالم في ذلك الوقت ؛ حيث كان عدد السكان فى آخر تعداد تم إجراؤه قبل التمرد في ٧٥٥م حوالى ٥٣ مليونا إنخفضوا الى ١٧ مليونا فى إحصاء عام ٧٦٤م ، وهو العام التالى لنهاية التمرد **(٧٠)**.

توطن القوات المسلمة بالصين

عاد بعض أفراد القوة الإسلامية الى بلادهم محملين بالهدايا الثمينة ، بينما رفض البعض الأخر المغادرة وتمردوا عند ترحيلهم بحرا من ميناء كانتون ؛ فسمح لهم الإمبراطور فى منحى تسامحى معروف به أباطرة تانغ نحو المسلمين بالإستقرار فى العاصمة ومنحهم أراض وسكنا وتزوجوا بصينيات (٧١) ؛ وتشير سجلات تانغ أن الدولة كانت تدفع لأسرهم البالغ عددها أربعة آلآف ؛ خمسمائة ألف أوقيـة مـن الفضة سنويا .

---

٧٠ - المصدر كتاب " أفضل الملائكة من طبيعتنا" – لـ ستيفن بينكر.

٧١ - يذكر سير توماس ارنولد فى كتابه الدعوة للاسلام صـ ٣٣٣ نقلا عن Ds Thiersant,Vol.١.١-٧٠ Pp - أن الجنود المسلمين تجمعوا فى كانتون (قوانغتشو) إستعدادا للإقلاع الى بلادهم ، ولكن بعض المستوطنين فى المدينة من العرب عيروهم بأكل لحم الخنزير اثناء الحرب ؛ مما جعلهم يرفضوا الرحيل خوفا من عتاب وسخرية أهل أوطانهم منهم لنفس السبب ، وحين حاول حاكم المدينة إجبارهم على الرحيل تمردوا محدثين فوضى بالمدينة وسلبوا المتاجر فهرب الحاكم ولم يعد حتى آذن لهم إمبراطور تانغ/ سو زونغ بالاقامة وخصص لهم أراضى ودور لاقامتهم فى العديد من المدن حيث إستقروا وتزوجوا - وفقًا لتقرير حكومة قوانغتشو بتاريخ ٣٠ أكتوبر ٧٥٨ م الموافق يوم جويزيمن من الشهر القمري التاسع في السنة الأولى من عهد تشيان يوان لإمبراطور تانغ/ سو زونغ ؛ عن الحادث يقول إندلعت اضطرابات فى قوانغتشو ؛ هاجم فيها المرتزقة العرب والفارسيون المستودعات في قوانغتشو (خانفو) في عام ٧٥٨ م .

بلورة سياسة تانغ الإسلامية

تبلورت سياسة تانغ فى عصر إزدهار الإسلام بالإيجابيات التالية :

إستيطان المسلمون الصين

بدأت هجرة المسلمين الى الصين فى عهد إمبراطور تانغ / تاى تسونغ ؛ عندما إستقبلت الصين فى عهده أفواج من تجار العرب والفرس إستقرت فى الساحل ؛ ثم تبعتها فى عهد الأسرة أيضا هجرات من عناصر إسلامية أخرى من العرب والفرس ومسلمى وسط آسيا منها هجرة شيعية لعناصر من خراسان جاءت في القرن الثاني الهجري **(التاسع الميلادى)** فرارا من البطش الأموي وعملت بالتجارة وإنضمت لتجار الساحل ؛ وقد المح مؤرخ صيني عام ٧٤٢ م الى هذه الهجرات بقوله " أن برابرة الغرب (٧٢) دخلوا المملكة الوسطى جماعات كالطوفان قادمين من مسافات تبعد الف فرسخ على الأقل ؛ أتت من أكثر من مائة مملكة تحمل معها كتبها المقدسة ؛ التى أُخذت منها ووُضعت فى بهو بالقصر الإمبراطورى خُصص لترجمة الكتب المقدسة والقانونية ؛ ومنذ ذلك الحين إنتشرت العقائد الدينية لتلك الاقطار وإعتنقها الناس فى تانغ " .

تعايش تانغ مع تقاليد الإسلام

هيأ نشاط التجار المسلمين فى إدارة تجارة الصين الدولية وإستثماراتهم الضخمة فيها ، هيأ لهم مكانة مركزية فى الإقتصاد الصينى وأصبحوا أحد مفردات القوة داخل النظام ؛ إستوجبت إحترام الدولة لخصوصياتهم وأخذ إحتياجاتهم ومطالبهم الإجتماعية والثقافية والدينية فى الإعتبار ؛ بمعنى أوضح تقبلت تانغ التعايش مع تقاليد الإسلام وعادات أهله بشرط إحترام المسلمون مضمون تبعيتهم للدولة وعدم المساس بمقدساتها وعلى رأسها الكونفوشيوسية .

وقد جنب هذا التوافق الإسلام والمسلمين الصدام مع أباطرة تانغ والمجتمع الصينى ، فلما أطاحت الإمبراطورة وو تسيتيان **(٦٩٠ -٧٠٥م / عهد تانغ)** بالمسيحية لمنافستها البوذية لم تتعرض للإسلام بسوء ، ولما شن إمبراطور تانغ / وو تزونج حملته ضد البوذية عام ٨٤٥م لمنافستها الكونفوشيوسية وأغلق لها ٤٦٠٠ معبد و٤٠ الف مبنى مضطرا رهبانها وكهانتها البالغ عددهم ٢٦٠ الف راهب بوذى للعودة للحياة المدنية ، لم يمس إمبراطورتانغ الإسلام

---

٧٢ - السير توماس أرنولد - كتاب الدعوة الى الإسلام .. كان من عادة الصينيين أن يصفوا الأجانب بالهمج وفى هذا الموضع يتحدثون عن العرب والفرس ، وبعد تدخل الإنجليز فى الشأن الصينى فرضوا على الصينيين منذ سنة ١٨٦٠ م إستخدام لفظ " أجنبي " بدلا من همجي أو بربري "- المرجع . قصة الحضارة صـ ١٠٨٩ .

ولا مساجده ولا المسلمين بسوء.

الـ فان فانج (الفصل الجغرافى)

ومع تضخم مجتمع التجار ظهرت مشكلة تضارب الثقافات ، ولما كان مجتمعهم متمركزا فى محيط واحد ؛ إعتمدت حكومة / تانغ سياسة الفصل الجغرافى بين الطوائف بتخصيص حى خاص لمعيشة التجار المسلمين لتجنب الإحتكاك مع العرقيات المحلية ، ثم تقبلت نظام شيخ التجار الذى يختارونه بأنفسهم لحل ما يثور بينهم من مشكلات ، وتطور الأمر ليمارس التجار إدارة مجتمعهم طبقا لأعرافهم الخاصة دون الإنتقاص من هيمنة القانون الصينى فيما يُسمى الـ (فان فانج) أى حى الأجانب ، وأدار المسلمون بإعتبارهم الأغلبية هذه المجتمعات المعروفة بالكانتونات فكان منهم رئيس الحى أو كبير التجار أو شيخهم .

تولى المسلمون الوظائف العامة

ومع ظهور جيل جديد من المسلمين من الزيجات المختلطة مع الهان ؛ له إرث أصيل من الثقافة واللغة الصينية وأصبح طرفا فى المجتمع ، عملت حكومة تانغ على أخذ إحتياجاتهم فى الإعتبار ترضية للتجار وإعتبارهم شبه مواطنين مما عزز شراكتهم القائمة على المصالح التجارية والمجتمعية ، فسمح إمبراطور تانغ/ شوانزونج **(٨٤٧-٨٥٩م)** للأجيال الجديدة بالعمل بالجهاز الإدارى للدولة وخصصت لهم الحكومة حد أدنى للمشاركة فى إمتحان التوظف **(أعلى أكاديمية دراسية في الصين القديمة)** ؛ ومن أشهر من إجتاز هذا الإمتحان من المسلمين أنصاف الصينيين / لي يان شنغ وكان له شأنا عظيما ، كما أشركت الحكومة الشخصيات المتميزة من أبناء المجتمع المسلم فى الإدارة .

ولما تأزم وضع الصين المالى نتيجة الدمار المادى والبشرى الهائل الذى لحق البلاد من جراء ثورة آن لوشان (أنشى) وما صاحبها من كوارث الطبيعة والفظائع ضد التجار ؛ غادر بعض التجار البلاد ؛ وحاولت الحكومة ترضية من لم يرغب بالعودة لموطنه من مندوبى الجزية بتعيينهم فى وظائف عامة بالإدارة المدنية والعسكرية ، ولما ثار البعض منهم فى جوانغتشو عام ٨٣٤م بسبب إجحاف الضرائب ومحَصليها ؛ لم تحاول الحكومة مُعاقبتهم بل الغى إمبراطور تانغ / ون تزونج الضرائب المزدوجة على السلع المستوردة إرضاء للتجار وأعاد سلطة تحصيل الضرائب الى يد الحكومة المركزية لتجنيبهم سوء معاملة المحليات ، وزاد على ذلك بمنحهم حق الاقامة الدائمة وحرية الحركة.

رغد المجتمع المسلم فى صين تانغ

كانت العلاقات بين التجار والصينيين ودية فى الاماكن التى تجاوروا فيها خارج أحياء سُكنى الأجانب فى معظم الأحوال ، ويتحدث /سيما جوانج مؤرخ أسرة سونغ فى كتابه " المرآة الشاملة للمساعدات الحكومية فى عهد تانغ **Zhi Tang Jiane** " " عن أوضاع المجتمع الإسلامى فيقول " سكن الأجانب تشانجان لأكثر من أربعين عاما ، وتزوجوا جميعا بنسوة

صينيات وأنجبوا وحققوا أرباحا من الرهون العقارية فى ممتلكاتهم وأراضيهم فى ظل جو سلمى ، ولم يكن أحدا منهم يرغب فى العودة الى بلده " ، وتُشير سجلاط بلاط تانغ فى تعقيبها على حياة التجار المسلمين فى الصين الى تكوينهم ثروات ضخمة ولبسهم الذهب والفضة كما نوهنا قبلا .

المسلمون والتطبيب والأدوية العربية

إنفرد الإيرانيون بصناعة وتجارة الادوية في الصين منذ عهد تانغ ، ففي عام ٨٢٤ م مد الصيدلانى لي سوشا - الفارسى / النسطورى إمبراطور تانغ / جينج تسونج **Jingzong** بأنواع خاصة من الادوية ؛ وكانت هذه العائلة النسطورية تتعامل مع الكيمياء الدوائية والعطور والبخور وتحتكر تجارتها وقامت بدور رائد فى ترجمة كتب التداوى العربى الى الصينية والكتابة فى علم الأدوية ولها مراجع فيها .

ثانيـــــا أسرة سونغ
٩٠٧ـ١١٢٥م
(عصر التجارة الذهبى)

تميز عهد سونغ بالنهوض بالتجارة البحرية لتعزيز الطفرة الاقتصادية التى حققتها البلاد حتى أصبح عهدها عصرا ذهبيا للتجارة والتجار ، فقد ساهم التجار المسلمون بنصيب وافر فى تحقيق ذهبيته بإنجاح جهود سونغ فى دفع التجارة الخارجية وتحقيق نصيبا وافرا من الثراء للبلاد ومعها تجار الإسلام ، الذين نوه كتاب تاريخ كانتون لعصر داو جوانج ؛ بثرائهم بأنهم لبسوا الحرير وتزينوا بالذهب والفضة هم وزوجاتهم ؛ وإزدادت عددا طائفتهم المنحدرة من تناسلهم بالصينيات([٧٣]).

وإستعاد التجار المسلمون مكانتهم كقوة داخل النظام من جديد وتحول مجتمعهم الى قوة مركزية وتعاظم نفوذهم عما كان فى عهد تانغ ؛ و إنفتحت حكومات سونغ على عالم الإسلام فإستدعت عناصر من أسيا الوسطى للإستقرار فى الصين ، ومع تضخم مجتمع التجار المسلمين سنت الحكومة القوانين لترتيب أوضاع مجتمعهم.

إستقدام هجرات من مسلمى آسيا الوسطى

كان عزوف النبلاء الصينين عن الإلتحاق بالجندية لمشقته والخدمة فى الأماكن النائية ، وراء إستقدام سونغ هجرات من آسيا الوسطى لأغراض أمنية ، للإستعانة بهم فى حماية حدودها من غارات البرابرة ؛ ففي عام ١٠٧٠ جلب إمبراطور سونغ /شينزونغ (١٠٦٧-١٠٨٥) ٥٣٠٠ من مسلمى بخارى للتوطن في شمال شرق الصين للمساعدة في التصدى لإعتداءات إمبراطورية لياو ؛ تم توطينهم فيما بعد بين كايفنغ عاصمة سونغ وينشنغ (بكين الحديثة) ؛ وفى عام ١٠٨٠ م جلب نفس الإمبراطور عشرة آلاف مسلم بقيادة أمير بخارى " So-fei-er " لنفس الغرض وقد تفرقوا فى جميع الولايات ، علاوة على أعداد كبيرة من مسلمى آسيا الوسطى لجأت الى الصين ؛ هربا من فظائع جيوش جنكيزخان الى سماحة حكام سونغ ، بعد أن عصف المغول ببلادهم.

---

[٧٣] - سبق الخوض فى تفاصيله على نحو واف فى الجزء الخاص بالتجارة والتجار .

أوضاع المسلمين فى عهد سونغ

طورت سونغ إدارة مجتمعات الفان فانغ (الإدارة الذاتية) فأصبحت منذ عهد إمبراطور سونغ / شين زونجغ تُطبق ما يُشبه الحكم الذاتى ؛ فعينت للحى رئيسا من تجارالعرب كموظف حكومى مسئولا أمام الحكومة عن الشئون العامة للمسلمين([٧٤]) ، عليه أن يلتزم بلبس الزى الصينى ويحمل لوح الطقوس ؛ وينفذ ما تكلفه به الدولة من مهام نيابة عنها مثل دعوة الأجانب للوفاء بجزية التجارة ؛ وتحصيل الضرائب وحل النزاعات التى تشجر بين أعضاء المجتمع المسلم ومعاقبة الجناة وحبسهم بإستثناء الجرائم الكبرى أو التى يكون أحد أطرافها صينيا فهى من إختصاص الحكومة " .

القوانين الخاصة بتنظيم أوضاع المسلمين

نظمت القوانين بعض جوانب العلاقات الزوجية بين المسلمين والصينيين منعا للمشكلات ؛ مثال القانون الصادر فى السنة ٢ من فترة جنفوان - يونيو عام ٦٢٨م عهد الإمبراطور **Zhenguan** ؛ بمنع التجار الاجانب من إصطحاب زوجاتهم الصينيات الى بلدانهم الأم إذا لم يرغبن ، وفرض - لو يون - حاكم جوانغتشو (كانتون) فى عهد سونغ بعض اللوائح بحظر الزيجات المختلطة عقابا لتضامن طرفيها ضد السلطة عند فض نزاعاتهم ، ومنع التجار من شراء عقارات وسط المدينة بعدما تسبب أحد الصينيين الذين أسلموا حديثا بإثارة مشكلة برغبته بناء مسجد يطاول معبد كونفوشيوسى بالمنطقة **(لم يُعمل به بعد هذه الحادثة)** .

وكانت القوانين التى تُطبق على الأجانب ؛ تُعلى من شأن الصينيين على من عاداهم فى النزاعات التى يكونوا فيها طرفا ؛ ويُعاقب التاجر الأجنبى عقابا شديدا إذا تنمر على فرد من أهل البلاد ، ومن ينحاز للأجانب فى مظلمة طرفها صينى يكون عقابه الموت ، وحدد القانون بشكل لا لبس فيه مناطق سكنى الأجانب حتى لا يتداخلون مع سُكنى المحليين لوأد النزاعات بينهم.

وبُنى المسلمون كِثرة من المساجد فى عهد أسرة سونغ فى العديد من تجمعاتهم ؛ بعضها على نفقة الأباطرة كمسجد نيوجيه (مسجد الرابية بشارع البقر) فى بكين المتقدم الذكر ، ومسجد دينغشيان بمقاطعة خبى والمسجد اليمني خارج قوانغتشو (مدينة الزيتون) وغيرها من مساجد سبقت الإشارة اليها ، وكثرة المساجد دليل على وجود كثيف للمسلمين من العرب

---

[٧٤] - كان النظام المتبع فى عهد تانغ قيام التجار بإختيار شيخ التجار بأنفسهم لهذه المهمة ، وإستمر العمل بنظام رئيس الحى للفصل فى الموضوعات حتى عهد المغول الذين فصلوا الإختصاص الى مدنى بإشراف قاضى ، ودينى بأشراف شيخ الإسلام ، وهو ما أشار اليه إبن بطوطة بقوله " وفي كل بلد من بلاد الصين شيخا للإسلام تكون أمور المسلمين كلها راجعة إليه وقاض يقضي بينهم.

والفرس وآسيا الوسطى.

سونغ والمعارف العربية فى الفلك

وظفت سونغ سنة ٩٦١م مسلماً عربياً قدم من مكة لعمل تقويم زمني ، وقد نجح خلال عامين فى إدخال النظام الأسبوعي بدلا من النظام العشري الذى كان سائدا فى الصين ، وعلمهم حساب مواعيد ومدارات الأبراج الاثنى عشر والكسوف والخسوف ، وتكريما له منحه الإمبراطور لقب شرفى وعينه رئيسا للمرصد الملكي.

الطب والأدوية

كانت عائلة لى شون شيان Shunxian مسيحية من تجار الفرس الأثرياء حضرت الى الصين فى اواخرعهد تانغ ؛ ثم إنتقلت فى عهد سونغ إلى بياندو (مقاطعة خنان) ؛ حيث غير إمبراطور سونغ لقب الأسرة الى "ليانغ" وإختصاره لى ، وكانت الأسرة تعمل بالكيمياء الداوئية والعطور ؛ وقام لى شون أحد أفراد الأسرة بترجمة كتب الأدوية العربية والفارسية ، كما كتب كتاب الأعشاب والعقاقير الطبية الذى ضم مائة نوع من العقاقير وإحتكرت العائلة تجارة الأدوية منذ عهد الأسر الخمس بعد سقوط تانغ ، وعاشت في بلاط إمبراطور شو/ وانغ تسونغيان في تشنغدو ، الذى إتخذ لي شون شيان أخت لي شيان الجميلة محظية، وهاجرت الأسرة فيما بعد خلال الفترة ما بين ١٣٦٨- ١٣٩٨م إلى نانجينغ .

نشر العرب الأدوية التى تعتمد على اللبان (يُفسر إشادة بلاط سونغ بالتاجر العربى العملاق لإستيراده كميات ضخمة منه) والادوية المخدرة العربية التى كان الصينيون يستوردون جذور الداتورا الصفراء من عند العرب لأجلها ، كما تعلموا منهم طريقة التقطير الدوائى .

ثالثا أسرة يوان (المغولية)
(١٢٨٠- ١٣٦٨م)
عصر الإزدهار الكبير
للإسلام والمسلمين

قوبلاى خان([٧٥])

كانت جيوش قوبلاى خان تضم عند قدومه الى الصين غازيا عددا كبيرا من مسلمى آسيا الوسطى من الترك والإيغور والقارلوق وهؤلاء كان لهم دورا كبيرا في نجاح المغول في غزو الصين وكان للتحالف معهم جذور ممتدة مشدودة ببعض الأواصر الثقافية ناهيك عن الإرتباط العرقى مع بعضها ولهذا السبب كانت لهذه العرقيات حظوة لدى يوان ؛ التى ولتهم الكثير من المناصب الحاكمة في الصين ، فمنهم كان معظم كبار موظفى الحكومة عامة والوحدات العسكرية خاصة في المنطقة الجنوبية.

ولما كانت الصين كبيرة بمساحتها وتعداد سكانها ، وهما معا أضخم من أن يتمكن المغول بأعدادهم القليلة من السيطرة عليها وإدارتها ؛ جلب قوبلاى خان دفعات إضافية من مئات الألاف ([٧٦]) من مسلمى وسط وغرب آسيا الى الصين فى مختلف المجالات من علماء وحرفيين للإستعانة بهم فى بناء الدولة وإدارتها تجنبا لإستخدام الصينيين حتى لا يُغريهم وجود السلطة فى ايديهم على التمرد.

وقد دفعت هذه السياسة الوجود الإسلامى فى الصين بقوة ، مدعومة بما كان معروفا عن المغول من تسامح مع حرية العبادة والمعتقد ([٧٧]) ، وهو تقليد أرساه جنكيزخان الذى كان قد أصدر قانونا لحماية المسلمين إذ ينص " من قتل مسلما عليه أن يدفع غرامة من الذهب قيمتها أربعين بالش **(وحدة وزن)** ([٧٨]) " ؛ وإتبع قوبلاى خان ومن بعده مونغكه خان هدى كبير الأسرة ؛ فالأخير تدفق في زمنه عدد كبير من المسلمين من مختلف الفئات من غربي آسيا وأوسطها إلى الصين وتغلغلوا في منغوليا نفسها ، وكان لتجار المسلمين مجتمعا فى عاصمتهم كراكوروم يُسمى حى السرسينيين ، ورغبة فى إستقرار الهجرات الإسلامية لم

---

[٧٥] ـ كان قبلاى أول ملوك المغول في الصين حفيد جنكيز خان .

٧٦ ـ كان المغول يعطون الأفضلية للحرفيين وتقدر بعض الوثائق أعدادهم بمائة وثلاثون الفا بينما يقدر البعض الآخر العدد بمليون – المرجع تاريخ الصين الكامل صـ ٣٧٩ .

[٧٧] ـ كان قبلاى خان رجلا متسامحا مع الديانات فقد طلب من ماركو بولو إبلاغ البابا برغبته إرسال ٧٠٠ مبشر لنشر المسيحية مع تكفله بنفقات معيشتهم ، وقد بلغ عدد المسيحيين ٣٠ الفا فى عهد المغول .

[٧٨] ـ تاريخ العلاقات الصين ية العربية ـ تأليف: قوه ينغ ده ـ ترجمة: تشانغ جيا مين.

تتأخر حكومة يوان عن بناء المساجد على نفقتها كما حدث ببنائها مسجدا في سونغجيانغ.

و بالرغم من كل هذا لم يخلوا الأمر من بعض المنغصات التى طالت المسلمين واليهود ، ولكن أمكن التغلب عليها بسماحة بعض خانات يوان.

مواقف قوبـــــلاى خان الودية نحو الإسلام والمسلمين

- تسامح قوبلاى خان مع إسلام حفيده الامير أنندا - " أه نان دا "ah nan da ومعه مائة وخمسون الفا من المغول .

- هو (قوبلاى خان) من فتح الباب أمام تدفق الثقافة الإسلامية وتراثها الى الصين بمن جلبهم اليها من علماء المسلمين من الممالك الإسلامية .

- الإستعانة بخبرة مسلمى الصين وغيرهم من الترك فى إدارة الصين.

- تزويجه أميرة مغولية من الصين بأرغون خان المسلم المغولى حاكم خراسان وأرسلها اليه عام ١٢٩٢ فى موكب من ١٤ سفينة عليها ٦٠٠ حارس وبحّار ؛ أبحرت الى هرمز ومنها برا الى خراسان وأرسل معهم الرحالة ماركو بولو ، ولما وصلت الأميرة كان أرغون خان قد مات فتزوجت إبنه محمد .

- إنتشر الوجود الإسلامى منذ بداية عهده فى أرجاء الصين حتى قيل ان هناك مسلما فى كل مكان تحت السماء فى عهد يوان ؛ ويسجل لنا راهب صينى أن جميع سكان تاليفو (عاصمة يونان) كانوا من المسلمين ، وعن مدى تآلف الصينيون مع الإسلام يعقب المؤرخ البروفيسور تشن يوان بأن للإسلام جاذبية قوية يصعب تصورها فى ذلك العهد.

ونتناول بعضا مما ذكرنا بالتفصيل:

- إسلام حفيده الامير أنندا :

هو الأمير المغولى / أنشيوانج أناندا (أه نان دا) ؛ حفيد قوبلاى خان وسليل جنكيزخان ؛ نشأ فى تانغوو وربته سيدة مسلمة كانت له أما بالرضاعة ؛ ولما كبر إعتنق الإسلام وكان على حد وصف الكاتب الصيني المسلم إبراهيم فنغ جين يوان " مسلما مخلصا يقرأ القرآن ويكتب بالخط العربي ويأمر بختان أطفال المغول ، ولما أصبح أميرا لإقليم آنسي an – si (٧٩) وتولي حكم تانغوو في العام الأول من فترة تشى يوان ، نجحت جهوده فى إسلام معظم جنوده البالغ عددهم مائة وخمسين ألفا ، بخلاف من أسلم من سكان الولاية لأسباب اجتماعية مختلفة

٧٩- Muslim In China By Hj Ibrahim T.Y.Ma (J.S.M.) صـ ٤١- نقلا عن الفصل السادس من الجزء الثالث من تاريخ المغول – تاليف تو سان.

كالزواج وإسلام تابعو الرؤساء ولم يكن عدد هؤلاء قليلا.

ورغم مودة قوبلاى خان مع المسلمين إلا أنه إستجاب لوشايات بعضا من أمراء المغول المتعصبين لمواثيق المغول وتراثهم والمتعاطفين منهم مع المسيحية ،الذين ضايقهم إسلام / أننداً وقيامه بالدعوة للإسلام بين المغول ، و تمكن الأمير / تشينج زونج تيمور أقوى المعارضين من إقناع قوبلاى خان بمخاطبة آننداً فى الأمر **(٨٠)**؛ فأرسل الخاقان الأعظم رجلين إلي آننداً ليردوه عن الإسلام ويكف عن الدعوة ؛ لكن آننداً لم يأبه للأمر وإستمر فى دعوته ، فإضطر الإمبراطور أن يرضخ فى النهاية ويأذن له ولمن معه بالإسلام .

وظل تشينج زونج تيمور يتربص بـ " آننداً " الى أن توسد عرش الإمبراطورية بعد موت قوبلاى خان ؛ فإعتقل آننداً ولما خاف من ردة فعل المغول على إعتبار أنه حفيد جنكيز خان عجل بقتله.

- إستعانة أسرة يوان بالمسلمين فى الإدارة

ولما كان المغول أهل حرب لا أهل حضارة ، فقد إعتمدوا على ثقافة عالم الإسلام وحضارته فى بناء دولتهم بالصين ؛ بعدما عايشوا تلك الحضارة التى سادت العالم آنذاك ، وإستمرالمغول بعد إستقرارهم فى البلاد فى جلب هجرات إسلامية ضخمة ؛ بمئات الألاف من الحرفيين والعلماء لإنجاز مشروعاتهم الضخمة (بناء العاصمة الجديدة - تمهيد الطرق – إستكمال مد القناة العظمى الى العاصمة – بناء شبكة من القنوات لإمتصاص مياه الفيضانات الكاسحة – تأسيس المراكز العلمية كمراصد الفلك وصناعة أجهزتها - ترجمة أمهات الكتب – صناعة الأسلحة كمدافع المنجنيق ؛ بالإضافة للإستفادة التقليدية بخبرات مسلمى الصين فى إدارة تجارة البلاد الدولية لضخ عوائدها فى ميزانية الحكومة ومشروعاتها القومية .

وقد أهلت قدرات المسلمون الثقافية والمهنية والحرفية ووجاهة تجار الصين المسلمين المالية ، أهلتهم ليحتلوا مكانا عليا فى أفضليات التسلسل العرقى لدى أسرة يوان ؛ فإحتلوا المرتبة الثانية بعد المغول وقبل الصينيين ، وأتاح هذا للألاف منهم تقلد أعلى المناصب فى عهدى قوبلاى خان و تاكوتار خان ؛ فإحتل أكثرمن ثلاثين مسلما منصب كبير المستشارين (**كبير الوزراء)** ؛ وتولت أعداد كبيرة منهم مناصب وزارية ورؤساء مقاطعات ، ويقول المؤرخ الإيراني رشيد الدين فضل الله الهمذاني " إن ثمانية من الاثني عشر واليا الذين كانوا يحكمون

---

٨٠ - كانت العلاقة متوترة داخل الأسرة المغولية لتولى احمد تاكودار العرش الإلخاني مما أثار حفيظة أرغون بن أباقا (إبن الخان المتوفى)؛ لحرمانه من عرش والده فإتخذ هو والأمراء المسيحيِّين من إعتناق تكودار لِلإسلام سببا لاتهامه بمُخالفة سنن أجداده وعدم تطبيق قانون الياسق وإضطهاده للمسيحيين ،وشكوه إلى الخاقان الأعظم قوبلاي خان ؛ وهو ما إتخذوه ذريعة ضد أناندا.

ولايات الصين أثناء زيارته لها فى عهد يوان كانوا مسلمين ؛ وكان نواب الحكام فى الولايات الاربع الباقية من المسلمين ، ويُضيف / باى شيو يى أن عدد المسلمين الذين شغلوا مناصب وزارية في الحكومة المركزية قد بلغ ستة عشر شخصا وفي المقاطعات اثنين وثلاثين شخصا ([٨١]).

و من أشهر المسلمين الذين تولى مناصب هامة ؛ التاجر عبد الرحمن التركي وزير المالية فى عهد قوبلاى خان (عام ١٢٤٤م) ؛ لثقة الخاقان الأعظم فى قدرة التجار المسلمين على إدارة ماليات الدولة لخبرتهم الطويلة فى إدارة أعمالهم ؛ كما إستوزر قوبلاى خان السيد آجال عمر شمس الدين **(عاش الفترة ١٢١١ - ١٢٧٩م)** فى **"بيت المال"** لثقته الكبيرة به ؛ ثم عينه حاكما لولاية يونان.

ولم يكن الوضع المميز للمسلمين فى عهد يوان من إنعامات المغول بقدر ما كان من إنعامات خصائص المسلمين المهنية وقدراتهم العلمية وموقعهم الهام فى الاقتصاد والحياة المدنية والعسكرية .

إنتشار الإسلام فى الداخل

كان إستكمال أسرة يوان مد قناة الصين العظمي فى وصلتها الأخيرة الى العاصمة بيينج **(لتصلها بـ نينغبو فى الساحل الشرقي)** ؛وما إستتبعه من تنمية التجارة ومعها حركة التجار المسلمين ؛ أثره الكبير فى إنتشار الإسلام على إمتداد ضفتيها بما فى ذلك ضفتى نهر اليانغتسي .

وفى رحلة إبن بطوطة الى صين يوان (المغول) أشار الى الوضع الطيب الذى حظى به الإسلام والمسلمين ننقل عنه (٨٢):

اولا – مدن المسلمين

- في كلّ مدينة فى الصين مدينة للمسلمين ينفردون بسكناها ، ولهم فيها المساجد لإقامة الجُمعات وسواها، وهم معظّمون محترمون ويُحكم فيهم بالشرع " ، وعن الفان فانج يقول ويسكن المسلمون مدينة كانتون وهى مقسمة الى ستة مدن (حى) ؛ كل حى محاط بسور .... ، ومن هذه المدن الأحياء حيا للمسلمين يسكنون فيه على حدة ...".

---

[٨١] - " تاريخ يوان -- جدول كبار الوزراء- بقلم وو تينغ شى " - نقلا عن تاريخ العلاقات الصين ية العربية- تأليف: قوه ينغ ده - ترجمة: تشانغ جيا مين.

٨٢ - المصدر (المجلد الرابع من رحلات إبن بطوطة صـ ٢٥٥- ٢٧٠)

- قابل من المسلمين بعضا من أهل فارس الذين إحتفوا به ؛ وخص بالمديح التبريزى وقاضى المسلمين تاج الدين وشيخ الإسلام كمال الأصفهانى وأسرة مصرية هم أبناء عثمان بن عفان المصرى أحد أكبر تجار البلد أورث عُقبه جاها كبيرا ؛ وأجزل فى وصف كرم هذه الأسرة وما تقوم به فى خدمة فقراء المسلمين وبناء المساجد " بأنهم كانوا على ما كان عليه والدهم من الإيثار على الفقراء وإعانة المحتاجين ؛ بنوا زاوية للعبادة تُعرف بالعثمانية حسنة العمارة بها طائفة من الصوفية ، وبنى والدهم **(عثمان)** المسجد الجامع بالمدينة وأوقف عليه وعلى الزاوية أوقافا عظيمة ، كما التقى أحد مواطنيه المغاربة.

- أشار الى كرم التجار مع ضيوفهم من عالم الإسلام فيقول " فهؤلاء التّجار لسكناهم في بلاد الكفار إذا قدم عليهم المسلم فرحوا به أشدّ الفرح ، وقالوا جاء من أرض الإسلام، وله يعطون زكاة أموالهم فيعود غنياً كواحد منهم ..."**(٨٣)** .

ثانيا - إنتشار الثقافة الفارسية

.." ذكر أن اللغة والثقافة الفارسية كانتا منتشرتان " وتحدث عن رحلة طرب دبرها له أمير أمراء المغول الأمير الكبير قُرطاى الذى كلف إبنه بإصطحاب إبن بطوطة فى نزهة نهرية فيقول "ركبنا قارب وركب إبن الأمير وأهل الطرب والموسيقى قارب آخر وكانوا يغنون بالصينية والعربية والفارسية ، وكان إبن الأميرمعجبا بالغناء الفارسى يأمرهم بتكراره مرارا (٨٤)" ، وكان الإيرانيون وهو مصطلح عند الصينيين يشتمل على معظم أهل آسيا الوسطى ؛ منتشرون فى مجالات كثيرة فى الصين بما فيها مجال الفن الراقص والغناء .

ثالثا - أمن التجار المسلمين

يصف الصين بأنها " ءآمن البلاد وأحسنها حالا للمسافر، فإنه يسافر منفرداً مسيرة تسعة أشهر ومعه الأموال الطائلة فلا يخاف عليها ، وذلك لأنّ في كلّ منزل (مدينة) ببلادهم فندقاً عليه حاكم يسكن به جماعة من الفرسان والرجال ، فإذا كان بعد المغرب أو العشاء جاء الحاكم إلى الفندق ومعه كاتبه فيكتب أسماء جميع من يبيت به من المسلمين وختم عليها، وأقفل باب الفندق عليهم فإذا كان الصبح جاء ومعه كاتبه فدعا كلّ انسان بإسمه ، وكتب بها تفسيراً بعث به مع من يوصّلهم إلى المنزل الثاني ، ويأتيه ببراءة من حاكمه أنّ الجميع قد وصلوا إليه وإنْ لم يفعل طالبه بهم وهكذا العمل في كلّ منزل ببلادهم ... وإذا قدم التاجر المسلم

---

٨٣ - ١٠رحلة ابن بطوطة جـ ٤/ صـ ١٢٧.

٨٤ - كان الإيرانيون (الفرس وابناء آسيا الوسطى - هكذا كان يعتبرهم الصينيون) منتشرين فى الصين ؛ ويعملون فى مجالات العلوم وكان المسلمون معروفون لدى الصينيين بـ المعلم أو العليم ، ولهم أعمال فى التجارة والفن .

على بلد من بلاد الصين خُيّر في النزول عند تاجر من المسلمين المستوطنين أو في الفندق، فإن أحبّ النزول عند التاجر المسلم حصر ماله وضمنه التاجر الذى يتولى منه الإنفاق عليه بالمعروف ، فإذا أراد السفر بحث عن ماله فإن وجد شيء منه قد ضاع أغرمه التاجر المستوطن الذي ضمنه.

وإن أراد النزول بالفندق سلم ماله لصاحب الفندق وضمنه ، وهو يشتري له ما أحبّ ويحاسبه فإن أراد التّسري اشترى له جارية وأسكنه بدار يكون بابها في الفندق وأنفق عليهما ، والجواري رخيصات الأثمان وأهل الصين أجمعين يبيعون أولادهم وبناتهم وليس ذلك عيبا عندهم ، غير أنهم **(الجواري)** لا يُجبرن على السفر مع مشتريهم ولا يُمنعون منه إن اختاروه وكذلك إن أراد التزوّج تزوّج ، وأمّا إنفاق ماله في الفساد فلا سبيل له إليه فيقولون لا نريد أن يُسمع في بلاد المسلمين أنهم يخسرون أموالهم في بلادنا فإنّها أرض فساد وحُسن فائت ؛ وبالفنادق جميع ما يحتاجه المسافر من الأزواد ".

رابعا – تأمين البحارة الصينيين ومكافحة التهريب

"..... وقبل مغادرة سفن الجنك الصينية (الكبيرة) موانئ الصين ؛ يقوم صاحب البحر بتسجيل أطقمها لضمان سلامتهم ، وعند عودة السفن يقوم بمضاهاة السجل وإذا نقص أحد فعلى صاحب الجنك أن يأتى ببرهان بموته أو هربه وإلا أُخذ به ، فإذا فرِغوا أمروا صاحب المركب أن يُملي عليهم جميع ما يحمله المركب من سلع فإن عثروا على سلعة كُتمت عنهم صادروا جميع ما فى المركب " .

منغصات المغول للمسلمين

لم يسبق أن تعرض المسلمون فى عهود الأسر الحاكمة السابقة ؛ لما يُمكن أن يُقال أنه كان ماسا بكبريائهم إلا فى عهد المغول ؛ عندما طالت المنغصات عقيدتهم اولا قبل أنفسهم ؛ وبدأ الحاقدون فى إثارة حفيظة قوبلاى خان ضد المسلمين بالقول أنهم يخالفون المغول بذبح الحيوانات ؛ فأصدر مرسوما بحظر الذبح والختان عام ١٢٧٩/١٢٨٠ "من الآن فصاعدًا ، على هوى هوي (المسلّمين) والتشوهو (اليهود) الامتناع عن ذبح الأغنام والختان .. وعليهم إتباع طرق المغول فى قتل الحيوانات ومن يخالف ذلك يُعدم وتُهدي ممتلكاته للواشين به" ([٨٥])؛ و فى وشاية أخرى قالوا له أن الإسلام يُحرض على قتل الكفار للوقيعة بينه وبين المسلمين(٨٦) ؛ ويروى المؤرخ منهاج السراج الجوزجاني في "طبقات ناصري" (١٢٦٠) أن

---

[٨٥] **- بعض المراجع تُنسبه الى جنكيز خان .**

٨٦ - يقص البعض أن قوبلاى خان سأل أحد المسلمين فى هذا الشأن ولما أكد له ذلك أعدمه ، وسأل آخر ولما أفاده بإنطباقه فقط على من يؤمن بتعدد ألالهة وليس على المؤمنين بإله الواحد إله السماء ؛ وهو ما يتفق ومفهوم الإله الواحد فى الكنفوشيوسية أثنى عليه .

بعض الرهبان البوذيين أوغروا صدر كشلوخان (غوشلوغ) وأوحوا له بإخصاء المسلمين بدل قتلهم ، وحين همّ بهم طاله عذاب من حيث لا يحتسب، انقضّ عليه كلبه الرابض قرب عرشه فطرحه أرضا ونهش ذكره وخصيتيه حتى أرداه قتيلا.

شخصيات و إنجـــــازات المسلمون
العلمية والعملية فى عهد يوان

من مشاهير المسلمين / سيد عمر شمس الدين حاكم يوننان ؛ والمهندس يحي طاهر(إختيارالدين) الذي صمم مدينة دادو (بكين)عاصمة المغول الجديدة ؛ وعلاء الدين واسماعيل السورى صُناع منجنيق المسلمين "هوى هوى باو " والفلكى جمال الدين الذي اخترع سبعة أجهزة فلكية والشاعر سعد الله (١٢٧٢- ١٣٤٨م) ، و " سا - دولا " عالم التاريخ والجغرافيا والكنفوشيوسية وعَالم الطب " سا دى ميش " وعالم التغذية الطبيب " هو سو هوى " .

ومن إنجازات المسلمين :

تطوير الرى / سيد آجال عمر شمس الدين (١٢٧١ - ١٣٦٨ م)

جلب مسلموا وسط آسيا فى عهد المغول أساليب الرى المتقدمة من بلادهم الى مناطق تجمعهم بالصين ، وقد أشاد كتاب " زاوية الشمال الغربى للصين " بنظام الرى عند هؤلاء المسلمين وأنهم خلقوا روحا مختلفة للمكان "، ومن أهم الخبراء فى هذا المجال سيد آجل شمس الدين عمر(عهد يوان) و- هاى روى (بما فى ذلك عهد مينغ) ، ولهم كتب وإسهامات عملية عظيمة ، فسيد أجل وضع نظاما للرى فى ديناتشى ؛ وساهم بكتب منها (خرائط بلدان الغرب - سجل شوه دونج يانغ - فينغتو جينيانج - وجهة نظر فى أعمال الوقاية من الفيضانات **(ما زال معمولا بها حسب تعليق المؤلف الصينى)**- المستودعات الأربع – طرق الزراعة- بناء السدود – القنوات – الوديان – تنظيم مياة الرى ([٨٧]) .

شخصية وقصة سيد آجال

هى قصة الحكمة وبُعد النظر ؛ ترجع الى زمن جنكيزخان عندما إجتاحت جحافله غرب آسيا ناشرة الخراب ، وكان ملك بخارى رجل حصيف آثر ألا يصطدم بقوى الدمار فإستسلم للمغول ناشدا السلامة لشعبه ؛ وكانت عادة المغول فى هذه الحالة أن يأخذوا رهينة ، فأخذوا إبنه سيد عمر شمس الدين الذى بقى فى عهدة جنكيزخان فعلمه .

وكان سيد مقربا من قوبلاى خان وكان أكثر المسلمين نفوذًا في عهده ؛ عمل ضابطًا

---

٨٧ - القصة الكاملة للاسلام فى الصين - وانغ لنغ قوي - صـ٣٨٣ حتى ٣٦٩ .

بالجيش ثم حاكمًا لمدينة تاي يوان ولمدينة بنيانغ وقاضيًا ثم حاكمًا لبكين ؛ ثم مستشارا سياسيًّا لقوبلاى خان ؛ وتولى وزارات التاريخ – الخدمات – المراسم – إدارة الخزانة الوطنية - وزارة العدل ، ثم حاكمًا لولاية ستشوان ثم لولاية يونان أقصى الشمال على الحدود مع فيتنام ، وكانت ولاية مُضطربة بدائية قليله السكان ؛عينه فيها قوبلاى خان لثقته فى قدرته على معالجة الوضع وقال له " إن يونان تتطلب وزيرا قادرا وأنك أنسب من غيرك لهذه المهمة " ، وقضى سيد شمس الدين سنوات فى إعمار المقاطعة والغى السخرة وأعان المحتاجين وعلم قومية تاى المهن المختلفة وأنشأ المدارس والمعابد لمختلف الطوائف ؛ وأنشأ نظاما للبريد ومد خدماته للمناطق المجاورة فى **cochin** ؛وقد منحته الحكومة لقب ملك شيانيانغ بمقاطعة شنسى لأعماله الجليلة ؛ وبفضله أسلم الكثيرون فى يونان ، ومات عام ١٢٧٩ م عن ٦٧ عاما .

أحفاده

من أشهر أحفاده الأدميرال/ تشنغ خه قائد أسطول الكنز لإمبراطور مينغ/ يونغلى ، وله حفيد آخر تمكن سنة ١٣٣٥م من الحصول على إعتراف الإمبراطور **huizong** بالإسلام دينا رسميا في الصين ؛ وفي القرن التالي سنة ١٤٢٠م تمكن حفيد آخر من نسله من الحصول على إذن الإمبراطور لبناء مساجد في سنيانفو ونانكن ؛ وتولى ثلاثون شخصا من أبناء السيد الأجل مناصب مهمة في الدولة منهم "حسن يوجينغ " نائب رئيس الوزراء، و"شاه يوجينغ" النائب الثاني لرئيس الوزراء، و"بدرالدين يوجينغ" النائب الثاني ، و"ظهير الدين" والكثير غيرهم فى تايوان حاليا.

منجنيق المسلمين "هوى هوى باو "
صناعة علاء الدين واسماعيل السورى

إكتشف الصينيون البارود فى عهد تانغ وإستعملوه فى الألعاب النارية وإستخدمته أسرة سونغ فى الحرب عام١١٦١ ؛ وعرف العرب ملح البارود **(نترات البوتاسيوم)** من الصين وسموه "الثلج الصيني" وإستخدمه الأندلسيون في حروبهم بالأندلس ، أما مدفع وى وى **hui hui** أو منجنيق المسلمين " هوى هوى باو" ؛ فهو من صُنع علاء الدين وإسماعيل السورى الذين جلبهما قوبلاى خان سنة ١٢٧١ مع غيرهم من علماء المسلمين من فارس وبلاد العالم الإسلامى المتخصصين في صناعة آلات الرماية والقذائف وهما أول من إستخدم مدافع البارود فى اطلاق كور حجرية ؛ وكافأهما الإمبراطور فعين علاء الدين بمنصب النائب الثانى فى القيادة لفيلق من ٣ الى ٧ الاف جندى وعين إسماعيل مشرفا مسئولا عن الصناعة فى اقليم تانغ ، وقد إستخدم قوبلاى خان هذه المدافع فى قصف قلعة **Hsiang yang** فى اقليم هوبى .

صناعة الأجهزة الفلكية / الفلكى جمال الدين

جلب قوبلاى خان من فارس العديد من علماء الفلك لتأسيس إدارة لهذا العلم ؛ وتمكن الفلكى جمال الدين فى العام الرابع من عهد يوان ١٢٦٧م من صنع أجهزة فلكية **(المحلقة- البوصلة- جهاز قياس الإنحراف وجهاز قياس المستوى والقبة السماوية والكرة الأرضية والاسطرلاب)** ؛

وله كتاب " تقويم عشرة آلاف سنة المشتمل على التقويم الفلكى المسمى "لليين واليانج" الذى أُعجب به قوبلاى خان وعينه رئيسا للمرصد ؛ وظل مضمون الكتاب مطبقا حتى أوائل عهد مينغ وكان تأثيره كبيرا فى تاريخ التقويم الصينى .

كما إستخدمت الصين أعمال الجغرافيين المسلمين خلال عهد أسرة يوان لرسم خريطة للمناطق الغربية في " دا مينغ هون يي تو" في عهد أسرة مينغ ، وهى أقدم خريطة لشرق آسيا.

تخطيط " دادو" (خان باليق - بكين)
المهندس يحي الدين إردنغ
وعاصمة المغول الجديدة([٨٨])

عاش المهندس يحي الدين أو **(حيدر الدين)** فى أوائل عهد أسرة يوان ؛ وكان موهوبا في الهندسة المعمارية فعينه المغول وزيرا للاشغال **(الإدارة الهندسية)** ومسؤولا عن تخطيط خان بالق "دادو " عاصمتهم الجديدة ، فصمم قصورها وحدائقها على غرار قصر الخليفة فى بغداد مقتبسا تفاصيل كثيرة حسب المؤرخين الصينين، ويُشير المؤرخ الصيني مايمنغ و- هو تشين يوان خان - أن مؤرخ يوان ١٣٥٨ م ذكر أن إختيار الدين صمم المدينة سنة ١٢٦٣م و بدأ العمل فيها عام ١٢٦٤ م ببناء أسوار المدينة ، ثم القصرالإمبراطوري عام ١٢٧٤م ، وكان مقررا إتمام بناء العاصمة عام ١٣٦٨م ، لكن ذلك لم يتحقق بسبب الثورة الكبرى على المغول التى إنتهت بسقوط أسرة يوان عام ١٢٩٣م .

فقد قام الإمبراطور هنغوو مؤسس أسرة مينغ عقب طرده المغول بهدم قصور " دادو" و غير إسمها إلى بيينغ .. وقد أشاد الرحالة الإيطالي ماركوبولو بهندستها فى كتابه وقال أن " تخطيطها المعماري جميل ومتناسق إلى حد يعجز عنه الوصف ؛ وبلغت فخامتها وجمالها إلى قمة الفنون المعمارية العالمية " ، وهو أيضا من نفذ المعبد السماوى بها وفى قول أخر حرفى مسلم .

الطب والصيدلة / عائلة لى الفارسية

أولى قوبلاى خان الطب أهمية كبيرة لمرضه بالنقرس ؛ وأمر بترجمة أُمهات كتب الطب الى الصينية مثل القانون لابن سينا وطب العيون وعلم التشريح والصيدلة التى تم تعميمها في الصين هذا الوقت ؛ وقد تطور الطب بدفعات كبيرة ويذكر المؤرخون أنه يمكن

---

[٨٨] ـ العلاقات العربية الصينية في االقرنين االثامن عشر والتاسع عشر :نموذج ثقافة الاعترااف الشرقي بين الحضارات ـ حسنة االغامدي .

تقصى أسماء أكثر من عشرة الاف طبيب مسلم في سجلات أسرة يوان .

ومن بين أطباء الهوى النابهين / عيسى الذى تفوق فى الطب و صناعة العقاقير وساهم فى تطوير علوم الطب فى عهد يوان ، وأقام عام ١٢٦٣ معهدا فى تنغشى للطب والصيدلة ؛ وهو أول هيئة إسلامية فى تاريخ الصين وعلامة فارقة فى تاريخ الطب الصينى المعروف بالطب الإسلامى أوعقاقيرهوى وكان يحظى بتقدير كوبلاى خان ؛ وفى عهد يوان إنتقلت أسرة لى الفارسية السابق الإشارة اليها الى العاصمة بمعارفها الهامة.

الفنون والآداب

إنتشرت في الصين حكايات ألف ليلة وليلة و حكاية قمر الزمان وبدور، وقصّة الأمير سيف الملوك ، وحكاية الأحدب وقصة علاء الدين وكانت هى الأكثر شهرة بين هذه القصص.

إهتمام يوان بشئون الموظفين المسلمين

إدارات شئون الموظفين والجنود المسلمين / عهد يوان

خصصت حكومات يوان إدارات خاصة بشؤون المسلمين لكثرة أعداد موظفيها منهم مثل "ديوان شئون المسلمين" و"إدارة شئون المسلمين" و"دار محفوظات المسلمين" ، و"مفوض فيلق المسلمين فى القوات البحرية المغولية" و"مأمور شئون المسلمين" و"هيئة الأرصاد الفلكية الإسلامية" و"المؤسسة الخيرية العامة" معنية بعقاقير المسلمين، والتي كانت الأسرة الإمبراطورية تستخدمها لعلاج المرضى من الحراس المسنين والمساكين في العاصمة) ،"معهد اللغة الويغورية" الخ([٨٩]).

تمرد فرسان الشيعة " إسباه أو سبوى "

تداعت الثورات على المغول في أواخرعهد أسرة يوان ؛ لتعسفهم من ناحية وعسف الطبيعة من ناحية أخرى ؛ فالطبيعة الغاضبة بفيضاناتها الكاسحة خربت المحاصيل وإبتلتهم بالقحط والغلاء ؛ وبحلول عام ١٣٥٨ تداعت سلطة الحكومة وتقلص نفوذها فى وسط وجنوب الصين لوقوعهما في أيدي جماعات متمردة عديدة ، وما يعنينا من هذه القلاقل ثورة فرسان الشيعة " إسباه" فى مارس عام ١٣٥٧ .

---

[٨٩] - **تاريخ العلاقات الصينية العربية - تأليف: قوه ينغ ده- ترجمة: تشانغ جيا مين.**

و ترجع جذور الثورة الى أواخر عهد أسرة سونغ التى قام على أشلائها حكم المغول ، عندما إنحاز " بو شوجينغ " التاجر العربى العملاق فى قوانغتشو (٩٠) (السابق الإشارة اليه) ، بولائه الى جانب المغول متخليا عن أسرة سونغ الصينية الحاكمة التى إحتضنته ، وكان تصرفه هذا ومذابحة للموالين لأسرة سونغ فى المدينة أثناء حصار قوات سونغ له قد أثارت غضب أهل البلاد بما فيهم المسلمين ، و أثارت المكانة التى حظى بها هو وسلالته على المستوى الرسمى والعام عند المغول حساسية الشيعة ومرارة الهان.

وكانت الطوائف خلال فترة الإضطرابات ، قد شكلت مليشيات خاصة من بينها الشيعة ، وكانت مليشيتها المكونة من ثلاث الأف مقاتل من أقوى مليشيات المنطقة ؛ وفى مارس عام ١٣٥٧ م قام فرسان الشيعة "إسباه – **Ispah** " بثورة تُسميها الوثائق الصينية " تمرد سبوي الفارسي " ، ضد سيطرة الطائفة السنية والمغول الداعمين لقيادتها .

وتقول السجلات الصينية عن هذه الثورة ؛ في عام ١٣٥٧م ، ثار جيش من العرب والفرس المستوطنين ميناء قوانغتشو في ولاية فوجيان الذى يسكنه أغلبية من المسلمين ، بقيادة سيف الدين "لان يود " وأمير الدين "موينج" ضد أسرة يوان في آخر عهد / ويندي آخر أباطرة الأسرة ([٩١]) و سيطروا على قوانغتشو - و- بوتيان والريف حتى ضواحي فوتشو عاصمة الإقليم ؛ وفي عام ١٣٦٢ إنهار جيش إسباه بسبب صراعات داخلية وإنسحبوا الى قوانغتشو حيث قاموا بحملة نكلوا فيها بسلالة بو شوجينج ومثلوا بقتلاهم إنتقاما من إنحياز جدهم الى المغول فى آخر عهد سونغ (٩٢)" .

وفي عام ١٣٦٦ ؛ بعد عشر سنوات من بدء الثورة سحق القائد الصيني الهان/ تشن يودينغ الموالى لأسرة يوان ([٩٣]) الثورة ولم يسلم أحد من بطش قواته التى عمت مذابحها

---

٩٠ - هى أكبر موانئ البلاد وتقع بولاية فوجيان جنوب الصين ؛ كما أنها أكبر مدن الولاية سكانا يرقى عددهم الى مليونين آنذاك ، وتضم أكبر تجمع للتجار المسلمين عربا وفرسا ، وكانت مزدهرة فى كل العهود بما فيها عهد المغول فكان يرسو بمينائها عشرة آلاف سفينة حسب المراجع الصينية .

[٩١] - من أسباب السخط على المغول بخلاف أنهم قوة إحتلال ، السخرة الإجبارية التى طبقتها حكومتهم على نطاق واسع لمئات الآلاف من الفلاحين منذ عام ١٣٤٠م ولمدة طويلة لبناء السدود وتعلية ضفاف النهر الأصفر ومد القنوات وإستكمال مد القناة العظيمة الى خانبليك (بكين) في الشمال ، وكان تأخر تنفيذ مشروع القنوات الكبرى لتصريف مياه الامطار سببا فى تدمير الفيضانات المحاصيل وبالتالى تضخم الأسعار التى بلغت ألف في المئة حسب المصادر الصينية ، ومن ثم القحط والغلاء.

٩٢ - خلقت فظائع جيش إسباه شعور بكراهية المسلمين حتى أن أسرة أحد الصينيين (لين نو) من قوانغتشو قامت بمحوه من سجل أنسابها لقطع نسبها بنسله غضبا لاعتناقه الإسلام وتزوجه بفتاة فارسية مسلمة ، كان قد تزوجها فى زياة له الى هرمز في عام ١٣٧٦م ، وأسلم وجلبها معه إلى الصين .

[٩٣] - ملحوظة للباحث عادة ما تجمع المصادر الصينية بين العرب والفرس فى مسمى واحد كما فى حالة إسباه أو سفوى أى الصفوى.

المسلمين وغير المسلمين بدعوى عدم قدرة القوات على التمييز بين عرقيات الأجانب المختلفة .

رابعا أسرة مينغ
١٣٦٨ - ١٦٤٤ م
(آخر عهود إزدهار الإسلام)

الثورة الكبرى ثورة " العمائم الحُمر "

بعد فترة وجيزة تحولت القلاقل الى ثورة كبرى على المغول ما عُرف بـ" ثورة العمائم الحُمر " وإنقسم المسلمون بشأنها بين معارض ومؤيد ؛ فالمعارضون بقوا على ولائهم للمغول إنحيازا لمآثر يوان على المسلمين السابق التعرض لها ([٩٤]) ، أما المؤيدون للثورة وهم الأغلبية فقد إنحازوا لمعاناة الأمة الصينية ضد فساد إدارات المغول وتعسفها ضد أهل البلاد ، وشارك المؤيدون بفرقا من المسلمين ، وإنقسمت البلاد وتقاسم السيطرة عليها العديد من أمراء الحرب المتحاربين .

الثائر " تشو يوان تشانغ"
وإرتقاء عرش الإمبراطورية

ينحدر تشو يوان تشانغ " **chu yuan chang"** من عائلة فقيرة من الهان المزارعين الأُجراء بوسط الصين الشرقي ؛ فقد أبويه ومعظم أخوته بسبب المجاعة فإلتحق بدير بوذي تعلم فيه الكتابة وغادره لضيق إمكانات الديرالمالية والتحق بالثوار كحارس شخصي للجنرال المسلم **KOK TZE-HIN** زعيم أحد الفرق المتمردة فعلمه الإسلام وزوجه إبنته المتبناه " ما " ma ودفع به الى الترقى قبل وفاته .

سرعان ما أصبح تشو يوان تشانغ بعد معارك ضارية مع المغول وفصائل أمراء الحرب المتنافسة زعيما لجناح رئيسى فى الثورة ؛ وفي عام ١٣٥٦ غزا نانجينغ وإتخذها مركزا لإنطلاق عملياته ، وبعد عدة معارك تمكن من إخضاع أكبر فصائل الثوار وإنفرد بقيادة الثورة بكاملها عام ١٣٦٧ ، وكانت أغلبيةجنوده البالغ عددهم ٣٠٠ الف جندي من المسلمين ، ومن قيادات جيشه الجنرالات المسلمين "فو يودا" و "مو- ينج" و"لان- يو"(قادة تمرد إسباه) و " تشانج يو " قائد جيش الإمبراطورية والحاج جهان امير الحرب وأخرين([٩٥]) .

---

٩٥ - Ding Dexing, Mu Ying, Feng Sheng Chang Yui Chong – Hu Dah Hai – Ten Yu – Lan Yu –Tang Ho
إستخدم المينغ قوات هوي المسلمين لسحق مياو وغيرهم من المتمردين من السكان الأصليين خلال تمردات مياو ، واستقر

الإمبراطور / هنـــغوو
حكم ١٣٦٨ ــ ١٣٩٩ م

في يناير١٣٦٨ ؛ أعلن تشو يوان تشانغ نفسه إمبراطورا مؤسسا لأسرة حاكمة جديدة بإسم مينغ (المشرق) وتلقب هنغوو **Hongwu** ؛ وإتخذ نانجينغ عاصمة ؛ وفي سبتمبر من نفس العام ١٣٦٨ دخل "خان باليق" عاصمة أسرة يوان التى فرت الى مقاطعة يونان معقل المسلمين وتحصنت بهم ، وحالت مقاومة المسلمين دون نجاح جيش هنغوو فى السيطرة على الإقليم .

الإمبراطور هنغوو

إنصرف هنغوو لثلاث سنوات حتى أكتوبر عام ١٣٧١ ؛ لتصفية نظام شيا فى سيشوان آخر أمراء الحرب ؛ ثم توجهت جيوشه مرة أخرى الى يونان لإستكمال طرد المغول من آخر معاقلهم ، نجح عام ١٣٨١ بعد مقاومة عنيفة من المسلمين ، وفرت فلول أسرة يوان الى منغوليا ([٩٦]).

هنغوو إسلاميا

لم يفصح الإمبراطور/ هنغوو عن إعتناقه الإسلام رغم ميل العديد من المصادر الى الإعتقاد بذلك إستنادا الى العديد من المؤشرات :

- خلفيته الأسرية ؛ فزوجته **Xiuying** تُكنى بـ (ما) **ma** ؛ وهو شق من إسم رسول الله - محمد ولا يُكنى بها غير المسلمين وقد أطلق عليها هذه الكنية والدها بالتبنى ؛ وهى إحتفظت بها ولم تتخلى عنها بعد تنصيبها إمبراطورة وبقى إسمها بلقبها **Xiaocigao Ma** طوال فترة حياتها كإمبراطورة حتى وفاتها عام ١٣٨٢ إستمساكا بإنتمائها الإسلامى وهو أيضا لم يطلب منها التخلى عن هذا اللقب ، ويُقال أن إبن عمه **(kok shiao-tze)** من المسلمين .

- بناء المساجد وإحترامه لها وحمايتها

أمر فى أول أعماله ببناء ٤ مساجد فى مدن تمركز المسلمين منها واحد فى العاصمة

الهوى بعد ذلك في تشانغده حيث يوجد أحفادهم حاليا.

[٩٦] - حاول المغول إعادة غزو الصين ؛ فعبر الجنرال المسلم لا- يو عام ١٣٨٨ م سور الصين وهزمهم هزيمة ساحقة فى عقر دارهم منهيا خططهم لإعادة إحتلال الصين التى أصبحت موحدة تحت حكم الإمبراطور هنغوو الذى حكم الصين الفترة ١٣٦٨ ــ ١٣٩٩ م وإستمرت أسرته من بعده حتى عام ١٦٤٤م .

نانجينغ تقول رواية للمسلمين أن الإمبراطور هنغوو هم بدخول مسجد سانشانجيه لمقابلة القادة المسلمين تشانغ يوي تشون (و) هو دا هاي ، فنبهه الحارس لخلع حذائه فإستجاب الإمبراطور وسحب قدمه ، وسمى المسجد "جينغجيويه" (الطاهر) .

- بناء تجمعات للمسلمين ومكافأتهم
وتحمله تكلفة بناء مساجدها

أصدر أمرا بمكافأة بعض الأسر المسلمة طبقا لكتابات منقوشة على نُصب حجرى فى مسجد هواجيويه بمدينة شيآن يقول " فى سنة ١٣٩٢ أمر الحاج ساي من الجيل السابع من ذرية السيد شمس الدين ؛ بإعلان الأمرالإمبراطوري(عهد هنغوو) التالي:

"لقد تقرر مكافأة كل أسرة من المسلمين بخمسين سبيكة من الفضة ومائة حزمة من الحرير، وإيوائهم في مكانين وبناء مسجدين لهم ، أحدها في شارع سانشان بمدينة نانجينغ والآخر في زقاق تسيوو بمحافظة تشانغآن ويجوز لهم إعادة بنائهما إذا تهدما ، ولا يسمح لأحد بالوقوف في وجه هذا الأمر ..".

وفي العام الخامس من فترة يونغ له ، أصدر الإمبراطور (هنغوو) مرسوما أثني فيه على أمير الحج لخدماته (فى نشر الإسلام) ... فقال إنه إنسان "مؤمن بدين محمد ومتفان في الأعمال الخيرية ، يُعين الصالحين ويبر ذوي الهيبة ونذر نفسه للبلاد" ... "ونظرا لخدماته التي تستحق الثناء والتقدير، نصدر هذا المرسوم خصيصا معلنين رغبتنا في أن يكون هو وما يخصه تحت كنف الأسرة الإمبراطورية ، فلا يُسمح لأي من الموظفين أو العساكر أو الرعية بأن يمسه بسوء" .

قصيدته فى مدح الإسلام ورسوله

أمر بنقش رسوم (**قصيدة**) فى مديح الإسلام على الحجر التذكارى لمسجد العاصمة قام هو شخصيا بإعدادها من مئة رسم (عام ١٣٨٨)، كما كتب **baizizan** في مدح فضائل رسول الله ؛ ونقل لنا هوي تشانغ الباحث الصيني نصها من كتاب سيرة خاتم النبيين للعلّامة الصيني الشيخ محمد عزيز ليو تشي ، المتوفى عام ١٧٦٤ ؛ وهى كالأتى :

" وُلد في جزيرة العرب النبي الأعظم ، الذي كُتب إسمه في اللوح المحفوظ وبُعِثَ رحمةً للعالمين ، وتلقّى من المَلِك العليّ كتاباً من ثلاثين جزءاً فكان مَلِكاً مربّياً للخَلْق كافّة ، وسيّداً كريماً للرسل والأنبياء أجمعين ، وكاشفاً للفيض الأقدس وحامياً للرعية ، يصلي كل يوم خمس مرات داعياً للعالم بالأمن والسلام ، يخاف من المَلِك الحقّ ويشفق على الفقراء والمساكين، ويُعين على الشدائد ويعلم أسرار الدنيا والآخرة ، ويشفع للأرواح وينقذها من النار، فهو الذى غمر العالَمين بفضله ، وبهر المتقدمين والمتأخرين بسُنَّته ، وجمع الأديان فهذّبها حتى صار ديناً طاهراً حقاً ، وإن محمداً لأفضل الأنبياء" .

- وللإمبراطور هنغوو من الأعمال ما يتفق والإسلام منها منعه شرب الخمر **(إن كان صحيحا)** ، عدم تردده على المعابد الوثنية فترة حكمه ؛ وإعتباره الإسلام واليهودية ديانات متوافقة مع الكونفوسيشية دون المانوية والمسيحية اللتين أمر بحظرهما ؛ ومعاملته المسلمين معاملة تفضيلية وتسامح مع أسراه من المسلمين المحاربين فى صفوف أعدائه المغول ؛ رغم أن التسامح مع أعدائه ومعارضيه ليس من طبعه (٩٧) ؛ فسمح لهم بالعيش فى العاصمة وبنى لهم مسجدا **(سماه فيما بعد جينغجيويه أى الطاهر)** ليسهل عليهم أداء الصلاة وتعلم إصول الدين **(وحظر عليهم العمل بالسياسة)(٩٨)** .

- أكرم طوائف من مسلمى شينغهاي مكافأة على إنضمامها الى حكمه طواعية ، فمنح العشائر العليا الأربع من عشيرة سالار تركية الأصل المواطنة الصينية (هان) عام ١٣٧٠ ؛ وأنعم بنفس اللقب على رئيس عشائر سالار الأربعة الأدنى (شان- با) فأصبح (هان/ شان- با) ، وإكتفى بمنح لقب (ما) لبقية عشيرته .

وخلاصة القول

لا يمكن قبول الأمور المتقدمة دليلا على إسلامه ولا يُعتد بها فى ميزان الإيمان ، ونص شعريته فى مديح الإسلام السابق الإشارة اليها لا يُعتد بها فى هذا الشأن أيضا ؛ فنص بهذا المستوى من المعرفة والفهم الواضح ؛ لا يمكن أن يُعده إلا مسلم عارف ومُلم بالدين الاسلامى ولا يُمكن ان يكون من صُنع الإمبراطور ، فالإسلام عند معظم المسلمين من غير العارفين بلغته ، عادة ما يكون سطحيا لجهلهم باللغة وظلالها ؛ وبالنسبة لمن عاش منهم فى الصين فالأمر أصعب فى ظل العزلة وندرة الدعاة المعلمين.

---

٩٧ - أمثلة التطرف فى بطشه بأعدائه ...أمر الإمبراطور بإعدام هو وى يونج Hu Wei yong كبير المستشارين عام ١٣٨٠ هو وأسرته والمرتبطين به ومعهم عدد كبير من المسؤولين وأسرهم بتهمة التأمر ؛ وأعدم عام ١٣٩٠ لي شانشان أحد أقرب أصدقائه القدامى وشريكه في تأسيس الإمبراطورية ومعه أكثر من ٧٠ من أفراد عائلته ، ولم يسلم الجنرال المسلم لان يو من بطشه رغم دوره الكبير فى قيام وتأمين إمبراطورية مينغ ؛ فأعدمة ومعه ١٥ الفا بتهمه التآمر ؛ ولان يو من أبرز قادته فقد الحق هزيمة ساحقة بالمغول فى منغوليا عقر دارهم ليقضى على أحلامهم فى إستعادة الصين ؛ وما أوخذ على لان يو رفضه إلمثول للتحقيق فى إستيلائه على أراض الفلاحين في دونجتشانج ، وعجرفته مع الجميع حتى الإمبراطور وبلغ به الأمر تحديه والتصرف منفردا بذهابه إلى المعركة ؛ و إستخدامه القوة بعد عودته من حملة في الشمال لعبور ممر Xifeng بعد أن منعه الحراس لتأخر الوقت ، وقام بتحدى الأوامر فى غير أوقات الحرب وإنفرد بترتيب الضباط حسب إرادته ، والذهاب إلى المعركة دون إذن رغم تعيينه مدرسا لولي العهد ، وكان المسلمون من ابرز أساتذة الحرس الخاص بالإمبراطور واقوى كتائب جيش الإمبراطورية ومن أبرزهم قائد الجيش (تشانج يو) والحاج جهان امير الحرب.

٩٨ - كتاب السجلات المحفورة لإنشاء مسجد جينغجيويه الذي ألفه وانغ عام ١٣٨٩.

وموضوع سحب القدم من مسجد "جينغجيويه" (الطاهر) ، رغم إيجابيته إلا أنه يعنى أنه غير واع بتقاليد دخول المساجد لعدم إعتياده الصلاة ، وإن كانت الصلاة ذاتها جائزة على هذا المنحى فى العديد من الحالات .

وإن تجاوزنا مسألة الإيمان هذه ، فعلينا على الأقل أن نتقصى صِدق حماسه العاطفى المجرد للإسلام وهو أبسط درجات الإنتماء ، فقد يكون المسلم غير ملتزم ولكن حماسته للإسلام لإتخبو أبدا ؛ وهو ما لم يتجل فى أعمال هذا الإمبراطور فى أدنى درجاته كـإعلان إسلامه لتحفيز الدعوة على نحو ما فعله أنندا مع المغول فى الصين ، وما فعله أيضا إسلام زعماء المغول فى تركستان الشرقية في العصر العباسي ، عندما أسلم الخاقان ستوف بوغرا سنة ٢٣٢هـ / ٨٥٠ م ، الذى إستتبعه إسلام أبنائه موسى وهارون وكتل هائلة غربي الصين وحمل لواء الدعوة أبناء التركستان .

رغم أن الأمر لم يكن صعبا بالنسبة لهنغوو فى بلد متسامح لأقصى حدود التسامح لا يغترب فيه الإسلام عن المبادئ العامة للكونفوشيوسية مُعتقد الصين الأساسى ؛ من ناحية تقديس الوالدين وإحترام كبار السن ووحدانية رب السماء الى غير ذلك ، وهو الإقتراب الذى جذب حتى أحفاد كونفوشيوس ذاته الى الإسلام ، ولما كان قادرا على تُغير عقيدة الدولة من البوذية عقيدة المغول فى الأغلب الأعم الى الكنفوشيوسية ؛ كان يمكنه أن يشرك معها الإسلام لكنه لم يفعل .

وإذا تعرضنا لتصرفاته الأخرى المعارضة للإسلام لا يمكن إغفال الأضرار التى الحقتها سياساته الإجتماعية بالإسلام والمسلمين **(نتناولها فى البند التالى)** ، وكذا إحياؤُه عادة التضحية بالمحظيات والخدم عند وفاة الإمبراطور التى راح ضحيتها عند تشييع جثمانه ثمانية وثلاثون محظية وغيرهم من الخدم .

ويمكن القول أن مشاعر هنغوو نحو الإسلام تندرج فى نطاق المشاعر الطيبة ، أو الإنحياز الودى للإسلام والمسلمين ؛ وفاء لزوجته المخلصة ولقادة جيشه وجنوده المسلمين الذين إرتقوا به الى عرش الإمبراطورية .

تأثير سياسات الحظر الإجتماعى
على الإسلام والمسلمين

إهتم هنغوو على وجه التحديد بتطبيق سياسات إجتماعية تهدف الى (تصين) الأقليات بتصفية خصوصياتها ودمجها فى كتلة الهان وصُلب ثقافتها الصينية ؛ ومن الملاحظ أن هذه السياسات إستهدفت عمدا المسلمين ، ففى عام ١٣٦٨ صدر مرسوم يحظر عليهم التسمى بأسماءهم القومية (الإسلامية) أو إستخدام لغاتهم أو إرتداء أزيائهم الوطنية ؛ وبرر المرسوم

ذلك بـأن " البيئة اللغوية الصينية غير مناسبة لاستخدام لغات "هوى" (العربية والفارسية والتركية)؛ وضرورة إلزامهم بإستخدام اللغة والملابس الصينية ؛ وكانت السياسات تُنفذ بصرامة ومصير من يخالفها الإعدام ([٩٩]).

وزاد على ذلك عام ١٣٩٢ ؛ بقانون يفرض الزواج القسرى بين الأعراق ؛ لدمج الأقليات فى كتلة الأغلبية الصينية (الهان) ؛ فحظر القانون " الزواج بين أبناء نفس الأقلية القومية " دون مُراعاة خصوصية الأمر عند المسلمين فى عدم الزواج بغير المؤمنين (١٠٠) ؛ نص القانون بأنه "لا يجوز للمغول وأبناء الأقليات القومية بشمالي وغربي الصين والمناطق الغربية **(معظم من ينطبق عليهم مسلمين)** الزواج إلا مع أبناء قومية هان" ؛ فعشيرة هوي المسلمة (سيمو) عليها الزواج من عشيرة هان الصينية " ، بينما أعفى الهان من الزامية الزواج من الهوى المسلمين إذا ما رغبوا فى عدم إعتناق الاسلام ، وقد خص القانون المغول وهم من المسلمين (إستهدفهم كأعداء وليس كمسلمين) بفقرة تحرم الزواج فيما بينهم تقول"وكل من يعيش على وجه الأرض من أبناء شايمو المغول يباح لهم أن يتزوجوا بالصينيات أو بالعكس ، ولا يسمح لهم بالزاوج فيما بينهم ".... "مخافة أن تتكاثر أعدادهم (حسب شرح النص) " ، " ومن خالف يُضرب ثمانين ضربة بالعصا الثقيلة ويصبح عبدا" وتُطبق نفس العقوبة على المخالفين من الأقليات العرقية الأخرى.

وبهذه القوانين التى فاقت منغصات المغول ، ويعلم مرارتها على المسلمين ، أعلى هنغوو من شأن السياسة دون التفات لأصول العقيدة والأحوال الشخصية للمسلمين ؛ وهذا ما ينفى عنه أى قدر من الحماس العاطفى للإسلام ، ورغم المرارة آثر المسلمون تجنب التصادم معه وإستخدموا الحكمة الصينية بطول البال فى معالجة الأمر ؛ فإستجابوا بالنسبة للملبس واللغة وهو أمر مقبول وطبيعى لا يضر بعقيدتهم ؛ بينما إحتفظوا سرا بأسمائهم القومية يتداولونها فى دوائرهم الخاصة فيما بينهم لصيانة الهوية من الضياع ، وأصبح لكل فرد إسمين صيني وإسلامى ؛ بينما تمسكوا بقوة بعدم الزواج من غير المؤمنين إلا بعد إعتناق الطرف الآخر الإسلام خاصة وأن الحكومة لم تُنفذ القانون بشكل صارم ؛ وفى نهاية الأمر نجح المسلمون فى إقناع أسرة مينغ بالتخلى عن هذه المحظورات.

وبالحكمة وبمشيئة الله سار الأمر فى صالح الإسلام ؛ فقد ساعدت الزيجات طبقا لهذا القانون على إعتناق غير المسلمين (الهان) الإسلام أمام إصرار المسلمين فى معظم الأحوال ؛

---

[٩٩] ـ تغلب المسلمون على هذه القيود بدليل ما أورده إمبراطور المانشو / يونج تشنج فى مذكرته عام ١٧٣١م دفاعا عن المسلمين بتقبله إختلاف ملبسهم ولغاتهم اى أنها كانت ماثلة فى عهده .

١٠٠ كان زواج الطبقة العليا من الهان مع مسلمي الهوي محدودا لامتناع تلك الطبقة عن الزواج من الهوى المسلمين الاقل مكانة ؛ بينما لم يكن هذا الحال بالنسبة لطبقات الهان الادنى منزلة.

ومن المحاسن فى معظم الحالات كانت عائلة الزواج تعتنق الإسلام بالعِشرة ومن أبرزهم بعض أحفاد كونفوشيوس الذين أسلموا (سنتعرض لهم لاحقا).

تقييد الملاحة البحرية
وأثرها على الإسلام والمسلمين

إستفحل خطرالقرصنة الصينية واليابانية على السواحل الشرقية خلال الثورة والإضطرابات التى سادت فترة الحرب على المغول ؛ ولما إستقر الأمر للإمبراطور هونغوو أرسل رسالة قاسية لإمبراطورالیابان هدده فيها بغزو بلاده وإعتقاله ([١٠١])؛ وإتخذ عدة تدابير لمكافحة القرصنة والتهريب عبر البحر فأقام ٧٤ حامية ساحلية بين قوانغتشو و شاندونغ لتشديد الحراسة ، وحظر النشاط البحرى الخاص وقام بتدميرأحواض بناء السفن الخاصة وأماكن رسوها ، وفرض حظرا على التجارة البحرية الخاصة وتشديد العقوبة على ممارسيها بالإعدام ونفي أسرة التاجر وجيرانه .

وإقتصر النشاط التجارى البحرى على تجارة الجزية (الولاء) والسلع التى تحتكرها الحكومة وعدم السماح لسكان الشواطئ بالقيام بالتبادل التجاري بحرا مع الخارج دون اذن رسمى والغى مديرية التجارة العامة ، وتبعا لهذه السياسة إنحسرت التجارة البحرية وإنحسر معها تدفق التجارالمسلمين الى الصين بملحقاتهم البشرية من ملاحين ودعاة ورحالة ووفود زائرة من عالم الإسلام بحرا ، ما أدى بالتالى لغياب التواصل الدينى والثقافى الأصيل من منابعه .

ولقد دفع ضيق النشاط التجارى مسلموا الساحل الى الهجرة الى مناطق الداخل ومعهم إنتقل الإسلام الى مناطق إنتشار جديدة ؛ كما ساعدت دون قصد سياسة هنغوو لإعادة توزيع الكثافة السكانية على الأرض الصينية ؛ فى إنتشار الإسلام فى المناطق التى إنتقلوا اليها أو بين الوافدين الى مناطقهم من غير المسلمين بحكم المُعايشة .

أثر العزلة والإندماج

كانت محصلة سياسات هنغوو إنعزال مسلمى الصين عن عالم الإسلام ، وصار

---

١٠١ - إستفحل خطر القراصنة فى عهد أسرة مينغ فقد بلغ الخطر حد السيطرة على بعض الموانئ وفى إحدى المهام قامت القوات الإمبراطورية بتحرير بعض الموانى وقتلت حوالى ٢٢٠٠ قرصانا وأنقذت ٣ ألاف رهينة - وفى عام ١٥٦١م إنتصرت على القراصنة اليابانيين فى تشيانج وحررت قواتها مدينة شيانيو عام ١٥٦٣م من حصار قوة من حوالى ٢٠ الفا من القراصنة ؛ وفى عام ١٥٦٦م قضوا على قراصنة فى ساحل فوجيان و جوانجدونج .

موروثهم الثقافى من أمة الإسلام بالتبعية محدودا أكثر مما هو محدود ، ولم يكن هناك بُدا أمامهم سوى التفاعل مع محظورات هنغوو ؛ والإندماج فى أقصى تطرفه مع العملاق الصينى والإنصهار فى بوتقة ثقافته حتى النخاع لغة ولباسا وأسماء ؛ وهو ما كان لابد وأن يحدث إن آجلا أو عاجلا طبقا لسنن الحياة ونواميسها بإمتصاص الأغلبية للأقلية وشرنقطها بخيوط ثقافتها القومية.

وإندمجت أجيال المسلمين الجديدة إندماجا طاغيا فى البيئة الصينية فأتقنوا لغتها وثقافتها ، بل حاولوا المزاوجة بين الكونفوشيوسية والإسلام عند دراسة الإسلام والتعريف به ؛ كما تبنى المطبخ الإسلامي طرق الطهى الصينية وإن كان قد إحتفظ بخصوصيته فيما يتعلق بالحلال والحرام ، وأصبحت العقيدة عندهم فى الغالب حال تآكلها مع مرور الزمن ماثلة فى التمسك بعدم أكل لحم الخنزير ؛ حتى من إعتنق منهم الكنفوشيوسية ظل متمسكا بهذا الطقس الإسلامى .

ولما عز على المسلمين أن يتخلوا عن أسمائهم الإسلامية ، فقد أبقوا على بعض أصله وإختزلوا صوتياته فأصبح مصطفى Mo و مسعود Mai و محمد Mu أو Ma ؛ وكتبوا اللغة الصينية بحروف عربية بخطوط زخرفية (شيوئرتشنغ **xiaojing-**) فى محاولة للإحتفاظ بالحرف العربى ليتمكنوا من قراءة القرآن ؛ وما زالت هذه الخطوط مستعملة في مساجد شرق الصين على نطاق واسع ، وبدرجة أقل في غانسو، نينغشيا، وشنشي.

الإمبراطورة ما - شيوييغ
(١٣٣٢ – ١٣٨٢ م)
زوجة الإمبراطور هنغوو

وُلدت ما – شيوييغ **Ma Xiuying** لاسرة ثرية ؛ كان والدها جنرلا فى جيش أسرة هان الشرقية ، قُتل والدتها وهي في الحادية عشرة من العمر فكفلها صديق والدها المقرب (قوه) وهو من المسلمين ، الذى لُقبها **Ma** و زوجها قبل وفاته وهى فى ألـ ٢٠ من العمر بالثائر تشو يوان تشانج أحد جنوده المفضلين ، الذى إنضم الى فيلق المسلمين (أصبح الإمبراطور هنغوو فيما بعد) .

وتصف المصادر الصينية الإمبراطورة بأنها واحدة من أكثر الملكات إحتراماً في تاريخ الصين ؛ شاركت زوجها أيام نضاله العصيبة على المستويين المعيشى والعسكرى حملته على ظهرها الى مكان آمن وهو مُصاب فى احد المعارك ؛ ولم تضن على الثورة بمقتنياتها الشخصية من أجل الإنفاق العسكرى لتوفير إحتياجات القوات ، ولم تستنكف حياكة الملابس والاحذية للجنود لتدبير إحتياجاتهم بالإعتماد على النفس دون اللجوء لمصادرة ممتلكات المدنيين حسب سياسة زوجها .

أطلقوا عليها الإمبراطورة الفاضلة لبساطتها فكان ملبسها الحرير الخشن الغير مطرز ، متواضعة تحسن الى الخاصة والعامة ؛ حظيت بإحترام الأسرة الإمبراطورية بإعتنائها بمحظيات الإمبراطور وأطفالهن ، وكان الإمبراطور لإعتزازه بها وثقته فيها يكلفها بتربية أطفاله من محظياته ملتمسا منها العطف عليهم ؛ وكانت الإمبراطورة من عطفها قد تبنت حوالي ٣٠ طفلاً .

وحظيت بإحترام كبار رجال الدولة ؛ لقدرتها علي إحتواء غضب الإمبراطور عندما يشتط غضبه منقذة بذلك ألعديد من الأرواح (١٠٢) ؛ فقد كان الإمبراطور يبجلها ويقبل نصحها ؛ ورغم نفوذها رفضت تولي أخوتها مناصب السلطة أو منحهم الألقاب لأنها مفسدة ؛ ودعت الى معاقبتهم إن تدخلوا في شؤون الدولة أو الحصول على منفعة منها ؛ وتلبية لوصيتها رفض إخوتها بعد موتها رغبة الإمبراطور الإنعام عليهم بألقاب النبلاء ؛ وبعد موتها بقى منصب الملكة شاغرا تقديسا من الإمبراطور لمكانتها ولم يرض أن تشغله أيا من محظياته الأخريات

---

١٠٢ - لم يتحمل الإمبراطور المعارضة ، فقام بقمع كل رفاقه السابقين في الثورة ، ولم يثق في بلاطه واعتبره غير قادر على توصيل إرادة الإمبراطور إلى عامة الشعب.

إمبراطور مينغ / شنغده
(يصفه البعض بالمســـــــــلم)
حكم من ١٥٠٥ إلى ١٥٢١م

تعريف

هو الإمبراطور / شنغده **Zhengde** ؛ ويعنى إسمه " الفضيلة الصحيحة " وهو الإمبراطور العاشر فى سلسلة أباطرة الأسرة ؛ لم يكن يُخفى إعجابه بالإسلام ويروى التاجر المسلم سيد على أكبر فى نهاية القرن ١٥م واوائل القرن ١٦م " أن الإمبراطور (هو تشنج تيه) أمر بأن يُترك إعتناق الإسلام أمرا حرا للأفراد ، ويزعم البعض أنه أسلم ويدللون على ذلك بإصداره مرسوما فى الشهر التاسع من السنة الرابعة عشر من حكمه سنة ١٥٢٠ **(قبل موته المفاجئ بسنة)** ؛ بتحريم ذبح الخنازير كما أنه حدد موقفه من الإسلام وباقى العقائد علنا فإنتقد الكونفوشيوسية والبوذية والطاوية ، ووصف الإسلام " بأنه دين يُعرف به الخالق ويقوم على القواعد المعقولة ، وسيبقى ما بقيت السماوات والأرض" (١٠٣)" .

إستخدامة المسلمون بكثرة
وعلاقته بممالك الإسلام

إستخدم الإمبراطور المسلمين بكثرة فى بلاطه كمستشارين ، وإقتنى خزفيات تتحلى بنقوش إسلامية عربية وفارسية كلف فنانيه من المسلمين بصنعها ، وكانت له العديد من المحظيات **(ما ملكت أيمانه)** المسلمات من السغديات والأجنبيات ، وكانت علاقاته مع البلدان الإسلامية المجاورة ودية ؛ خاصة مع الدولة التيمورية المغولية على الحدود الغربية وسلطنة ملقا (الملايو المسلمين) فى الشرق ، وكانت علاقته الودية مع الملايو سببا فى قيامه برد عنيف لما بلغه ما إرتكبه البرتغاليون فى ملقا من مذابح بعد إحتلالهم لها عام ١٥١١م ؛ فقام بالتنكيل بالبرتغاليين فى قوانغتشو ، وأبادت الصين حملاتهم المتكررة عليها فى معركة تونمين " **Tunmen**" فى أبريل عام ١٥٢١م بعد أيام قليلة من مقتل الإمبراطور تشنغده ودمر الصينيون خلالها معظم سفنهم

تشنغده

١٠٣- من تسميات الإمبراطور تشنغده Zhengde - زهينج دي - - تشنج تيه - تشنغ ته.

، ومعركة شانكاوان **Shancaowan** عام ١٥٢٢ م.

وكان تشنغده حاكمًا قوى الإرادة تصرف بحزم مع اعدائه المغول والبرتغاليين وتصرف بكفاءة في الأزمات الناجمة عن الكوارث الطبيعية والأوبئة ، ويصفه عالم المينغ /تان تشيان "بأنه كان ذكيًا لم يضر أحدا من المسؤولين الذين عارضوه " ؛ ويحسبه البعض مات مسموما بسب تصرفاته الغريبة فى القصر التى مست كبار رجال بلاطه.

أهم الشخصيات المسلمة فى عهد المينغ

الادميرال تشنغ خه / قائد أسطول / الكنز

(أسطول الإمبراطور يونغلى)

تعريف

ينحدر تشنغ خه ([١٠٤]) أو ما سانباو (إسم الميلاد) من أسرة مسلمة غنية من سلالة فارسية تمتد أصولها الى سيد عمر شمس الدين سليل ملك بخارى (السابق الإشارة اليه) ؛ وكان والده موظف فى الإدارة المغولية فى إقليم يونان ذا الأغلبية المسلمة المساندة لأسرة يوان ؛ وبعد مقتل والده فى المعارك بجانب المغول ، أسرته قوات مينغ وأخصوه كعادة الصين فى ذلك الزمان لمن يقع فى الأسر من أبناء الأعداء ، وأرسلوه عبدا الى البلاط الإمبراطورى لخدمة أمير مينغ/ جو دى ZHU DI ، فإرتبط هو والامير بصداقة قوية رغم أن الأمير يكبره بعشر سنوات ، وفي عام ١٤٠٠ قاتل الصبى مع الأمير معاركه ضد عمه الإمبراطور / جيانوين عام ١٤٠٢م للإستيلاء على العرش ، وبعد أن أصبح إمبراطورا بلقب CHENG ZU (١٤٠٣ - ١٤٢٤) ثم بإسم يونغلى Yongle أطلق على(ما) تشنغ خه وأصبح ذو شأن كبير في البلاط.

ولما أبطل الإمبراطور يونغلى الحظر على الأنشطة البحرية وأعاد انشاء مديرية التجارة العامة سعيا للإنفتاح على العالم من جديد ؛ أمر / تشنغ خه بالإشراف على بناء أسطول ضخم وقيادته وعينه مديرا للإدارة الهندسية فى البلاط ؛ وكان الغرض من بناء الأسطول تطهير طريق الحرير البحرى من القراصنة وإستعراض قوة الصين وعظمتها للعالم الخارجى وجمع معلومات عن بلدانه وتبادل التجارة معها من عل وبترفع بشكل جديد لدبلوماسية الجزية الإمبراطورية ، بالوصول الى الممالك فى أراضيها بحرا.

وتمكن تشنغ خه من بناء سفن الكنز أضخم سفن العالم آنذاك ؛ بفضل التقدم التقنى للأحواض الملكية لبناء السفن التى كانت فى أوَجها وسابقة للعالم بمراحل فى هذا المجال ؛ وقامت هذه الأحواض خلال عهد الإمبراطور يونغلى وفقا للإحصائيات الرسمية ببناء وإصلاح أكثر من الفى سفينة منها ٦٢ سفينة لأسطول الكنز أكبر أساطيل عالم ذلك الزمان

---

١٠٤ - يُكتب إسم الادميرال مرة تشينغ خه - تشنغ خي- زينغ هي - جينغ هه – سينغ هي – جنغ خه - الحاج شنج هو cheng ho - جين خه - محمد ما هو Muhammad ma ho.

([١٠٥])؛ بمسطح إجمالى للإسطول ٥٠ الف قدم مربع ؛ وقد بلغ طول سفينة الكنز ٤٠٠ قدم وعرضها ١٧٠ قدما ولكل منها ٩ صوارى ؛ بطوابق متعددة وتتسع لـ ٨٠٠ مسافر ومزودة بستة (مرافئ) عائمة طولها ٥٠ قدم تُستخدم في تدمير سفن العدو أو الحيلولة دون هروبها حتى يمكن لفرق الغوص الخاصة إرتقاء متنها والإستيلاء عليها.

ويتكون طاقم الأسطول من ٢٧٥٥٠ (أكثر من سبعة وعشون الف) بحار معظمهم من مسلمى نانكنج و شوانغتشو وبعضا من مسلمى البلاد المجاورة ، وضم الطاقم مئات المسؤولين و١٨٠ طبيبًا و ٥ منجمين (فلكيين) وعشرات المهنيين (حدادين ونجارين وطهاة وخياطين) فضلًا عن المترجمين الذين يتقنون العديد من اللغات.

قضى تشنغ خه فى البحر ٢٧ عاما من ١٤٠٥ الى ١٤٣٣ قام خلالها بسبع رحلات زار خلالها ما يزيد عن ٣٠ بلدا ، إستغرقت كل رحلة عامين فى المتوسط ؛ وقد وصل تشنغ خه بسفنه الى مدغشقر فى شرق أفريقيا ؛ وتؤكد بعض الابحاث إبحاره فى عمق المحيط الأطلسى وصولا للساحل الأمريكى ولم يُعثرعلى وثائق قيادة الأسطول لتأكيد ذلك ؛ فقد دمرها رجال البلاط الحاقدين على تشنغ خه ؛ وتذكر السجلات المتبقية التى أنقذها معاونوه المسلمون من عملية التدمير تفاصيل عامة لرحلاته السبع .

ولما توفى الإمبراطور يونغلى عام ١٤٢٤ ؛ أوقف خليفته الإمبراطور **hongxi** الذى حكم عاما واحدا فقط إنطلاق الرحلة السابعة للأسطول عام ١٤٢٥ توفيرا للنفقات ؛ وبعدما توفى هذا الإمبراطور سمح خليفته الإمبراطور / هونغشي **XUAN DE** ، لـ / تشنغ خه القيام برحلته السابعة والأخيرة في شتاء عام ١٤٢٦ ؛ وفى قول آخر ١٤٣٠ وعاد عام ١٤٣٣ ؛ وخلال عودته توفي في كاليكوت وقيل انه دُفن بها في ربيع عام ١٤٣٣ ؛ وفى قول آخر أُلقى جُثمانه فى البحر كتقاليد البحار ، وعاد الأسطول إلى الصين في صيف ذلك العام ؛ وأحيلت سفنه للتقاعد بتحريض من مستشارى الإمبراطور بدعوى تكاليفها الباهظة المطلوب توجيهها للإنفاق العسكرى ضد المغول.

---

[١٠٥] ـ أشار إبن بطوطة إلى ضخامة المراكب الصينية التى رأها في ثغر قاليقوط (كلكتا) وهو فى طريقه الى الصين (عهد المغول) قبل عهد مينغ بُناة أسطول الكنز ؛ فيقول " أن بها البيوت والمصاري (الغرف) والسنداس (المرحاض) وعليها المفتاح ، يسدها صاحبها ويحمل معه الجواري والنساء ؛ وربما كان الرجل في مصريته (غرفته) فلا يعرف به غيره ممن بالمركب حتى يلتقيا إذا وصلا إلى بعض البلاد....وإستطرد قائلا أن البحارة كانوا يسكنون مع أسرهم في السفن ، ويزرعون الخضر والبقول في أحواض من خشب ".

بيان بالرحلات البحرية

الرحلة	الفترة	المناطق التي مر بها
١	١٤٠٥ - ١٤٠٧	شامبا (فيتنام) – جافا (جاوة) – باليمبانج (إندونيسيا) – ملقا (ماليزيا) – آرو(إندونيسيا) – سومطرة (أندونيسيا) –لامبري – سيلون (سيريلانكا) – كولام(الهند) – كوتشين (الهند) – كلاكوت (الهند).
٢	١٤٠٧- ١٤٠٨	شامبا – جافا – سيام (تايلاند) – سومطرة – لامبري – كلاكوت – كوتشين – سيلون.
٣	١٤٠٩- ١٤١١	شامبا – جافا – مالقا – سومطرة – سيلون – كويلون (كولام في الهند) – كوتشين– كلاكوت – سيام – لامبري – كايا – كويمباتور (في الهند) – باتمبور.
٤	١٤١٣- ١٤١٥	شامبا – جافا – باليمبانج – مالقا – سومطرة – سيلون – كوتشين – كلاكوت – كيال – فهغ (في ماليزيا) – كلنتن (في ماليزيا) – آرو – لامبري – هرمز–المالديف – مقديشو – مايليندي (ساحل أفريقيا الشرقى) – عدن– مسقط– ظفار (عمان).
٥	١٤١٦-١٤١٩	شامبا – باهانغ – جافا – مالقا – سومطرة – لامبرا – سيلون – شارواين – كوتشين – كلاكوت – هرمز –المالديف – مقديشو – براوا (في أفريقيا) – مايليندي – عدن.
٦	١٤٢١- ١٤٢٢	هرمز – شرق أفريقيا – الجزيرة العربية.
٧	١٤٢٤- ١٤٢٥	توقفت الرحلة لتوسد العرش الإمبراطور جين تسونج لمدة عام وتوفى؛ ويكتب إسمه renzong أو hongxi أو zhu gaochi... عاود الأسطول رحلته الأخيرة فى العام التالى بعد توسد الإمبراطور هوسيين تيه العرش ويكتب اسمه xuande او xuanzong-
٨	١٤٢٦– ١٤٣١	زار خلالها شامبا – جافا – باليمبانج – مالقا – سومطرة – سيلون – كلاكوت – هرمز.

تخليد ذكرى تشينغ خه وأسطوله

إحتفلت الصين عام ٢٠٠٥ فى فوتشو عاصمة مقاطعة فوجيان ؛ بمرور المائة السادسة على بدء رحلات أسطول الكنز وأقامت سنغافورة إحتفالا مماثلا.

أسطول الكنز ودبلوماسية الجزية

بإنطلاق رحلات أسطول الكنز ؛ خرجت تجارة الجزية من إطارها المحلى المعهود داخل الصين الى العالم الخارجى مباشرة ولأول مرة ؛ ليعلن للعالم عظمة الصين ويفرض نفوذها فى عالم التجارة وتقديم هدايا الإمبراطورية الى قادة البلدان وجلب مبعوثيهم على متن الأسطول لزيارة الصين والمثول أمام الإمبراطور ، ويذكر المبشر البرتغالى بينيدكت جويس

Goes Benedict الذى وصل الصين عام ١٦٥٠ ، أى فى نهاية عهد مينغ (١٦٤٤) أن " الصين وصلها ٧٢ مندوبا من البلدان الأجنبية معظمهم من التجار لتقديم الهدايا إلى الامبراطور ، تحملت الحكومة الصينية نفقات الرحلة ذهاباً وإياباً " وتقول سجلات الأسطول ان شنغ خه عاد عام ١٤١٥ ومعه مبعوثي أكثر من ٣٠ بلدا لزيارة الصين ؛ أعادهم الى بلدانهم فى رحلته السادسة عام ١٤٢١.

والجديد فى الأمر أن الإسطول فى تطبيقه مبدأ تجارة الجزية ؛ لم يتورع فى إستخدام العنف فى حماقة غير معهودة فى السلوك الصينى ، فى عمل من أعمال الحرب لإملاء إرادته ؛ وهو ما حدث بقصف مدينة الأحساء عندما رفض سلطانها (الجبور) الخضوع لنظام الجزية ، ونفس الأمر حدث مع مقديشيو .

ويُعبر عن مفهوم الخضوع المقترن بتجارة الجزية ، نقش وحدث :

- النقش الأثرى ([١٠٦]):

سجل الأدميرال / تشينغ خه على عمود حجرى فى معبد بوذى قريب من شنغهاى نقشا يقول فيه " أن جميع البلدان الواقعة وراء االأفق فى أقاصى الأرض أصبحت تابعة لنا من أقصى الغرب إلى أقصى الشرق ومن أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب مهما بعُدت المسافات التى تفصل بينها ، ورغم بُعد بلادهم َفهاهم البرابرة جاءوا من وراء االبحار حاملين السلع والهدايا الثمينة ".

- زفة البلاط الصينى السفير الإنجليزي:

فى عهد إمبراطور المانشو/ شيان لونج ؛ وعند تقديم السفير الإنجليزي اللورد مكارثي أوراق إعتماده الى رئيس البلاط الصينى ؛ قام البلاط برفع أعلام فى موكبه كُتب عليها " أنه سفير ملك أجنبي وفد لتقديم الجزية لإبن السماء ومعها فروض الطاعة إلى سدته السماوية " .

---

[١٠٦] راجع:T,ai – tsang الموجودد في اقليم Tien – fei - يوجد علي حجر في متحف تيانن – في F.Hirth, Ancient Porcelain: a study in Chinese mediaeval industry and trade,p.٥٨-١٠٦.-

موقف العرب من تجارة الجزية
(ما بين العنف والدبلوماسية)

تعرضنا سابقا ، للزيارات المتكررة للوفود العربية فى العهدين الأموى والعباسى محملة بالهدايا القيمة على المستويين الرسمى والتجارى الى الصين ، وكانت جميعا تنم عن الود والإحترام والدبلوماسية ولم يُشر الجانب الصينى لمسألة الخضوع بشكل مباشر ([١٠٧]) ، ولم نجد معلومات متوفرة عن زيارات الجانب الصينى الى ممالك العرب إلا فى عهد أسطول الكنز الذى شاب سلوكه التعالى الغير مبرر وإستخدام العنف ؛ و من بين ما سردته السجلات عن زيارة الأسطول للمناطق العربية التى نتناولها ؛ مثالين لموقفين عربيين متطرفين ما بين العنف الشديد والدبلوماسية الفائقة النعومة من الإحساء الى اليمن :

تقول سجلات الأسطول عن زيارته للمنطقة العربية:

الإحساء (الرفض والعنف) :

رفضت الإحساء (الجبوريين) الإنصياع لنظام الجزية وقبول الخضوع لإبن السماء إمبراطور الصين ولا مملكته ؛ فحاصرت قوات الأسطول المدينة لفترة وجيزة وقصفتها بالمدافع ثم رحلت لعدم قُدرة القوات الصينية على تحمل الظروف المناخية والطبيعة الغير معتادة بالإضافة لعدم إلمامها بحرب الصحراء .

هـــــرمز

إمتدحت السجلات ملك هرمز لتعاونه فتقول " وحمَّل ملك هرمز مركب الكنز بالأسود والزرائف والخيولَ واللآلئ والاحجار الكريمة ؛ وبعث رسلا مع المركب إلى الصين لتقديم الهدايا لعرش الصين ومعهم مذكرة مكتوبة على ورق من ذهب".

عـــــدن

" أقلعت السفينة من بلاد كولي (كاليكوت) متجهة غربا فوصلنا عدن بريح مؤلمة في غضون شهر قمري وتقع هذه البلاد على الساحل وتبعد كثيراً عن الجبال ؛ وهى غنية ومكتظة بالسكان ويدين جميع أهلها بالإسلام ويتكلمون اللغة العربية ويميلون إلى الغطرسة ؛ ولديهم جيش قوي من سبعة آلاف أو ثمانية آلاف رجل ما بين خيالة وراجلة وهم حسني التدريب .. وهذه البلاد منيعة جداً وتخشاها الدول المجاورة.

زيارة عدن للمرة الثانية

(لتسليم حاكمها هدايا الإمبراطور)

" في العام التاسع عشر من حكم يونغلى أمر الإمبراطور أن يزور الأسطول عدن ... ويمنح ملكها وزعمائها كسوة وعمامة... فلما سمع ملك عدن بوصول المبعوث الصيني ، خرج إلى الشاطئ بصحبة الأعيان وإستقبلهم وقَبل المرسوم الإمبراطوري وسُر بالهدايا الصينية ، وأقام حفلا في قصره للترحيب... ؛ وبعد الانتهاء من تلاوة الإرادة الإمبراطورية ، أصدر ملك عدن أمراً إلى من يمتلك سلعاً ثمينة من أهل بلده أن يبيعها أو يقايضها مع الصينيين ؛ فإشترى الصينيون الجواهر الكبيرة المسماة "عيون القط التي تزن الواحدة منها حوالي شينين **(١١٥ قمحة)** ؛ وكذلك جميع أنواع الياقوت والحجارة الكريمة النادرة واللآلئ الضخمة، وكثيراً من جذوع شجر المرجان التي يبلغ طولها شيحين **(٢٤,٤ بوصة)** ملأت خمسة صناديق وأشياء أخرى مثل العنبر الأشهب وماء الورد ؛ وإبتاعوا زرائف وأسوداً وحمر الزرد ونموراً مرقطة ونعام وحماماً أبيض، ونقلوا جميع ذلك إلى الصين"(١٠٨).

اليمن - النعومة الدبلوماسية

أما اليمن فقد مال ملكها للنعومة الدبلوماسية المبالغ فيها ، فيقول عنها المؤرخون العرب " أن ملك اليمن الناصر أحمد بن إسماعيل الرسولي ؛ إستقبل الأدميرال / شينغ خه وقبل هداياه الفخمة ولم يعترض على تجاهل الأدميرال تقبيل الأرض بين يديه كالمعتاد .. وزاد الأمر بلة أسلوب شنغ خه فى مخاطبة الناصر قائلا: "سيدك صاحب الصين يسلم عليك ويوصيك بالعدل في رعيتك" ؛ فعالج الناصر الأمر بحكمة قائلا " مرحباً ونعم المجيء جئت " وأكرمه وأسكنه دار الضيافة ، وسلمه كتابا إلى صاحب الصين يقول فيه " الأمر أمركك والبلد بلدك" ، وجهز له من الوحوش البرية والثياب الفاخرة السلطانية ، جملة مستكثرة وأمر بتشيعه إلى مدينة عدن " ؛ ويذكر إبن الديبع فى كتابه (١٠٩) أن الملك الناصر إستغرب أسلوب شنغ خه فى التخاطب معه ، وعقب بجهل الصينين بأحوال الناس والدول وإعتقادهم أن كل الشعوب خاضعة لإرادتهم .

ويبدو أن سلطان اليمن تجاوز غطرسة الجانب الصينى ؛ بإعتبار اليمن بلد رائد فى التجارة الدولية ولا يمكن إغفال مكانة الصين مركز العالم الصناعى والتجارى كشريك حتى

---

١٠٨ - المرجع - الحوليات الصينية فى العصور الوسطى صـ٧٥ نقلا عن : تشا شينغ شينغ لان باللغه صينية – عام ١٤٣٦ عنوانه "المسح الشامل للنجمة الطوافة " - الخليج العربى. . ٦٥- Ma – Huan: Op.Cit ,P. ١."نقلا عن نفس المصدر

١٠٩ - عبد الرحمن بن علي الديبع: قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، مطبعة السعادة ،القاهرة ، ١٩٧٧مم،, جـ ٢- ص ١٢ ، وكتابه الفضل المزيد علي بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد - مركز الدراسات والبحوث اليمني ص ١٠٧ – نقلا من بحث حسنة الغامدي.

لو إقتضى الأمر مداهنتها من باب المصالح .

مكة والمدينة

" ..... وإذا سار المرء جهة الغرب يوماً واحداً، يصل إلى المدينة وفيها قبر النبي محمد ؛ ويخرج من أعلى القبر نور ساطع ليل نهار ويدخل في السحاب..... وخلفه (القبر) بئر ماء عذب ، تُسمى زمزم **(زمزم في مكة لا في المدينة)** .....وفى تقرير آخر ولعلها ترجمة أخرى يقول.. "يوجد مدفن الرجل المقدس محمد **(المقصود قبر الرسول ﷺ)** وأعلى قبره نور من خمسة ألوان يسطع صباحا ومساء لا ينقطع تلألؤه ؛ وخلف القبر منبع مائي يُطلق عليه زمزم، وطعم الماء الذي يجرى فيه حلو أو يميل إلى المذاق الحلو".

زيارة الأسطول للعرب (جدة)

يقول " إحتفوا بالاسطول وزاروا سفنه ومعهم الهدايا إلى الإمبراطور " جو دي " ؛ وأغدق " تشنغ خه " على مستضيفيه العرب بهدايا صينية من الحرير والخزف " ....." .

سفارات ممالك العرب الى الصين

أرسل ثمانية من ملوك وأمراء العرب **(منها المدينة المنورة – الأحساء - مكة)** ؛ بعثات إلى الصين فى عهد الإمبراطور **zong Xuan** (١٤٣٥-١٤٢٥) ، وأرسل سلطان مكة / الشريف بركات وفود إلى الصين عام ١٥١٨ و ١٥٢٥ محملة بهدايا للإمبراطور منها خيول.

شينغ خه / إسلام ملك ملقا ([١١٠])

زار شينغ خه فى رحلته الأولى سنة ١٤٠٥م مملكة شامبا الإسلامية فى شرق فيتنام ؛ ثم ملقا **(الملايو- ماليزيا)** والتقى زعيمها الهندوسى بارا ميسوارا وقدم له الهدايا وساعده فى التخلص من عبء الجزية التى فرضتها عليه سيام ، وجملتها أربعون شجرة من الذهب ، فكاتب ملكها الذى تجاوب مع طلبه ، ولما عاد شينغ خه الى الصين أقنع الإمبراطور بألإعتراف بـ ميسوارا ملكا.

وقد زار بارا ميسوارا الصين ومعه وفد من ٥٤٠ شخصا على متن الأسطول ، وكان التقائه بـ / هاى شو مفوض الإمبراطور فى كانتون وكان مسلما سببا فى إسلام هذا الملك ، وهو ما فتح الباب مستقبلا لهجرة قطاع كبير من مسلمى الصين معظمهم من هوكين بـ /

---

[١١٠] - باراميسوارا كان أميراً هندوسياً، هرب من إمبراطورية ماجاباهيت فى الملايو ، ثمّ استقرّ في جزيرة تيماسيك- سنغافورة – بعد إغتصابها من حاكمها التابع لملك سيام ، ثم هرب من الجزيرة إلى موار قبل أن يقرر جعل ملقا عاصمته الجديدة عام ١٤٠٢ م ؛ وفي ١٤١٤ م اسلم بعد زواجه بأميرة من باساي ولقب نفسه "السلطان ميجات إسكندر شاه."

فوجيان الى الملايو وجنوب شرق آسيا ([١١١]).

أحوال المسلمين
فى عهد مينغ (١٣٦٨-١٦٤٤م)

التسامح

عرفانا من أباطرة مينغ بفضل المسلمين فى حرب طرد المغول ، وفضلهم فى دعم والدهم فى تأسيس حكم الأسرة ، كانت الأمور بين الأباطرة والمسلمين تسير على نحو طيب للغاية كان من نتيجتها التخلص بهدوء من محظورات هنغوو الإجتماعية المشار اليها آنفا ، ويروى التاجر المسلم سيد على أكبر فى نهاية القرن ١٥م واوائل القرن ١٦م " :" أن الإمبراطور **(لم يذكر إسمه –هذه فترة حكم تشنغدة)** أمر بأن يُترك إعتناق الإسلام أمرا حرا للأفراد " ، وأن ٣٠ الف أسرة مسلمة تعيش فى مدينة كينجانوف .. منحهم الإمبراطور هبات وأراض و أعفاهم من الضرائب ومارسوا بحرية مطلقة شعائر الإسلام الذى كان يحترمه الصينيون.

حماية الأباطرة للمساجد وصيانتها

ولم يقتصر الأمر على هذا بل أعلن أباطرة الأسرة حمايتهم للمساجد وسجلوا ذلك فى مرسوم إمبراطوري محفور نصه على لوحة تذكارية بمسجد تشوانتشو بمدينة فوزهو يقول " أعطيك مرسومي الإمبراطوري هذا لكي يحرس سكنك ؛ ولا يحق لأى مدنى أو عسكرى أو مسؤول أن يتعرض لك(للمسجد) بإهانة أو سب ومن يفعل ذلك سيعاقب كمجرم " ، وفى ترجمة أخرى يتحدث ليس فقط عن المساجد وأنما أيضا عن المسلمين "أنا أعطيكم هذا المرسوم الإمبراطوري من أجل حفظ وجودكم ؛ ومحظور على أي شخص مسئولا أو مدنيا كان أو عسكريا إهانة أي مسلم أو الإعتداء عليه ، ومن يُخالف هذا المرسوم الإمبراطوري سوف يعاقب كمجرم ، ويروى التاجر المسلم سيد على أكبر أن بالعاصمة أربعة مساجد وما يقرب من تسعين غيرها فى الولايات بُنيت على نفقة الإمبراطور .

الإنتشار الإسلامى

لاحظ ماتيو ريتشي ، أول يسوعي يصل إلى بكين عام ١٥٩٨ فى عهد أسرة مينغ ،

---

١١١ - هاجر الهوى مع موجة من المهاجرين الصينيين الى ماليزيا بلغت ذروتها بين ١٨٧٥ و ١٩١٢، سكنوا بينانغ ، صباح ، سنغافورة و بانكور قبل الحرب العالمية الثانية ، ووفقا لجمعية المسلمين الماليز الصينيين ، فإن العديد من عائلات المهجرين قد تركت الإسلام قبل الاستقلال ، ولكن القابهم Koay و Ma و Ha و Ta و Sha و Woon و Anأو Ang تشير إلى أن أصلهم من الهوى .

إتساع الإنتشار الإسلامى فيقول " المسلمون موجودون في كل مكان ... ولهم آلاف الأسر منتشرة في كل مقاطعة تقريبًا "..... ومن محاسن هذا العهد إستقرار أعداد كبيرة من المسلمين فى العاصمة وهو ميزة لم تتاح لأخرين (١١٢) **منهم :**

المحاربين المسلمين سواء من جيش الإمبراطور هنغوو أو أسراه المسلمين ، بموافقة منه فى طفرة من عظيم تسامحه وأمر(عام ١٣٨٩م) بإنشاء مسجد جينغجيويه خصيصا ليسهل عليهم أداء الصلاة ودراسة الكتب الإسلامية.

٢- الحرفيين فى مختلف المهن من الايغور والفرس والعرب وهم كثر ، أطباء وتجار مجوهرات وحراسا وفنانين الذين جلبتهم الأسرة الحاكمة لخدمة إحتياجاتها ، وزادت أعدادهم فى العاصمة بإسلام أعداد من اليهود و النسطوريين أعضاء الجماعات العرقية العسكرية .

دعوة الشاه رخ بهادر التيمورى أباطرة مينغ للإسلام

حاول سلطان الدولة التيمورية المجاورة الذى يرتبط بعلاقات طيبة مع الصين حث أباطرة المينغ على الإسلام وذلك عام ١٤١٢ عندما إنتهز الشاه رخ بهادر التيمورى قدوم سفير الصين إلى قصره في سمرقند ، وحمله رسالة باللغة العربية الى إمبراطور مينغ يدعوه فيها إلى الإسلام وأعقبها برسالة ثانية لنفس الغرض للإسلام وتطبيق الشريعة الإسلامية ([١١٣]).

إسهامات المسلمون العلمية فى عهد مينغ

صناعة السفن

إقتبست الصين من العرب فى أزمنة بعيدة تقنيات صناعة السفن " مادراتا " العابرة للبحار ؛ وأضافت تقنياتها الخاصة فى عهدى تانغ وسونغ التى بلغت أوجها على يد الأدميرال تشنغ خه فى عهد إمبراطور مينغ/ يونغلى .

الفـــــــــلك

أقام هنغوو مرصدا فلكيا للهوى فى نانينج وإستحضر له سنة ١٣٦٩ العام الثانى من حكمه ؛ العالم المسلم حيدر عدول والرومى ماجد الدين ومحمد خان وماهش ومشايخ

---

١١٢ - الدعوة الى الاسلام صـ ٣٣٩ – السير ارنولد نقلا عن كتاب كهتسوه آويوي تأليف قو جي يوان عن أسرة مينغ".

[١١٣]- قوه ينغ ده / تاريخ العلاقات الصينية العربية / ص ٣١ - ٢ ١ الدعوة إلى الإسلام / ص ٣٣٧ الإسلام فى الصين.

(إسم)وأربعة آخرين ، وقام محمد خان ومشايخ بترجمة الكتب العربية فى علم الفلك فى العام العاشر من عهد مينغ ١٣٨٣م وتجميع الطاولات الفلكية اسفرت الأبحاث عن تقويم هوى هوى **Huihui** ؛ وهى جداول معروفة باسم النظام الإسلامي لعلم الفلك التقويمية (**Lifa**)، الذي نُشر في الصين عدة مرات حتى أوائل القرن الثامن عشر .

الـــــرى

أسهم العالم المسلم هاى روى فى بدايةعهد مينغ بالعديد من الإنجازات فى مجال الرى لدرء خطر فيضانات نهر وو سونغ وتنمية الزراعة بمنطقته .

ثورة الفـــــــلاحين
وسقــوط المـــــــينغ

ضربت المجاعة الصين فى دورة فيضانات كارثية ومزمنة للنهرالأصفر ؛ منذ ثلاثينيات القرن السابع عشر حتى نهاية عهد مينغ ، مما أدى لثورة الفلاحين بقيادة لي تسي تشينغ **Li Zicheng** فى مقاطعة شنشي الشمالية ؛ إستولوا فيها على شيان العاصمة القديمة في فبراير عام ١٦٤٤ ؛ وأعلن نفسه إمبراطورا مؤسسا لأسرة حاكمة جديدة بإسم "شون" وتوجه بجيوشه الى العاصمة بكين .

ولما علم الإمبراطور / تشونغ تشن **Chongzhen** آخر أباطرة أسرة مينغ بقدوم الثوار الى بكين ؛ إستنجد بالجنرال " وو سانج وي " .. **(وو سانك وي - أو - وو سانغي)** ، ولما كانت قواته بعيدة فى شمال سور الصين ، ناشد الإمبراطور في الخامس من إبريل عام ١٦٤٤ القادة الأقرب للعاصمة التدخل لإنقاذها ولكنها سقطت في نفس الشهر يوم ٢٤أبريل ؛ فإنتحر الإمبراطور وأسرته خوفا من بطش الثوار (١١٤) .

ولما علم الجنرال وو سانج وي بسقوط العاصمة وهو فى طريقه اليها ، تراجع بجيشه بعد عبوره ممر شانهاي فتعقبته قوات الثوار ولم تتمكن منه فى معركتين ، فخرجت قوة من ستين ألفا بقيادة زعيم الثوار لمطاردة وو سانج ، فإستنجد الجنرال بالمانشو أعداء الإمبراطورية المنشقين والذين كان فى حرب مستمرة معهم الفترة من عام ١٦٢٦ حتى قيام الثورة عام ١٦٤٣ ، فإستجابوا له وفتح الجنرال لقواتهم ممر شانهاى للمرور الى العاصمة بينما ناوشت قواته الثوار الذين تراجعوا الى العاصمة ونهبوها لبضعة أيام ثم فروا منها في الرابع من يونيوعام ١٦٤٤ (١١٥).

---

١١٤ - جمع آخر أباطرة المنج أسرته حوله وشرب نخبهم وأمر زوجته بالإنتحار ثم شنق نفسه بمنطقته (حزامه) بعد أن كتب على طية ثوبه "نحن ناقصوا الفضيلة ذوي الشخصية الحقيرة ، استحققنا غضب الله العلي القدير بما غرر بي وزرائي ؛ وإني لأستحي أن ألقى آبائي وأجدادي في الآخرة ، ولهذا فإني أخلع بيدي تاجي عن رأسي وأنتظر وشعري يغطي وجهي أن يقطع الثوار أشلائي ، لا تؤذوا أحداً من شعبى" .

١١٥ - قتل المتمرد لى تسي تشينغ (الإمبراطور) فى سبتمبر ١٦٤٥ ؛ و قاد المتمردين المسلم ما شو ينغ .

خامسا أسرة تشينغ / المانشـــو

(١٦٤٤ - ١٩١٢)

إستيلاء المانشو على الحكم

بعد دخول المانشو العاصمة لم تفلح محاولات الجنرال " وو" لإجلائهم وإعادتهم الى موطنهم ، وإنما أعلنوا قيام دولتهم فى الصين " أسرة تشينغ " ؛ فإنسحب الجنرال وأعد نفسه لقتالهم وثارت القوى التى مازالت على ولائها للمينغ ؛ وفي نفس عام ١٦٤٤ قاد تشانغ شيان تشونغ ثورة في الجنوب قتل فيها العديد من أمراء أسرة مينغ وآلاف المدنيين وأعلن نفسه إمبراطورا مؤسسا لأسرة حاكمة جديدة بإسم "شي" في مقاطعة سيتشوان جنوب غرب الصين .

المانشو وثورات المعارضين

- ثورة " مى لا ين " - شمال غرب الصين ([116])

لجأ/ يانتشانغ تشو سيتشوان آخر أُمراء مينغ الأحياء (١١٧) الى إقليم جانسو معقل المسلمين ؛ وأواه الزعيم المسلم / دينغ قوه دونغ ومعه الجنرال المسلم / مي لا ين ؛ وخلال ٤ سنوات تمكن من حشد قوة من المسلمين والهان تولى قيادها / قوه دونغ و/ مي لا ين ، وبدأت الثورة فى الشهر الرابع من العام الخامس من حكم **Shun cheh** (١٦٤٨) ، فيما عُرف بـ " ثورة مى لا ين ، ونادوا فى راياتهم "إسحقوا المانشو وإستعيدوا المينغ " ، ونجحوا رغم تجهيزهم البدائى والضعيف من السيطرة على بعض مدن جانسو شرق النهر الأصفر ؛ ولما إزدادت أعدادهم وأصبحوا أكثر تنظيما وأحسن تسليحا من غنائم المعارك ؛ أطلقوا على أنفسهم جيش المليون الذى كان فى حقيقته مائة الفا أغلبيته من المسلمين وقليل من الهان .

---

[116] - تتضارب المراجع بشأن الثورة فبعضها يقسمها مرحلتين الأولى انتهت بإتفاق سلام عام ١٦٤٩م تم بمقتضاه منح زعماء الثورة " مي لا ين و دينغ قوه دونغ" مناصب في جيش تشينغ ، ثم قامت ثانية بنفس القيادات الى النهاية التى أوردناها ، وهذا الخلط شائع فى التاريخ الصينى ، ولكن القصة إجمالا هى كما أوردناها سواء مقسمة أو موحدة.

١١٧-الاسماء المختلفة للامير بالانجليزية -Chuan Yanchang Zhu Shichuan - Chu Sheh (وإسمه فى قول آخر لينغان وانغ) .

وفى مواجهة زخم الثوار ؛ أخذ المانشو بمقترح جنرال الهان / منغ تشياو فانغ بإستخدام الهان لقتال الثوار لبث الفرقة بين فئتى الثوار من عرقية المسلمين والهان ؛ وهذا الجنرال كان قد خان أسرة مينغ آخر عهدها بتسليم قلعة شان كوان المشرف عليها فى النهاية الشرقية لسور الصين للمانشو ، ونجحت خطة الجنرال وإسترد مدنا من الثوار وعبر خلفهم النهر الأصفر وقُتل منهم ثلاثين الفا فى معاركه ، وكان أمير المينغ يانتشانغ تشو سيتشوان و الجنرال / مي لا ين من بين القتلى ، وبموتهما تداعت الروح المعنوية للثوار فإنهارت دفاعاتهم عن مدينتهم الأخيرة / كان شو التى سقطت وجرت فيها مذابح كبيرة للثوار.

- ثلاثي المسلمين المخلصين - جنوب الصين

وبعد الهزيمة فر بعض الثوار الى يوننان فى جنوب الصين حيث يتركز المسلمون وتمكنوا من حشد قوة رفعت شعار "إسحقوا المانشو وإستعيدوا المينغ " ، فإضطرت الحكومة إلى سحب قواتها من جانسو لمحاربتهم ، وفر قائد الثورة الآخر دينغ قوه دونغ الى تركستان الشرقية ؛ وأقنع خان اليوغور سلطان سعيد بابا حامي وإبنه الأمير تورومتاي ؛ بمحاربة المانشو لإسترداد الأرض التى خسرتها الثورة ؛ وتمكن من حشد ١٠ الاف مقاتل إقتحم بهم بوابة سور الصين ؛ وإستولى على لانزاو ومدن أخرى من بينها **Su-chow** التى قتل من فيها من المانشو والهان المتحالفين معهم بما فيهم حاكم المدينة عقابا له على إستسلامه لقوات المانشو ؛ مما أحدث شرخا فى قوات المينغ بين المسلمين والهان ؛ فتمكن المانشو من عزل المسلمين وهزموهم بعد معركة شرسة غير متكافئة فى **Su-chow** ؛ مات فيها اربعة عشر الف ثائرمسلم ، وكانت حصيلة قتلى الثورة مائة الف معظمهم من المسلمين من بينهم قادة الثورة مي لا يين و دينغ قوه دونغ والأمير تورومتاي وأقيم للثلاثة نصبا تذكاريا في منطقة كانتون بإسم " ثلاثي المسلمين المخلصين".

- تمرد الإقاليم الثلاثة

لم يتبق أمام المانشو من المتمردين حتى عام ١٦٧٧ إلا الإقاليم الثلاثة المتحالفة ، وكانت تحت يدهم قوة من ثلاثمائة الف رجل ؛ وتزعمهم الجنرال / وو سانغى الذى أسس إمبراطورية " تشو" العظمى عام ١٦٧٨ فى هنيانج – هوننان إلا انه مات وتولى حفيده حكمها لكن المانشو تمكنوا من هزيمته وإعدامه ؛ وقضوا على مملكته عام ١٦٨١ .

المانشو وإخضاع الصين

و فى عام ١٦٨٣بعد عامين أتم إمبراطور المانشو/ كانغشي إخضاع الصين **(لم يكن المانشو قد ضموا تركستان بعد الى الصين)**؛ وكان الصينيون قد أعيتهم الثورات ومالوا الى السلمية بمنطق القائل " ليس مهما من يحكم هان او مانشو ، وما أرجوه طالما دفعت الضرائب هو

العيش فى سلام " ، وهنأ المانشو بقرن من الهدوء وإتخذ المسملون موقف الترقب الحذر ؛ ولكنهم لم يسلموا من الوشايات.

أباطرة تشينغ و الوشايات ضد المسلمين

- الإمبراطور كانغشي سنة ١٦٩٤

وجد فى محفوظات مسجد هوايشينغ في مدينة قوانغشو ؛ لوحا منقوش عليه أمر الإمبراطور كانغشي سنة ١٦٩٤ لرد وشايات أعداء المسلمين ، إذ قال له أحد الكارهين لما رأى المسجد وقد تألق بالأنوار في ليالي رمضان "ان المسلمين يجتمعون ليلا ويتفرقون نهارا، ويبدو أنهم يستعدون للتمرد" ، فتوجه الإمبراطور الى المسجد متنكرا للتحقق من الأمر ولما تبين له عدم صِدق ذلك أصدر أمرا جاء فيه: "ليكن في علم جميع المقاطعات أن من يفرى من الموظفين أو الرعايا على المسلمين بالتمرد متذرعا بذريعة تافهة سَيُعاقب بشدة ، وليتمسك المسلمون بالإسلام دون السماح بمخالفة أمري هذا".

- الإمبراطور يونغ تشنغ

(١٧٢٢ -١٧٣٥)

تصدى الإمبراطور يونغ تشنغ **Yong zheng** لوشايات مماثلة ؛ وكان موقفه منها حكيما ضمنه **مذكرته التالية :**

" منذ عدة قرون مضت يوجد فى كل ولاية من ولايات الإمبراطورية عدد كبير من المسلمين الذين يؤلفون جزءا من الشعب أعتبرهم كأبنائي وأنظر اليهم كما أنظر الى بقية رعيتى تماما ؛ ولا أفرق بينهم وبين الذين لا يدينون بالإسلام .

وقد تسلمت من بعض الموظفين ظلامات سرية ضد المسلمين تقول أن دياناتهم تختلف عن ديانة بقية أهل الصين ولا يتكلمون لغتها ولباساهم يختلف عن لباس سائر الاهالى ، ويتهمونهم بالعصيان والغطرسة والميول الثورية ؛ وحرضونى أن أتخذ ضدهم تدابير صارمة ؛ ولما بحثت الأمر لم أجد لهذه الإتهامات أساس من الصحة ، والواقع أن الإسلام هو دين أجدادهم ، أما لغتهم فهى ليست كلغة بقية الصينيين وما أكثر اللغات فى الصين ، أما إختلاف عاداتهم ولباسهم وطريقة كتابتهم عن بقية أهل الصين فهى مسائل لا أهمية لها مطلقا وما هى الا عادة من عادات المسلمين ، أما أخلاقهم فهى أخلاق فاضلة كأخلاق غيرهم من الرعية وليس هناك ما يدل على ميلهم الى الثورة .

من أجل ذلك ؛ كانت رغبتى فى أن تُطلق لهم الحرية فى إقامة شعائر دينهم الذى يهدف الى تعليم الناس الإلتزام بالقيم الفاضلة وأداء واجباتهم الإجتماعية والمدنية ، فدينهم يحترم النظم الأساسية للحكومة وليس لنا أن نطلب منهم أكثر من ذلك ؛ وإذا التزم المسلمون بصفات

الرعية المخلصين الأخيار ، فسأبسط لهم رعايتى بقدر ما أبسطها الى أبنائى الأخرين ، لقد إرتق منهم مدنيون وعسكريون أعلى المناصب ، وهذا أقوى دليل على أنهم تطبعوا بطباعنا وإعتادوا عاداتنا ؛ وتعلموا كيف يتكيفون مع شرائع كتبنا المقدسة ، إنهم يجتازون إمتحانات الآداب كأى إنسان أخر ، ويقومون بما يفرضه عليهم القانون من تضحيات ؛ وقصارى القول أنهم أعضاء مخلصون فى الأسرة الصينية العظيمة ويجتهدون فى أداء واجباتهم الدينية والمدنية والعسكرية ؛ وحين ينظر القضاة قضية مدنية لا تعنيهم ديانة المتخاصمين فليس هناك سوى قانون واحد لرعيتى ؛ نكافئ من عمل صالحا ونعاقب من أخطأ ".

وقد أقر الإمبراطور:

- بحق المسلمين فى حرية العبادة ، و تقبل إختلافهم فى الملبس واللغة والعادات طالما تصرفوا كمواطنين مخلصين يقومون بما يفرضه عليهم القانون من تضحيات .
- مساهمتهم فى الحياة المدنية والعسكرية وتوليهم أعلى المناصب.
- مشاركتهم إمتحان الآداب للإلتحاق بوظائف الإدارة العليا.

- الإمبراطور / تشين لونغ[١١٨] (١٧٣٥ ــ١٧٩٦)

- عصر الحروب و الثورات الإسلامية

كان حُكم الإمبراطور/ تشين لونغ أطول العُهود حُكما في تاريخ الصين ، فقد عاش ٨٧ عاما حكم منها ٦٣ عامًا ؛ وكان عهده مشحونا بالمعارك خارج وداخل البلاد ؛ غطت غزواته بورما ونيبال وفيتنام وتركستان الشرقية ؛ وفى الصين شملت معاركه كل فئات الشعب تقريبا نال منها المسلمون حظا وافرا ، ومعهم مسلمو تركستان الشرقية فى حملاته لضمها .

ثورات المسلمين :

- **إنتفاضة جانسو** - صدام الصوفية
- **ثورة su** زعيم قبيلة سالار المسلمة عام ١٧٨١ فى جانسو ؛ إستمرت معاركه عشرون يوما.

- قتال الصوفية

فى الشهر الثالث من السنة ١٣ من حكم تشين لونج ١٧٤٨ ؛ نشب خلاف بين

---

[١١٨] - من كتابات إسمه / تشيان لونغ chien long - وتشين لونج و بالإنجليزية Qianlong ؛ (عاش ٨٧ عاما و حكم ٦٣ عامًا ١٧٣٥ – ١٧٩٦)

المسلمين فى جانسو حول تفسير تعاليم الدين إقتتلوا فيه وقتل بعضهم البعض ، وبالرغم من أن الحادث لا يتعلق بالعداء للمانشو إلا أنهم أرسلوا قوات لحفظ النظام إستجابة لطلب أحد أطراف المسلمين ؛ فتصدى لهم الصوفى المتشدد " ما مينغ - سن ومريدوه وقتلوا بعض الجنود منهم إثنين من كبار الموظفين ؛ فأرسلت السلطة قوة قبضت على ما مينغ - سن ؛ فتجمهر الألاف من مريديه وحاصروا المدينة ؛ فخاف حاكم الاقليم وطلب من الصوفى ما مينغ - سن صرفهم وقتله ليلا ؛ فقام مريدوه بالتحصن فى الجبال ومنعوا الفا جندى للحكومة من دخول المدينة مدة شهرين ؛ فإستعانت الحكومة بالمسلمين المعارضين وكونت منهم جيشا وسلحته ، فحاصروا أخوتهم المتحصنون بمعبد بوذى الى أن نفذت مؤنهم فأحرق المانشو المعبد بمن فيه ، وإستمرت الفوضى فى المنطقة لفترة مائة يوم ، وكانت حصيلة القتلى عشرة آلاف قتيل .

- انتفاضة مدينة شيه فونغ بو sheh fong pu

فى عام ٤٦ من حكم تشين لونج (١٧٨١) ، تمكن تيين وو آخوند **tien wu akhund** (١١٩) زعيم الصوفية الجديد من حشد قوة صغيرة هاجمت قوات الحكومة ؛ فأرسلت الحكومة قوة حاصرته فى مدينة شيه فونغ بو وتمكنت من قتله وهرب أتباعه ؛ وأعدمت الحكومة ألاف المسلمين فى المدينة بما فيهم النساء والأطفال ؛ مما أثار المسلمين من الجماعتين فإتحدا وقادة **ma ssi kwei** و **chang weng ching** تمردا وإحتلا ضاحيتين وأبادو قوات الحكومة ؛ فأرسل المانشو قوة مزودة بالمدافع وحاصرتهم فى الجبال ومنعت عنهم المؤن والماء فى الصيف القائظ وسمح الثوار لمن يرغب بألإستسلام بأن يفعل ؛ فأدرك المانشو صعوبة موقف الثوار فهاجموهم وأبادوهم ؛ وأعدموا المقاتلين من الأسرى وأفرجوا عن ثلاثة الاف من النساء والأطفال والشيوخ .

تعاون الثورات الكبرى فى القرن ١٩

ضاق الصينيون من سطوة المانشو وتعاليهم عليهم ؛ فإندلعت موجة غير مسبوقة من الثورات ضد أسرة تشينغ في جميع أنحاء البلاد في الفترة الممتدة ما بين (١٨٥٠-١٨٧٠) ؛ حتى أصبحت معظم الأقاليم خارج نطاق سيطرة السلطة المركزية ، وتمزقت الصين الى ثلاث دول ؛ دولة المانشو و مملكة السلام السماوية (التايبينغ) في جنوب الصين (١٨٥١) وسلطنة دالي الإسلامية المستقلة (١٨٥٣-١٨٧٣) في الجنوب الغربي بإقليم يونان ، وتزامن مع هذه الثورات ؛ إنتفاضات عفوية بمناطق متفرقة من الإمبراطورية ؛ من أهمها انتفاضة حملة المشاعل بإقليم نيان (١٨٥٣-١٨٦٨) ، و ثارت أقليات مسلمة أخرى في الجنوب الغربي بإقليم يونان (١٨٥٣-١٨٧٣) ، وفي الشمال الغربي فى الفترة (١٨٦٣-١٨٧٣) وهى لم تصل

---

١١٩ - آخوند كلمة فارسية تعنى المعلم.

بطموحها الى تشكيل الدولة فى كل من يوننان وشنشى وجانسو وتشينغهاى ونينغشيا وتفيدنا التدوينات التاريخية أن إنتفاضة نينغشيا شارك فيها عشرات الآلاف من المسلمين بتأثير من ثورة مملكة السلام السماوية (١٨٥٣-١٨٦٤م) ؛ وكان جامع مدينة توتغشين فيها مقرا لقيادة الثوريين المسلمين بزعامة يانغ شنغ شيانغ ، وقد انهدم الجامع بحرائق أشعلتها قوات المانشو بعد احتلالها تونغشين سنة ١٨٦٥.

ثورة مملكة السلام السماوية (التايبينغ Taiping) بجنوب الصين ١٨٥٠- ١٨٦٤

ثار هونج شيو تشوان **(هونغ هسيو)** عام ١٨٥٠ ؛ وهو مدرس ينتمي لأسرة من فلاحى الهان الفقراء بجنوب الصين ، إدعى أنه مبعوث إله السماء والأخ الاصغر للسيد المسيح جاء لإسقاط دولة المانشو وإقامة دولة العدل والمساواة المطلقة بين الناس([١٢٠]) ، و في ١١ يناير ١٨٥١ أعلن قيام مملكة السلام السماوية وقامت سياسة المملكة على أساس القضاء على الإقطاع وإقتسام الأرض بالتساوى بين الفلاحين وتحريم الأفيون والخمر وتطبيق عقوبة الموت فى الزنى وهدم معابد الكونفوشيوسية.

وسرعان ما إزدادت قواته المكونة من الفلاحين ومن بينهم مسلمين ، الى عشرين ألف ثم إلى أكثر من مليون مقاتل وتمكن من هزيمة قوات الحكومة وإستولى على العديد من المدن من بينها نانكينغ أكبر مدن الصين الوسطى **(عاصمة المينغ)** ؛ وفي مارس عام ١٨٥٣ أصبح تحت سيطرته جزء كبير من جنوب الصين بما فيه مسار القناة العظمى ويضم ثلاثين مليون نسمة ، وخلال زحف الثوار إقتحمت قواتهم القصور وصادرت أراض الإقطاعيين وأموالهم وكذلك فعلت بالنسبة للموظفين الفاسدين ووزعت الأرض على الفلاحين ؛ وقامت بإحراق سجلات الملكية والضرائب.

قامت قوات المانشو بفتح سدود القناة العظمى لإغراق الطرق وطبقت سياسة الأرض المحروقة لعرقلة تقدم قوات الثوار نحو بكين العاصمة الإمبراطورية ؛ ونقلت الحكومة أرصدتها من الفضة الى منشوريا إستعدادا لهرب أسرة تشينغ الى موطنها الأصلى ؛ لكن الثوار تقاعسوا عن مواصلة الزحف الى بكين بسبب طقس الشمال البارد عن طقس الجنوب الذى إعتادوه ؛ مما أتاح لجيش الحكومة الفرصة ليُعيد تنظيم صفوفة .

---

١٢٠ - وفي القرن العشرين، رأى صن يات سين مؤسس الحزب القومي الصيني ومؤسس الجمهورية الصينية ، أن هذا التمرد كان مصدر إلهام ...و مجَد ماو تسي تونغ زعيم الصين الشيوعية عمل متمردي تايبينغ وقال إنها بطولات ثورية مبكرة ضد فساد نظام الإقطاع.

وفى هذا الوقت تأكلت مبادئ الثورة والعودة لفرض الضرائب على الفلاحين التى كانت فى الأصل سبب ثورتهم على المانشو ، فتفجر القتال بين الثوار مما أفقدهم الاف المقاتلين المتمرسين وداهمتهم المجاعة عامى ١٨٥٨ – ١٨٥٩ ، مما شجع المانشو على التقدم فى مناطق الثوارالتى لم يكن لهم فيها حاميات متمركزة ؛ وإستردوا أغلب المدن التي إحتلها الثوار وآخرها العاصمة نانكينغ فى مارس سنة ١٨٦٤ بعد حصارها وإنتحر هونغ هسيو وتم القضاء على مملكة التايبينغ بعد أن خلفت الثورة والمجاعة التى نتجت عن تخريب المزارع حوالى ٣٠ مليون من البشر.

تدخل القوى الأوروبية
لسحق ثورات الصين

وأهم الأسباب التى مكنت المانشو من سحق الثورات الضخمة التى إجتاحت البلاد فى هذا الوقت ؛ دعم القوى الأوربية إنجلترا وفرنسا حكومة المانشو بالخبراء العسكريين والأسلحة النارية الحديثة لردع تلك التمردات التى تفجرت فى الصين ، لإنقاذ مكتسباتهم التجارية التى إقتنصوها من حكومة المانشو بالمعاهدات الجائرة بعد هزيمة الصين فى حربا الأفيون الأولى ١٨٤٠- ١٨٤٢ والثانية ١٨٥٦ –١٨٦٠ ؛ تلك المكتسبات التى تأثرت بشدة نتيجة سيطرة الثوارعلى القناة العظمى مسار تجارة الغرب الى قلب البلاد ، وتردى وتقلص الطلب على تجارتهم بسبب الحرب .

حركة نيان (مليشيا حملة المشاعل) فى المناطق الوسطى
١٨٥٣- ١٨٦٨

كان تنظيم "اللوتس االبيض" أم التنظيمات السرية في الصين وأعرقها ؛ وهو تنظيم بوذية سرى نشأ عام ١١٣٣ يتبنى السلمية وينأى عن العنف والقتل إنتشر فكره فى شمال وشرق ووسط الصين ؛ ولكن تفاعلات الحركة الوطنية فى دعم ثورات التايبينغ ومملكة دالى الإسلامية إضرته الى اللجوء الى الأساليب القتالية ١٨٥٨ ضد المانشو بإعتبارهم قوة إحتلال ؛ فأعلنت مليشيات الجماعة فى إقليم نيان معلنة التمرد وإستنسخت شعارات التايبينغ " إقتلوا موظفي الحكومة والأغنياء وساعدوا الفقراء" ، ونسقت هجماتها معهم فى شمال نهراليانجتسي وإتبعت هجمات الفرسان الخاطفة على نطاق واسع على القوات الامبراطورية ولما إستولى التايبينغ على نانكنغ هاجمت حملة المشاعل قوافل التجار والأثرياء وفتحت السجون ؛ وبذلت الجماعة جهوداً كبيرة لتخفيف حصار المانشو للتايبينغ فى نانكنغ ، وحاولت دعم الثوار المسلمين في الشمال الغربي وفى سلطنة دالى ، ولكن نشاطها إنتهى عام ١٨٦٨ تحت ضغط تحالف الانجليز والفرنسيين مع المانشو ضد الثورات .

تمرد المسلمون الهوى

قام المسلمون بالثورة في الجنوب الغربي بإقليم يوننان (١٨٥٣-١٨٧٣) ، وفي الفترة (١٨٦٣-١٨٧٣) فى الشمال الغربي ، تزامنا مع ثورات التايبينغ ١٨٥٠- ١٨٦٤ ومليشيا إقليم نيان (١٨٥٣-١٨٦٨).

مقدمات التمرد - مخطط تصفية المسلمين فى يوننان

فى السنة ١١ من عهد **tao kwong (١٨٣٦)** ، قام المسلمون بثورة فى يوننان - جنوب الصين ، ضد إنحيازالإدارة الى جانب الهان إنتهت عام ١٨٣٩ ؛ إلا أن الوضع بقى متوترا حتى عام١٨٥٠ **(السنة الأخيرة من عهد tao kwong)** ، ورأى تو وين هسيو **Tu Wen Hsiu** - وهو من المسلمين الهان ، أنه من الحكمة تدخل الإمبراطور وسافر الى العاصمة وتمكن من عرض الأمر عليه مباشرة وهو أمر لم يكن معتادا فى الصين ، فأرسل الإمبراطورحاكما جديدا عادلا أصلح الوضع خلال عامين ورحل([١٢١]) ، ولكن الخلاف تجدد فى المنطقة بمشاجرة بين عمال مناجم الرصاص من قوميتي هان و هوي سنة ١٨٥٣ ؛ إنحاز فيه حاكم المانشو الجديد ضد المسلمين وأوحى للحكومة بأن المسلمين يتآمرون على الدولة بإستمرار ؛ وقام بناء على توجيهات قادته بالتجهيز سرا لتصفية المسلمين بالمنطقة بقتلهم ليلا داخل بيوتهم ؛ ونُفذ المخطط فى بلدات **kwong tong – loh chuan -lu feng** ، وتتابع تنفيذ المذابح فى مدن بمنطقة تمتد على مساحة ٢٧٠ ميلا ، قضوا فيها على نصف المسلمين بعد التنكيل بهم قبل قتلهم وبمن فر منهم ؛ وقام الـ هان على مدى ثلاثة أيام فى مايو سنة ١٨٥٦ بذبح ثلاثة الاف من هوي بأمر حاكم المانشو **(١٢٢)** .

ومما يُذكر أن السلطات شكلت ميليشيا رسمية من الهان لحماية أنفسهم لما إندلعت ثورات المسلمين في مقاطعة شينسي خوفًا من تحالف الدونجان مع تايبينغ خلال الفترة التى فقدت فيها تشينغ السيطرة على الوضع في وسط الصين حتى عام ١٨٦٤، وبدأت ميليشيات الهان بذبح الدونجان الذين كانت ثورتهم تتأجج بسرعة في شينسي وجانسو الى أن تمكن القائد " تو لنجا " من إستعادة معظم مقاطعة شنسى وأجبر ثوار الدونجان على الانسحاب غربًا الى جانسو المجاورة لتركستان الشرقية ، وتخوف المانشو من إنتقال الثورة الى ألتشهر ، فقاموا بنزع سلاح الجنود الدونجان في قواتهم وأعدموا المشبوهين الذين شكوا فى ولائهم ، فإستغل ثوار الدونجان الحدث للترويج بين مسلمى الصين والتيشار بأن تشينغ تُعد لهم مذبحة مما أدى

---

١٢١ - لما عاد تو وين هسيو من عند الإمبراطور ؛ وجد المانشو قد ذبحوا خمسمائة مسلم.

١٢٢ - هناك تواريخ أخرى للمذبحة لم يمكن التحقق منها ١٨٤٥ ، وهناك من يقول ان عملية التصفية غير المذبحة التى يقولون انها وقعت فى العاصمة الإقليمية وذبحوا فيها ثلاثة الاف مسلم ؛ ولا نعرف هل هما حدثا واحدا نختلف فى تاريخه ام حدثين مختلفين . تمرد دونغان (١٨٦٢–١٨٧٧) أو تمرد بانثاي أو حرب الهوي ، وهو المصطلح الذي يشمل أحيانا تمرد بانثاي الذي وقع في مقاطعة يونان خلال نفس الفترة ما هوا لونغ .

لتمرد إسلامى كبير إمتد غربا.

تمرد بانثاى (١٨٥٦–١٨٧٣) ([١٢٣])
أولا تمرد ما تيك سن

إندفع المسلمون فى قرى المنطقة للدفاع عن أنفسهم وأعلنوا العصيان وإستولوا على أربع قرى بما فيها كونمينغ عاصمة الإقليم (يوننان) ؛ وأقاموا المعلم الإسلامى Ma Tek Sin وهو من الأحناف كان عائدا من الحج قائدا بدعم من الجنرال ما رو لونج ، وإستقر فى كونمينغ .

ثانيا سلطنة دالى (تالى) الإسلامية
مملكة بينغنان غيو "الدولة الجنوبية المسالمة"

وفى وقت متزامن إحتل الصوفى المتشدد تو وين هسيو **tu wen hsiu (الذى قابل الإمبراطورطلبا لتدخله فى النزاع المشار اليه آنفا)** مدينة تالى **ta li** بالإقليم ؛ ودعا لإتحاد الهوي والهان وطلب من ما رو لونغ الزعيم الحنفى الذي ينتمي للهوي للإنضمام اليه ، وأيده المسلمون وقطاع من الهان وقبيلتي كاخين وشان ذاتا الأصول البورمية وقوميات لي وباي وهاني ؛ وأسس مملكة دالي المستقلة غرب مقاطعة يوننان عام ١٨٥٦ وأطلق عليها إسم بينغنان غيو "الدولة الجنوبية المسالمة" وأعلن نفسه سلطانا بإسم السلطان سليمان ([١٢٤])، وإرتدى الملابس الصينية وألزم بإستخدام اللغة العربية في نظامه الحاكم وحرّم أكل لحم الخنازير، وعامل أتباعه جميعا على مختلف عقائدهم وقومياتهم دون تمييز وعلى قدم المساواة ، بل نال الهان غير المسلمين ثلث المناصب العسكرية فى جيشه ومعظم المناصب المدنية .

وشن السلطان سليمان حربًا شاملة ضد المانشو إستمرت حتى سنة ١٨٧٣ سيطر فيها على ٤٠ مدينة و١٠٠ قرية ولرغبته فى الإستحواز على يوننان بكاملها هاجم كونمينغ عاصمة الإقليم مقر ما تيك سن عدة مرات سنوات ١٨٥٧، ١٨٦١، ١٨٦٣، ١٨٦٨ ؛ منها محاولة غير مُحددة التاريخ لطرد فريق ma tek sin الأحناف الذين إنحازوا الى المانشو وقاموا بقيادة القائد المسلم ما رو لونغ بمهاجمة تالى عاصمة سليمان المحصنة ([١٢٥]) .

---

[١٢٣] - كلمة «بانثاي» كلمة بورمية أطلقها البورميون على مسلمي الصين فى مقاطعة يوننان المجاورة الذين انتقلوا إلى بورما منها.

[١٢٤] - يُسمى الصينيون حركته بـ تمرد تو وين-هسيو أو تمرد بانثاي وهى كلمة بورمية تعنى مسلمى يوننان.

١٢٥ - إنسحب الجنرال "ما رو لونغ " و فريق الأحناف من التمرد والتحقوا بجانب المانشو ؛ (التاريخ غير محدد) بينما كان محاصرا عاصمة الإقليم كونمينغ وفك حصاره لها وإستقر بها ؛ وخاض الحرب مع المانشو ضد السلطان سليمان ؛ وعمل على إغراء رفقاء السلطان فى الثورة بالإنشقاق ونجح فى ذلك مع قائد قوات السلطنة ما هسين عندما وصل لأسوار عاصمة الإقليم لحصارها وضمه الى المانشو ، وأصبح الجنرال وإبنه من أهم العسكريين فى جيش المانشو وحاربوا ضد

رفضت السلطنة كل محاولات الوساطة التى باشرها بعض الـهوي من مقاطعات سيشوان وتشيجيانغ التى لم تشترك في التمرد ؛ بين السلطنة وحكومة تشينغ ؛ ولكن دو وين هسيو (شيو) أصرّ على عدم الاستسلام ، وحاول بعض رفاق ما رو لونغ التراجع عن تأييده والعودة لدعم مملكة تالى ؛ فإستغل الجنرال المسلم ما يونج **ma jong** (١٨٦٣) غياب ما رو لونج لقيامه بحصار تالى ؛ وسيطر على العاصمة م بقوة من ثلاثة الاف مقاتل وقتل القائد الحكومي بان ديو عاقدا النية على تسليمها للسلطان سليمان ، لكن ما رو لونج ترك مهمته فى تالى وعاد الى العاصمة ونجح في إستعادة السيطرة عليها وقتل الجنرال المتمرد ما يونج وذلك فى السنة السابعة من عهد **tong che** (١٨٦٨) ، وعاود السلطان سليمان حصار عاصمة الإقليم فى نفس الفترة بقوة من ٣٦٠ الفا حشدها بمساعدة **ma tien soon** ولكنه لم ينجح فى دخولها .

أنهكت المعارك كاهل السلطنة وعانت من إفتقارها للسلاح فسعت لمساعدة تأتيها من العالم الإسلامى فلم تجد من يمد يد العون ؛ وكان الوضع الإقتصادى قد تردى بعد مقاطعة حكومة بورما السلطنة منذ إندلاع التمرد سنة ١٨٥٥ بضغط من الحكومة الصينية ؛ فأوقفت الحركة على الطريق التجاري بين بهامو فى بورما والأقليم ؛ وساء الوضع العسكرى أيضا سنة ١٨٧١ عندما شنت القوات الإمبراطورية حربًا شاملة ضد السلطنة بمساعدة عسكريين فرنسيين وبأسلحة غربية أكثر تطورا .

أرسل السلطان سليمان(١٨٧٢) إبنه بالتبني الأمير حسن الى الإنجليز فى بورما برسالة إلى الملكة فيكتوريا يحثها على إعتراف بريطانيا بإستقلال سلطنته ؛ متشجعا بلقاء تم فى مايو عام ١٨٦٨ بين عدد من ضباط السلطنة والميجور سلادن قائد الحملة الإنجليزية عندما كان فى مدينة تينغيوي التابعة للسلطنة بـ يوننان الحدودية مع بورما ؛ لكن بريطانيا رفضت الإعتراف بإستقلال السلطنة أو مساعدتها لتحالفها فعليا مع حكومة الصين ضد التمردات المتفشية آنذاك بعد إتفاقيات حربا الأفيون الأولى ١٨٤٠ - ١٨٤٢ والثانية ١٨٥٦ - ١٨٦٠ .

وقبل أن يتمكن الأمير حسن من العودة ، كانت دالي عاصمة السلطنة قد سقطت في يناير سنة ١٨٧٣، بعد أن صمدت لحصار خانق إستعصت فيه قلعتها على المانشو مما إضطرهم لتفجيرها فخرج السلطان بمن تبقى معه من قوات لمواجهة المانشو ففوجئ بخيانة قائده tsai yuen tong بإنضمامه الى المانشو ؛ وحاول السلطان سليمان الإنتحار بجرعة أفيون لم تُؤت مفعولها قبل القبض عليه وإعدامه ؛ وأُرسل رأسه محفوظا في العسل إلى البلاط

الإمبراطوري فى بكين ؛ وإرتكب المانشو مجزرة بعد دخول تالى راح ضحيتها ٣٠٠ شخص ؛ هم أهل السلطان وقتلوا الآلاف ومثلوا بجثثهم ؛ وحاولت فلول جند السلطنة مواصلة القتال بعد سقوط دالي وتحصنوا فى مدينة تينغيوي في مايو سنة ١٨٧٣ ولكنها سقطت أيضا فى يد المانشو وأعدموا تا سا كون زعيم جند السلطنة .

و إنتهت المملكة عام ١٨٧٣ بعد أن بلغت ذروة مجدها فى الفترة ١٨٦٠- ١٨٦٨ ، وبعد إستقلال عشرون سنه من المقاومة العنيدة ؛ كانت الأطول بين التمردات الإسلامية بحصيلة قتلى حوالى مليون ؛ وأصبح دو "بطلاً للمسلمين" تُعده حكومة الصين الشيوعية فى مصاف الأبطال القوميين لدعوته لطرد المانشو المحتليين.

ومما يُذكر أن أعوان السلطان سليمان الصوفيين فى تمرد بانثاى / أمثال ما شنغ لين كان مشرفا على التعاون بين السلطنة و " ما هوا لونغ" زعيم الصوفية المتمرد (دونغان) (سنتعرض لثورته لاحقا) ؛ وبعد خلو الجو أصبح القائد ما رو لونغ حليف المانشو القائد العسكري الأقوى في المقاطعة والحاكم الفعلى مكافأة له على إخماد ثورات المسلمين .

ثورة شنسى سنة ١٨٦٢ فى الشمال

لم تُشارك مقاطعة سنشى ذات الأغلبية المسلمة فى الثورات حتى عام ١٨٦٢ ؛ عندما إنتفضت والحكومة منشغلة فى إخماد ثورة بانثاي فى يونان ؛ فقد حدث شجار بين أفراد مليشيا مسلمة سرحها مستخدمها بعد تركه منصبه فى الإقليم الى مكان آخر بسبب قطعها خيزران البامبو من مزرعة أحد الهان دون إذن قُتل فيه أثنين من المسلمين ؛ ومال المانشو مع الهان ، وإحتمى افراد المليشيا بزعيم مسلم بالمنطقة ؛ وتحول الأمر لمعركة كبيرة مع المانشو ، إحتل فيها المسلمون حزام من الارض فى وى نان فى الشهر الرابع من السنة الاولى لحكم إمبراطور المانشو / **tong che** سنة ١٨٦٢، و حاصر حشد من المسلمين شيان عاصمة الاقليم وقتلوا قائد المانشو ؛ فأرسل المانشو تعزيزات تمكنت من هزيمة المسلمين فى قواعدهم وخربوا أملاك من شارك ومن لم يشارك فى الثورة وحرقوا مدينة شيان بالكامل.

ثورة دونجان (هوى)

الفترة ١٨٦٢ ــ ١٨٧٤ (١٢عاما)

- ثورة زعيم الصوفية الجهرية " ما هوا لونغ "

ثار المسلمون عام ١٨٦٠ ضد أفراد من عرقية هان والمغول في منطقة " هواتشيو" "شرق سينغان فو - أو شرق تركستان " ؛ وفي عام ١٨٦٢ قامت ثورة في الأجزاء الشرقية من مقاطعة جانسو بقيادة زعيم الصوفية الجهرية " ما هوا لونغ " أو " مياو باي لين " وإستمرت الثورة حتى عام ١٨٧١، إستولى فيها الثوار على مقاطعتى جانسو وشانسي وساندتهم بعض مناطق شمال السور.

تمكن - ما هوا لونغ - من إحتلال بعض المدن بمقاطعة نينغشيا وإتخذ مدينة جينجيبو مقرا له وقام ببناء العديد من الحصون وإستمرت منطقة جانسو وتشانسي مقاطعة إسلامية لمدة عقد من الزمن ، وقدم ما هوا لونغ مساعدات الى ثوار يونان - سلطنة سليمان عام ١٨٦٣ ؛ وفى مرحلة ما تفاوض مع السلطات وإستسلم مقابل الأمان من المانشو الذين أعطوه إسمًا جديدًا يتلائم وإستسلامه وهو "ما تشاو تشينغ" أى الذى فى خدمة أسرة تشينغ ؛ ولكنه بدلاً من حل ميليشياته واصل تحصين مدينة جينجيبو ؛ وإستمر فى مساعدة متمردى شنسى الذين انسحبوا إلى جانسو ؛ فهاجمه المانشو عام١٨٦٧ فى السنة السادسة من حكم tong che وهزموه وقتلوا ٨ الاف من الثوار ؛ واستولوا على مدينتين ولكنهم لم يتمكنوا من تصفية الثورة التى تأججت من جديد عام ١٨٦٨.

وبعد فترة إستعادت القوات الإمبراطورية مدناً كثيرة وحاصرت جينجيبو مقر إقامة ما هوا لونغ في يوليو ١٨٦٩ (إمبراطور tong che) ، فإستسلم في يناير ١٨٧١ تحت وطأة المجاعة بعد نفاذ المؤن على أمل أن ينقذ الثوار الذين معه ؛ ولكن قوات الحكومة تنكرت للإتفاق وبمجرد دخولها المدينة ذبحت أكثر من ألف شخص وقامت بتدمير الحصون وأعدمت ما هوا لونج صلبا أو ذبحا فى ٢ مارس من نفس العام ، ويقول البعض أنه اغتيل على يد خائن من داخل صفوفه ؛ وأعدم المانشو رفيقه فى الثورة ما باتسياو على نفس النهج ؛ وقدر عدد الذين هلكوا بالملايين خلال سنوات الحرب .

تختلف تفاصيل الرواة المسلمون لهذا الحدث ؛ فتذكر " فى الشهر ١٢ من السنة القمرية الصينية كان جيش المسلمين متمركزا فى قرية ما مو زا ma mo zai بالقرب من جينجيبو مقر الزعيم الصوفى المتمرد فى مواجهة الجنرال liu song shan وكان يفصل بين جيشيهما أميال قليلة ؛ وكان المسلمون قد نجحوا فى قطع المؤن عن جيش الهان التابع للمانشو الأمر الذى أصبح معه بدء المعركة حتميا فى اليوم التالى وسط طقس ينهمر فيه الجليد ، فأمر ما هوا لونغ قواته بحفر خندق وإقامة مانعا من الجليد به فتحات للمدافع وأمرهم بصب ماء على الأرض والحائط ليصبح زلقا لإعاقة سير مدافع المانشو ، وإنتهت المعركة بموت الجنرال و ثلث قواته ولم يفقد المسلمون سوى عدد قليل من الأفراد.

وبعد النصر قرر ما هوا لونج الإستسلام وسط دهشة قواده وأمر ابنه حسن ذى السنوات العشر بالذهاب الى قائد قوة المانشو ليعلمه بذلك ؛ ووافق القائد الأعلى زو زونج تانج أو **Zuo** على العفو عن الأخرين ؛ وكلمحة شكر منه سمى حسن **an- liang ma** آى السلام

للطيبين (١٢٦) ؛ ويستطرد الكاتب المسلم الحاج إبراهيم مصدر هذه الرواية قائلا أن حسن أصبح جنرالا فى جيش المانشو وإشترك فى كل الحملات على ثوار المسلمين وأن أسرته حاليا فى تايوان فى مناصب حكومية .

ولكن هناك تفاصيل أخرى تتعارض مع ما أورده الكاتب المسلم ، ونستنتج الحقيقة أو ظلالها من إستقراء توابع الحدث ، فالسجلات الرسمية تقول أن الجنرال زو أمر بإعدام ما هوا لونج وإبنه **Ma Yaobang (الاسم الصينى مختلف عما أورده الكاتب المسلم)** ومعه ثمانين من قيادات الثوار بالموت تقطيعا بطيئا ؛ و إستثنى الجنرال من عقوبة الإعدام إبن وحفيد الزعيم ما هوا لونج وتم ترحيلهما إلى مقاطعة يوننان ؛ بينما حكم على أبنائه الصغار بالإخصاء طبقا للعادة على أن يتم تنفيذ الحكم عندما يبلغون الثانية عشر (١٢٧) ، وقد تم إخصائهم فعلا عند بلوغ سن الـ ١٢ وهذا مسجل بالأسماء ؛ أما حفيده "ما جينتشنغ" فقد قام زعيم الصوفية الجاهرية الجديد " ما يوان تشانغ " بدعمه ماديا سرا حتى وفاته ، أما حفيده الأصغر " ما جينشى " **Ma Jinxi** ، فلم يرد بشأنه ذكر فى المصادر الرسمية ، ولكن مصادر اخرى تذكر أنهم أخفوه في أحد منازل الهوي في هنغتشو ؛ وحصل له زعيم الجاهرية بعد عدة سنوات على عفو من الحكومة وهذه الرواية هى الأقرب للصحة والمنطق.

بذلك تكاد ثورات مسلمو البر الصينى تكون قد إنتهت حتى قيام ثورة شنغهاى وسقوط النظام الإمبراطورى وقيام النظام الجمهورى ، وقبل تناوله سننتقل الى ثورات تركستان الشرقية على نحو منفصل ، لنعود لسقوط المانشو بالنسبة لكليهما .

---

١٢٦ - حاولت التحقق من القصة ولكنى لم أجد لها مصادر آخرى ؛ ويبدو أن الكاتب الحاج إبراهيم قد خلط بين تاريخ زعيم الصوفية ما هوا لونج Ma Hua Long و تاريخ الجنرال Ma Ru Long ما رو لونج المسلم شريك السلطان سليمان فى ثورته والمنشق عنه الى جانب المانشو ؛ فالأول لم يُطلق عليه جنرالا لأنه صوفيا ورغم إستسلامه فى مرحلة ما لم يتخلى عن الثورة وإستمر فيها حتى النهاية ؛ واعدمه المانشو وأهله وثواره بعد الإستسلام ولم يكن لديه إبن بهذا الإسم حسن أوMa Anliang .. أما الجنرال ما رو لونج وهو من الحنفية فقد تخلى عن الثورة وإنحاز الى جانب المانشو بعدما أغروه بالمناصب فإنقلب على ثورات المسلمين فى المنطقة وقاتلهم بعنف وكان له إبن بإسم Ma Anliang مواليد ٢٤نوفمبر ١٨٥٥ وإسمه الإسلامى عبد المجيد ؛ وقصته مشابهة لقصة حسن فقد شارك هو وأبوه فى ثورة دونجان ١٨٦٢–١٨٧٧ وإستسلما للمانشو عام ١٨٧٢ ؛ فعينوه جنرالا وقاتل ثوار المسلمين فى جميع الثورات اللاحقة ، أما قصة الجليد ويبدو إنها حقيقية لأنها سمت قادة المانشو وتواريخ وفاتهم ومواقع القتال ولكن سجلات المانشو تجاهلتها - المصدر By Hj.Ibrahim T.Y. Ma٨ Moslims In China - P.١٠

١٢٧ - كان عقاب المغلوب فى الحرب السلخ وتقطيع لحمه قطعا صغيرة وإخصاء أبنائه الصغار ، أوقفت هذه العقوبة بعد ثورة شنغهاى .

الفصل الرابع
الصين وتركستان الشرقية

مقدمة تاريخية

تانغ والإيجور

إرتبطت الصين وتركستان بعلاقات قوية منذ القدم ؛ وفي عام ٦٣٠ أخضع إمبراطور تانغ/ تاي تسونغ الأتراك الشرقيين وأطلق سلسلة من الحملات ضد دول الواحات في حوض تاريم وحلفائهم الأتراك الغربيين ؛ و ضمت تانغ "كارا خوجا" عام ٦٤٠ و "كارا ساهر" عام ٦٤٤ و"كوتشا" عام ٦٤٨ ؛ وبذلك أصبحت الصين القوة المهيمنة في إطار تحالف بين تانغ والإيغور (تركستان الشرقية) ؛ وقد ساند الإيغور بمقتضى هذا التحالف أسرة تانغ فى محنتها أثناء الحرب الأهلية المدمرة مع الثائر آن لوشان بالدعم المادى والعسكرى ؛ وكان لها الفضل الأول مع الدعم العباسى فى إنقاذ تانغ من السقوط .

خلفية خوجات تركستان

أسلم الخاقان ستوف بوغرا سنة ٢٣٢هـ / ٨٥٠م ، ومعه أبنائه موسى وهارون، وأخذ الإسلام يعم المنطقة، وانجبت التركستان الشرقية علماء قدموا للتراث الإسلامي الشيء الكثير باللغة العربية ، وشهدت هذه المرحلة توسعاً إسلامياً في غربي الصين وحمل لواء الدعوة أبناء التركستان ؛ وفى عهد المينغ كان الإيجور قد إعتنقوا الإسلام ؛ فترك هونغوو / محمود حفيد جنكيزخان فى مكانه خانا لكشغر رغم كونه من المغول ، وعين له مستشارا سياسيا صينيا ، وبمرور الوقت إنتقلت السلطة من أيدى الخانات الى الخوجات وهم علماء الدين الإسلامى .

وينتمى الخوجات الى الصوفى احمد قصانى (١٤٦١-١٥٤٢) الشهير بـ "المعلم العظيم وهو من آسيا الوسطى ؛ وبعد وفاته إنقسم أتباعه فصيلين أحدهما بزعامة آفاق خوجة والآخر بزعامة عشقى خوجة (إشقي) ؛ وإستقر أتباع إشقي خوجة فى تركستان أولا وكانوا يعرفون بـ " تارا تاغليق" أى الجبل الأسود ؛ ثم تبعهم فى إستيطان تركستان الشرقية ؛ آفاق خوجة وإستوطنوا يارقند وأصبحوا معروفين باسم " عق تغاليق " أى "الجبل الأبيض" ، وسيطر الفصيلان على منطقة الخيشا والمدن الست الكبرى (أكسو وكاشغار وخوتان وأوش تورفان ويانغيهيسار ويباركاند) المتاخمة لحوض تاريم لثمانون عاما تقريبا ، وكانا يتنافسان على نحو عدائى وتمكن الخوجات الإشقيون من السيطرة على تركستان الشرقية قبل غزو تشينغ مباشرة.

حملات / تشين لونغ على دزنجار - تركستان الشرقية

أدى توسع دزنغار في غرب منغوليا وتركستان الشرقية إلى الصدام مع صين / تشينغ ، وإستمرت الحرب بينهما لعشرة سنوات تسببت المعارك فيها بخسائر فادحة لكلا الجانبين ، وفى هذه الحرب إنحاز أمين خوجة زعيم الأيغور في تورفان وهامي الى الصين حليفهم القديم للتخلص من إعتداءات دزنغار ([١٢٨]).

القضاء على دزنغار

وفي عام ١٧٥٥، هزم الإمبراطور / تشين لونغ خانية دزنغار وأمر بتغيير تركيبتها العرقية بتهجير من تبقى من أهلها بعدما حصدت الحرب والأوبئة مئات الألاف من الأنفس ؛ ووفقًا لعالم أسرة تشينغ / وي يوان إباد جيش تشينغ ٣٠% من الشعب وإستعبد النساء والاطفال ؛ وهرب ٢٠٪ ممن بقى الى أراض القبائل الكازاخستانية فى روسيا ، بعد أن قتل الجدرى ٤٠٪ ويُقدر من مات بحوالى نصف مليون الى ثمانمائة الف .

وتم توطين أعداد كبيرة من قوميات - هان وهوي وأيغور وشيبي وداور وسولسون وتاركانش مسلم تارانشيس وكازاخستان فى أرض دزنغاريا ، والبكوات المسلمين ومعهم الترك في جنوب وشمال البلاد ، وبذلك إنتشر المسلمون الأتراك بالإقليم بأعداد كبيرة .

غزو ألتيشار وحوض تاريم

بعد الإنتهاء من غزو دزنغار؛ إستكملت تشينغ سيطرتها على تركستان الشرقية بإحتلال منطقة ألتيشار **Altishahr** التابعة للزعيم السياسي والديني المسلم آفاق خوجة فى عام ١٧٥٩ ، وبدأ الصينيون بإحتلال ألتيشار وحوض تاريم ، ولما قاومهم آفاق خوجة هزموه فهرب الى يرقند ، وولى المانشو الإشقيين (خوجة) السلطة نيابة عنهم ؛ وأصبحت ألتيشار جزءًا من الصين يحكمها المانشو من خلال الإشقيون (خوجات) ، وهرب ثوار آفاق خوجة إلى يرقند التى أصبحت قاعدة كفاح خوجات الآفاقيين المقدس لإسترجاع تركستان الشرقية من تشينغ ، وقسم المانشو تركستان إلى مقاطعتين ، شمالية عرفت بزنغاريا وجنوبية عرفت بـ كشغر ، ومن ذلك الوقت ولمدة مائة عام ، لم تهدأ حملات الخوجات لإستعادة التشيشار من تشينغ فيما سُمى بالحرب المقدسة .

---

[١٢٨] **ـ خلد إمبراطور المانشو مشاركة الخوجة أمين ببناء مأذنة لجامعه فى تورفان ؛ وأنعم على إثنين من البكوات الاتراك لمساعدته فى قمع ثورة كاشغر ببناء قصرين لهما فى بكين ، وفى عام ١٧٧٠ أرسلت الصين الى المنطقة عشرة الاف جندى يُقال انهم أسلموا جميعا .**

خريطة الحرب المقدسة للخوجات فى تركستان الشرقية (كشغر)	
إنتصار تشينغ (المانشو) على آفاقى الخوجات	
تاريخ	١٧٥٩- ١٨٦٦
الموقع	تركستان الشرقية - التيشار Altishahr
المنتصر	تشينغ – مانشو
المحـــــــــــــــــــــــــــاربون	
تشينغ قارا تغليق (Qara Taghliqs) إشاقى خوجة (Ishāqis Khojas) إمارة هونزا (Hunza Princely State	خانية قوقند (أو خوقند) آق تغليق آفاق خوجة (Āfāqī Khojas)
القـــــــــــــــــادة	
الإمبراطور داوجونج Daoguang تشانجلينج Changling مير غضنفر Mir Ghazanfur	جهانجير خوجة يوسف خوجة كاتا توراً والى خان كيتشك خان - Kichik Khan توكل تور بوزورج خان - Buzurg Khan -
Eight Banners جنود المانشو Green Standard Army مليشيا الهان مليشيا الهوى المسلمون الصينيون الأتراك العشقيين - إيشقى جنود هونزا بورشو Hunza Burusho	فريق آفاق التركى شعب دولان Dolan

تدخل المانشو لحسم نزاع الفريقين

في ١٧٥٥-١٧٥٦ ، إستعاد جاهان و برهان الدين نجلا آفاق خوجا (المنفي) السلطة في يرقند (طشقند) ومنطقة نهر إيلي في دزنغار ، وفى السنة ١٩ (١٧٥٤) من حكم إمبراطور تشينغ/ تشين لونغ ؛ حدث خلاف مذهبى وصل الى حد الإقتتال بين الجبل الأبيض بزعامة عزيز والجبل الأسود ، وإنتهى القتال بهزيمة الجبل الأسود فإستعان قادته بالمانشو الذين إحتلوا إيلى ili مقر عزيز زعيم الجبل الابيض الذى فر الى أخية الأكبر الذى نصحه بالاستسلام ؛ لكنه رفض وأمعن فى التطرف بقتل مبعوث الإمبراطور فإستمر القتال ٦ سنوات وإنتهى بهزيمة الأخوين وإعدامهما بخلاف الضحايا الذين تقدرهم المصادر بمئة الف من الجانبين ، كما أُسرت زوجة عزيز ولجمالها أُرسلت الى بكين محظية للإمبراطور ؛ وأعاد المانشو السلطة من جديد لخوجات الأشاقي عام ١٧٥٩ تحت سلطتهم ، وكان هذا هو بيت القصيد فى الثورات اللاحقة لكراهية الشعب لحكمهم .

الاسيرة المسلمة عبيرهان

أسر المانشو عبير زوجة عزيز بعد مقتله ؛ وهى فى نفس الوقت سليلة أفاق خوجة إبن الخوجة الثائر محمد يوسف ؛ ولجمالها أرسلوها الى بكين محظية لإمبراطور المانشو /تشيان لونغ ؛ فقاومت بإباء ورفضت الإستسلام لهذا المصير وهى سليلة الخوجات رغم ما غمرها به الإمبراطور الذى هام بها حبا من أعمال لإرضائها ، عندما خصص لسُكناها مكانا تطل منه على جنود قومها الايغوريين خارج أسوار المدينة المحرمة ، وبنى مسجدا تشاركهم فيه الصلاة ، وبنى لها حماما تركيا ولكنها بقيت على موقفها مهددة بالانتحار ؛ وحرصا على حياتها أمر الإمبراطور بمنع كل ما يمكن لها إستخدامه لتحقيق غرضها ، ولكنها تمكنت من اقناع الإمبراطورة والدة الإمبراطور بمساعدتها فى إنهاء حياتها دون الإقدام على الإنتحار لحرمته فى الإسلام ، فوجدوها مشنوقة بثوب من الحرير ؛ ومن غير المعروف ما إذا كانت قد إنتحرت فعلا أم أن الإمبراطورة إستجابت لطلبها إشفاقا عليها ؛ ودون إثارة شكوك الإمبراطور تجنبا لغضبه.

وتختلف تفاصيل القصة لدى الجانب الصينى عنها لدى الجانب الإيغورى ؛ فالصينيون يقولون أن عبارهان حفيدة آفاق خوجة زعيم واحة كشغر كان جسدها ينضح برائحة أكثر جمالا من رائحة المسك ووصفوها " بـالمرأة المسكي " ، وأن الإمبراطور لما علم بذلك طلبها لتنضم الى حريمه ، وحملتها قوة الى القصر في بكين كانت توفر لها حليب الإبل يوميا طوال الرحلة لتستحم به للحفاظ على عطرها الغامض ؛ وعند وصولها خُصصت لها غرفة فاخرة وحديقة بالقصر.

ولما لاحظ الإمبراطور حزنها وكان قد أحبها ؛ بذل جهودًا كبيرة ليبدد حنينها للوطن فأمر بإحاطتها ببيئة مشابهة لوطنها فبنى لها واحة مصغرة وسوق خارج القصر أمام نافذة غرفتها وحماما تركيا ومسجدا عام ١٧٦٣، لتُشاهد الجنود المسلمين أبناء وطنها وهم يصلون تُشاركهم العبادة ، ودُون على المسجد نقش بأربع لغات كتب الإمبراطور بنفسه وهو الأديب الشاعر النص الصينى منه ؛ ولمزيد من الترضية أرسل إلي كشغر موطنها لإحضار شجرة العناب فاكهتها المحببة ، وبقيت محظية العطر عزيزة على الإمبراطور حتى وفاتها عام ١٧٨٨ عن عمر ناهز٥٣ سنة قضت منها ٢٨ عاما فى كنف الإمبراطور منذ عام ١٨٦٠، وأُعيد رفاتها الي كاشغر في موكب من ١٢٠ حمالًا لترقد فى مقبرة الأسرة.

عبير هان
- خوجام / عبير خوجة إبرهان أو / فاطمة بنت علي ؛ ولدت عام ١٧٣٤ وتوفيت عام ١٧٨٨ عن عمر ناهز٥٣ سنة ؛ عاشت منها ٢٢ سنة فى كنف الامبراطور.
- Xojam (إسم الولادة)
- أيسن جورو (إسم الزواج)
- محظية المسك (بينبين: شيانج فيي - خوجه هدايت‌الله).

استولى الصينيون على تركستان الشرقية سنة ١٧٦٠ ؛ فقام المسلمون الإيغور بثورات عنيفة لم تهدأ على مدى مائة عام، ، منها ثورة "جنقخ" سنة ١٨٢٥ التى استمرت سنتين، وثورة "يعقوب بك" التي تمكن فيها من إقامة دولة مستقلة استمرت عشرين عامًا ، تمكنت الصين من القضاء عليها وتعرضت تركستان الشرقية لأربع غزوات صينية منذ عام ١٨٦٠ مرتين في عهد أسرة مانشو، ومرة في عهد الصين الوطنية، ومرة في عهد الصين الشيوعية . وقد أبيد فى هذه الثورات كثير من الإيغور، الذين هاجر منهم الكثيرون إلى المناطق المجاورة.

بدأت المعارك بعد ثورة تركستان ١٩٣١ ، أبرزها:

- معركة كاشغر ١٩٣٣
- معركة كاشغر ١٩٣٤
- معركة ياركند
- معركة توكسون
- معركة سيكيس طاش
- معركة ينجيسار

ومن أبرز الثورات

ثورة تركستان ١٩٣١

- ثورة القيرغيز
- ثورة شارلخليك
- بعد وصول الحكومة الشيوعية للسلطة قام المسلمون بعدة ثورات مثل ثورة غولجا و بارين و خوتن ناحية، و يلكيكي .

<u>ولنبدأ بالثورات البارزة التالية :</u>

- **ثورة أوش تورفان - ثورة حميد الله بك**

كان سلوك السلطة المحلية فى تركستان الشرقية سببا للعداء والكراهية بين المسلمين وتشينغ ؛ ففي السنوات الأولى لحكم المانشو كان المسئولين بما فيهم عبد الله و الحكيم بك وهم من أهل البلاد يبتزون أهل البلاد ، وحدث خلال هذه الفترة أن إختطف مفوض تشينغ / سوشينغ ونجله مسلمات واحتجزوهن لشهور إغتصبوهن فيها بشكل جماعي ومتكرر ..... وتحين سكان المدينة الفرصة فى السنة ٢٨ من حكم تشيان لونغ (١٧٦٥) وثاروا وذبحوا عبد الله ومسئولي تشينغ بما فيهم سوشينغ مفوض المانشو وقتلوا الحامية وسيطروا على قلعة المدينة ، وأقام المتمردون حميد الله بك قائدا.

حاصر المانشو المتمردين في مجمعهم لعدة أشهر ثم ضربوهم بالمدافع فإستسلموا وأعدم المانشو أكثر من الفى رجل ونفي حوالي ٨٠٠٠ امرأة الى العاصمة للعمل فى السخرة

؛ وتولت الحكومة الادارة مباشرة وقسمت المدينة الى ٣ أجزاء قسم للمسلمين وجزء للمانشو وآخر للهان ؛ وحرم على الفئات الثلاث التلاقى إلا فى أيام الأسواق للتجارة منعا للإحتكاك .

كفاح خوجات الأفاقى
لتحرير تركستان الشرقية
حملات جهانجير

بدأ التفكير فى تحرير كشغر عام ١٧٩٧ بين ساريمساك نجل برهان الدين خوجة وبين حاكم خوقند الذى أثبط همته ، وفي عام ١٨٢٠ بعد عشرين عامًا إقترح /جهانجير خوجا إبن ساريمساك على حاكم خوقند / عمر خان إستئناف الحملات ضد تشينغ ولكنه رفض ، فقام جهانجير وحده ومعه حوالي ٣٠٠ مقاتل بالإغارة على كشغر لكنه لم ينجز المهمة .

في عام ١٨٢٥ ، نصبت قوات حرب العصابات التابعة لـ جهانجير كمينًا لقوة صينية صغيرة وقتلوا معظم أفرادها ، وشجع هذا الانتصار رجال القبائل المحليين على دعمه ونجح فى إحتلال كشغر وأعدم الحاكم التركي ، وساعدته مدن يانجيهيسار ويارقند وخوتان وقتلوا المدنيين الصينيين ؛ وفي عام ١٨٢٦ جمع قوة من القيرغيز والكشغريين والخوقنديين ، وتمكن من الاستيلاء على كشغر وحاصر قلعة جلباغ ؛ ولما إستعصت عليه طلب مساعدة حاكم خوقند / مدالي خان الذى قاد قوة من عشرة الاف إلى كشغر وقضى ١٢ يومًا ثم عاد بعد أن ترك جزءًا من قواته تحت قيادة جهانغير وسقطت القلعة في ٢٧ أغسطس بعد نفاذ المؤن ، ونجح جهانجير أيضًا في الاستيلاء على يانجيهيسار ويارقند وخوتان.

ولم يستطع المانشو إستعادة واحات كاشغر ويارقند حتى عام ١٨٢٨ عندما تمكنت قوة لهم من أكثر من عشرين الف جندي من إستعادة الأراض التى فقدوها ؛ وأسروا جهانجير بالخديعة وأعدموه فى بكين وأصبح بطلا قوميا لتركستان([١٢٩]) ؛ ولجأت أسرته الى مملكة خوقند (خوهان).

المانشو والعقوبات على خوقند

قام المانشو بتعزيز قواتهم في الإقليم وبنوا تحصينات وفرضوا عقوبات تجارية على خوقند لمشاركتها في الحرب وإيوائها خوجات الأفاقى وممانعتها تسليم الأسرى ،

---

[١٢٩] - ساعد تجار المسلمين المانشو في محاربة جهانجير خوجة ومن معه من القوقنديين الأتراك ؛ كما كان جيش المانشو يضم عددا كبيرا من الجنرالات والقوات المسلمة .

فحظرالمانشو دخول الخوخانيين الى تركستان أو الإقامة فيها او الإتجار معها وصادروا أملاك تجارها ورحلوهم الى بلادهم .

حملة يوسف خوجة

أضرت العقوبات التجارية بإقتصاد خوقند ؛ فأيد خانها وتجارها استمرار الحرب المقدسة ضد تشينغ ؛ فإحتل يوسف خوجة مدينتى إنجيسار وشيانك فى السنة ٩ من عهد **tao kwong** حوالى سنة ١٨٢٨ ؛ ولم يتصد له المانشو لمدة ١٠ شهور فحاول تحرير ياركان ، ولكن التجار الصينيون وجيش تشينغ تصدوا له ، من داخل التحصينات وقتلوا قوات خوقند بالبنادق والمدافع وساعدهم الأتراك مسلمو يرقند ؛ وفى سبتمبر ١٨٣٠ إحتلت قوات قوقند كشغر وبدأت حصار قلعة جلباغ .

لم يتمكن جيش خوقند ولا يوسف خوجة وأنصاره من القيام بأي غزوات أخرى على مدى الأشهر الثلاثة التالية ، بل انسحبوا بعد وصول قوة إغاثة من تشينغ قوامها أربعون الفا فى ديسمبر ١٨٣٠ ، ولما لم يقو يوسف وهو رجل صوفى على مشاهدة فظائع الحرب ؛ سلم القيادة فى الشهر ٧ من السنة ١١ عهد **tao kwong** (١٨٣١) للخوهانيين ، وكانوا هم وتشينغ ميالين للتفاوض ووقعوا إتفاقا عام ١٨٣٢ نص على :

١– العفو عن الكشغاريين في خوقند وفي التشيش الذين دعموا الحرب المقدسة.

٢- رد ممتلكات الخوخانيين المصادرة وعودة التجارة للإتجار مع تركستان وإعفائهم من الرسوم ، وتعويض التجار خسائرهم في الممتلكات .

٣ - اطلاق سراح أسرى المانشو والهان ، وعدم المطالبة بتسليم أسرة جهانجير.

الحرب المقدسة للخوجان السبعة عام ١٨٤٧

توقفت حرب الأفاقى المقدسة لمدة ١٤ عامًا ، بعد أن صمد إتفاق عام ١٨٣٢ لم يخرق أيا من الطرفين الصينى والقوقندى ؛ ولكن الأفاقى (الخوجات) إستغلوا ضعف قوقند الإقتصادي وإنشغال الصين بالثورات والحروب والكوارث الطبيعية تلك الفترة السابق الإشارة اليها ، وإستغلوا ضعف حامية تشينغ في ألتشهر وإستأنفوا الحرب عام ١٨٤٧ لاستعادة التشهر وعبروا الحدود بقوة كبيرة لمهاجمة كشغر دون علم أو مساعدة قوقند ، ونجحوا فى الإستيلاء عليها في أقل من شهر ، وحاصروا قلعة كشغر و يانجيسار ، وتوقعوا قيام إنتفاضة شعبية من المسلمين المحليين لدعمهم كما حدث في الغارات السابقة لكنه لم يحصل.

تمكن المانشو في نوفمبر من هزيمة الخوجات في كوك روبات بالقرب من يارقند فعادوا إلى قوقند ، ولم تتوقف غارات الخوجات طوال خمسينيات القرن التاسع عشر على التيشار ، فقاموا بحملة عام ١٨٥٢ بقيادة دفان قلي و والي خان ، وعام ١٨٥٥ بقيادة حسين شاهان خواجة ؛ وعام ١٨٥٧ بقيادة والي خان الذى نجح في الاستيلاء على كشغر ونصب

نفسه أميرا وحصل على دعم السكان المحليين في البداية لكنه فقد دعمهم لقسوته وإستبداده وتشدده بفرض قواعد الزي والعادات الدينية والتقاليد بإنفاذ صارم خلال فترة حكمه القصيرة التى لم تتجاوز ثلاثة أشهر تقريبًا ؛ فهجره أنصاره وهزمته تشينغ ؛ قام المانشو بالتحقيق فى خرق خوقند للإتفاق ولما ثبت عدم تورطهم ، تركوا الأمر لحاكم قوقند خضير خان ، الذى أمر بمراقبة الخوجات في المستقبل ، وكاد يعدم والي خان (١٨٥٥) بتهمة ذبح المسلمين خلال الغارة .

تمرد دزنغان ونهاية الحرب المقدسة

قلصت صين / تشينغ وجودها في الأقليم والتيشار(تركستان الشرقية) خلال الثورات الكبرى التى أنهكت قواها فى الأرض الصينية ؛ ولما إندلعت ثورة دونجان (المسلمون) في صيف عام ١٨٦٢ في مقاطعة شينسي ؛ شكلت السلطات وحدات ميليشيا رسمية من الهان لحماية أنفسهم خوفًا من تحالف الدونجان مع تايبينغ ضدهم خلال الفترة التى فقدت فيها تشينغ السيطرة على الوضع في وسط الصين حتى عام ١٨٦٤ ، فبدأت ميليشيات الهان بذبح الدونجان الذين كانت ثورتهم تتأجج بسرعة في شينسي وجانسو ، الى أن تمكن القائد " تو لنجا " من إستعادة معظم مقاطعة شنسى وأجبر ثوار الدونجان على الانسحاب غربًا الى جانسو .

أقلق إنتقال ثوار الدونجان الى جانسو المانشو لما قد يكون له من تداعيات على ألتشهر ، فقاموا بنزع سلاح الجنود الدونجان في قواتهم وأعدموا المشبوهين الذين شكوا فى ولائهم ، فما كان من ثوار الدونجان إلا أن روجوا بين مسلمى الصين و التيشار أن تشينغ تُعد لهم مذبحة ، وانتشرت هذه التحذيرات غربًا وكانت سببا فى تمرد إسلامي.

فقامت مجموعة من الدونجان في يونيو ١٨٦٤ بإشعال النار في سوق بلدة كوتشا وانضم اليهم مسلمون آخرون وفشلت حامية تشينغ فى وقف العنف وفى نهاية يونيو هاجم الثوار يارقند وكشغر ، وإتسع نطاق التمرد فى التيشار بإنضمام بلدات أكسو وأورومتشي وأوش تورفان .

مملكة دونغان (سلطـنة كــشغـر)

إنتفاضة توه مينغ (داود خليفة)

فر الإمام توه مينغ من مذبحة شنسى الى عاصمة تركستان الشرقية ؛ حيث آواه / سو هوان شانج موظف رفيع المقام فى حكومتها ؛ وفى ربيع ١٨٦٤ خرقت الحكومة إتفاق التهدئة بإعادة فرض الضرائب على القمح ؛ فإنتفض الشعب فى كشغر بقيادة / سو هوان شانج وهزموا قوات الحكومة ؛ وأعلنو قيام سلطنة كشغر وأقاموا الإمام تو مينغ ملكا بإسم داود خليفة وأخضعوا معظم أراضى تركستان الشرقية وسموها مملكة دونغان .

دولة يعقوب بك ١٨٢٠-١٨٧٧

وعند محاولة مملكة الدونجان وحلفاؤهم الأتراك السيطرة على مدينة كشغر ؛ طلبوا من حاكم قوقند سليم قولي مساعدة عسكرية ؛ فأرسل قوة بقيادة القوقندي يعقوب بك إلى كشغر في أواخر عام ١٨٦٤ ، شارك فيها بوزورغ خان نجل جهانجير خوجة ؛ ونجح يعقوب بك فى طرد قوات هوي التابعة لجيش المانشو من أكسو وأجبرها على الإنسحاب الى شمال جبال تيان شان ، و بدءا من الشهر الثانى من السنة الرابعة لعهد الإمبراطور / تونج تشى ، طارد يعقوب المانشو لمدة ١٤ شهر حتى عام ١٨٦٥؛ وخلال الأشهر الثمانية التالية استولى على كشغر ويانغيهيسار ويارقند ، وبحلول ربيع عام ١٨٦٧ كان قد إستولى على خوتان وكوتشا وفى نهاية عام ١٨٧٠ خلص أورومتشي العاصمة من فلول جيش الإمام ؛ وخلص أوش تورفان من المانشو الذين منوا على يدية بسلسلة من الهزائم وتم طردهم من آسيا الوسطى.

خلص يعقوب بيك بحكم كامل تركستان الشرقية ، وأعلنها دولة مستقلة سُميت مملكة كشغر أو سلطنة يتشر " بلد المدن السبع " وهى كشغر ويارقند وخوتان وأكسو وكوتشا وكورلا وتورفان([١٣٠]) ؛ وأعلن تبعيته للدولة العثمانية طمعا فى مساعدتها ، فإعترفت به أميرا على تلك الأقاليم سنة ١٨٧٣ وأرسل السلطان عبد العزيز مساعدات عسكرية ومستشارين لمساعدته .

وبقيت دولة يعقوب حتى عام ١٨٧٧ ، الى أن قام الجنرال**Tso Tsong Tang** على رأس حملة ضخمة بإعادة إحتلال تركستان الشرقية من جديد بتحريض بريطانيا التى مدت الصين بالأسلحة الحديثة والقروض للإنفاق على الحملة لتضييق الخناق على خطط الروس فى التوسع بالمنطقة ؛ وطردت الحملة الصينية الزعيم الديني (باي ين هو) من كشغر عام **١٨٧٤ (هرب الى تركستان الغربية الخاضعة للروس)** ؛ وإحتلت الصين بقية تركستان الشرقية عام ١٨٧٨ ... أى بعد عام من وفاة يعقوب بك الغامضة (يُقال مسموما) في ١٨٧٧/٥/٢٧ الموافق السنة الثالثة من عهد **kwang hsu** ، وضمت الصين تركستان الشرقية اليها عام ١٨٨٤ ؛ بعدما وقعت معاهدة تقسيم المنطقة مع الروس.

ومما يُذكر أن إمبراطور تشينغ فكر فى الإنسحاب من تركستان الشرقية خلال الحرب مع يعقوب بك بعدما أرهقت تكاليف الصراع ميزانية الإمبراطورية ؛ بناء على نصيحة بعض

---

١٣٠ - "خانية قوقند" دولة في تركستان قبل تقسيمها تأسست في القرن الثامن عشر الميلادي على يد شاه روج بيك من استقلت عن بخارى عام ١٧٥٨ وبلغت قوقند أقصى اتساع لها في عهد محمد علي خان ؛ ومن اهم مدنها طشقند.

الهان من رجال البلاط الذين كانوا يُعارضو منذ البداية إحتلال تركستان الشرقية بإعتبارها ليست أرضا صينية ؛ لكن الجنرال **Tso Tsong Tang** اقنع الإمبراطور بأن هذا التخاذل سيضعف هيبة الدوله ويشجع منغوليا والتبت على الثورة .

الثورات فى العصر الجمهورى

قامت الثورة بزعامة صن يات صن عام ١٩١١ وأعلنت نهاية الحكم الإمبراطوري في الصين وبداية الحكم الجمهوري ؛ وكانت الأمور مضطربة حيث نازع القادة العسكريين الحكومة المركزية السلطة في مختلف مناطق الصين حكما شبه مستقل ، و خضعت تركستان الشرقية لحكم الجنرالات :

يانج زينج شين فى الفترة ١٩١٢ – ١٩٢٨.
جين – شو – رين (١٩٢٨ – ١٩٣٣).
شن – شى – تساي (١٩٣٤ – ١٩٤٤).

وخلال تلك العهود قامت الثورات التالية :

- ثورة ١٩٣١ ، أعلنت بتاريخ ١٩٣٣/١١/١٢ الإستقلال وقيام جمهورية تركستان الشرقية الإسلامية التركية بزعامة خوجة نياز وثابت داملا رئيساً للوزراء لكنها انتهت وسقطت معها الثورة في أبريل عام ١٩٣٤.

- ثورة عام ١٩٤٤ **(ثورة الولايات الثلاث إيلي - تارابغتاي (جوجوك) – ألتاى)** ؛ وإعلان قيام جمهورية تركستان الشرقية في ١٩٤٤/١١/١٥، وعاصمتها (غولجا) برئاسة على خان تورة ؛ و إكتسح الثوار شمال تركستان الشرقية بعد أن هزموا الصينيين في العديد من المعارك أهمها معركة (ماناس) في سبتمبر ١٩٤٥ ؛ وكادت القوات الجمهورية أن تدخل أورومتشي العاصمة لولا الضغوط السوفيتية التى أوقفت الهجوم وأجبرت الثوار على توقيع إتفاق في ١٩٤٦/٦/٦ مع الصين ، ألغى إستقلال تركستان الشرقية مقابل منحها حكماً ذاتياً ، تُعين الصين فى حكومتها عشرة من أعضائها منهم رئيس المقاطعة الذى يتم اختياره عن طريق الاقتراع العام ، ولحكومة المقاطعة الحق فى إحتفاظها بقوات لحفظ الأمن.

وتشكلت أول حكومة ائتلافية برئاسة (جانج جي جونج) فى الفترة ١٩٤٦ – ١٩٤٧ ؛وتلتها حكومة مسعود صبري بايقوزي وعيسى يوسف ألبتكين ١٩٤٧ – ١٩٤٨ ، وحكومة برهان شهيدي ١٩٤٨ – ١٩٤٩... وفى أواخر عهد هذه الحكومة تم القضاء على قادة الثورة بإختُطاف رئيس الجمهورية السابق / علي خان تورة ، وقُتل أحمد جان قاسمي وعبد الكريم عباس ودليل خان وغيرهم من زعماء الثورة في حادث طائرة غامض في ١٩٤٩/٨/١٥ .

ولما إنتصر الحزب الشيوعي الصيني على حكومة الصين الوطنية (الكومينتانج) ، إنضم برهان شهيدي للعهد الشيوعى ودخلت قواتهم أورومتشي في ١٩٤٩/١٠/٢٠ ، وعين الشيوعيون برهان شهيدي رئيسا للمقاطعة وسيف الدين عزيزي نائباً له ، ولكن بعض الزعماء رفضوا وقاوموا القوات الشيوعية مقاومة مسلحة منهم عثمان باتور ، يلبار خان ، جانيم خان ؛ بينما رأى البعض مثل عيسى يوسف ألبكتين و محمد أمين بوغرا عدم جدوى المقاومة العسكرية بالداخل وقرروا العمل من الخارج ، وفى الداخل إستمرت الثورات والإحتجاجات منها على سبيل المثال لا الحصر :

- ثورة خوتن ١٩٥٩/٣/٢٠
- أحداث إيلي ١٩٦٢/٥/٢٩
- أحداث بارين أبريل ١٩٩٠ ، رمضان ١٤١٠هـ
- حادثة بيت الله في خوتن يوليو ١٩٩٥
- مصادمات غولجا فبراير ١٩٩٧ رمضان ١٤١٧هـ
- أحداث ٥ يوليو ٢٠٠٩.

سقوط تشينغ عام ١٩١١
والغاء النظام الإمبراطوري

الثورة الصينية - ثورة شنغهاى
سقوط النظام الإمبراطورى
وقيام النظام الجمـــتهورى

بدأت الثورة في ١٠أكتوبر عام ١٩١١بما يعرف بعصيان أوهان ، وإنقسم الهوي بالنسبة للثورة ؛ فـإنضم هوي شيان (شنشي) للثورة بينما عارضها هوى جانسو بقيادة الجنرال **Ma Anliang** حلفاء تشينغ التقليديين وساندوهم فى قمع الثورة التى تزعمها صن يات صن ، وأعلن نهاية الحكم الإمبراطوري وبداية الحكم الجمهوري ؛ وتنازل إمبراطور تشينغ / بوئي عن الحكم فى ١٢فبراير ١٩١٢ ، ولإضطراب الأمور تمكن القادة العسكريون من منازعة الحكومة المركزية السلطة فى حكم شبه مستقل في مختلف مناطق الصين ، وتناقلت السلطة الحكومة الانتقالية (١٩١٢) ، حكومة بيانج ١٩١٢- ١٩٢٨ ، حكومة جمهورية الصين الوطنية ١٩٢٧-١٩٤٨ ، ثم الحكم الشيوعى .

المسلمون والعمل العسكرى
فى مختلف العهود

خدم المسلمون على نطاق واسع في الجيش الصيني لفترة طويلة من تاريخ الصين ، وغالبًا ما شغلوا مناصب عسكرية متميزة " ، ولما كان للمسلمين دور نشط فى العمل العسكرى ؛ فقد رأينا أن نُلقى الضوء على نشاط الهوى العسكرى فى الأحداث التى شهدتها البلاد فى العهود المتغيرة حتى العهد الشيوعى لما له من دلالات.

بداية بدأ مسلمو آسيا الوسطى الخدمة حرسا للحدود فى عهد سونغ ، ومع مجئ المغول كانوا عنصرا أساسيا فى قوات الغزو ومن بعدها الإمبراطورية ؛ ثم كونوا مليشيات خاصة فى نهاية عهد المغول لحماية طوائفهم كما فعل الشيعة فى تمرد إسباه ، ولما ثار الشعب ضد عسف المغول كان المسلمون فى مقدمة الحملة القومية لطرد المغول من البلاد وعنصرا هاما فى جيش /هنغوو مؤسس مينغ ، وكان معروفا عن فرقهم فى جيشه الكفاءة القتالية والبراعة فى تطوير فنونها ، ولمهارتهم كان منهم معلمى ومدربى الحرس الخاص للإمبراطور ، وكان لقادتهم الكبار مثل **لان يو** وهو من أبرز قادة المسلمين الفضل فى الحاق هزيمة ساحقة بالمغول فى منغوليا عقر دارهم ليقضى على أحلامهم فى إستعادة الصين ، كما

أخمد الهوى ثورات قبائل مياو فى جنوب الصين فى عهد / هنغوو .

كما شاركوا فى العمليات البحرية بأعداد كبيرة فى أسطول الكنز تحت قيادة الأدميرال المسلم تشنغ خه فى عهد المينغ.

ولما غزا المانشو الصين إحتضن المسلمون المينغ ودافعوا عنهم بضراوة ، وإستمروا ثوارا طوال عهد تشينغ المشحون بالمعارك لأكثر من قرنين ونصف ؛ كانت معظمها ضد المسلمين بعرقيهما الهوى والإيغور ، غطت ثوراتهم أكثر من ٣٥ % من مساحة الإمبراطورية ؛ وكانت الصدامات تحدث مرة كل ٢٠ سنة وتصل لمعارك كُبرى كل ٣ حقب مات فيها الملايين ؛ و بعد سقوط المينغ كانت ثورات المسلمين ضد تشينغ بالأصالة عن أنفسهم ثوارا لدفع الظلم والتمييز ضد المسلمين عامة ايا كان عرقهم ، ثم شاركوا فى الثورات القومية العامة ضد تشينغ كوطنيين صينيين .

ورغم العداء بين الإسلاميين وتشينغ ،نجحت الأخيرة (تشينغ) فى زرع الشقاق العرقى بين العرقين الصينيين الهان والهوى بذرائع كثيرة ؛ ثم دفعت بالشقاق الى الصف الإسلامى مستغلة شِقاق طوائفه المختلفة حول مسائل وشوائب لا أصل لها فى العقيدة ، وتقديم حوافز شخصية مغرية للبعض منهم للإصطفاف الى جانب المانشو فى وقت أعيت المسلمون فيه المواجهة وطول أمدها وإفتقارهم لإمكانيات الإستمرار فيها ، فنزعوا الى التعايش مع الأمر الواقع ووصل بهم الأمر الى الخدمة فى جيشها الإمبراطورى ، وهنا نسجل أن الأيغور أيضا كانوا فى عهد / تشين لونغ جنودا فى جيشه بنسبة كبيرة بمنطقة القصر الإمبراطورى ([١٣١]) ، كما شاركوا فى حملاته ضد ديزنجار ..... أما الهويه فكان عليهم قتال إخوتهم فى العقيدة من منطلق وظيفى كجند ، فقامت قواتهم في الجيش الإمبراطوري بسحق تمرد الهوي فى ثورة دونجان وتمرد بانثاي .

ولما تعرضت الصين لمخاطر الغزو الخارجى إنتصر المسلمون للوطنية الصينية ، وقاتلوا مع المانشو/ المستعمر الأوروبى والأمريكى واليابانى ، وأبرز الأمثلة الجنرال المسلم زو باوغوي فى جيش تشينغ الذى قُتل عام ١٨٩٤ فى الدفاع عن مدينة بينغيانغ في كوريا فى الحرب الصينية / اليابانية الأولى وأُقيم له فى المدينة نُصبا تذكاريًا تخليدا لدوره ، وقاتل جيش " شجعان جانسو" وهو من الهوى والسلار الاتراك بقيادة الجنرال دونج فوكسيانج جيوش الإحتلال الغربى في ثورة بوكسر (الملاكمين) وإنتصر عليهم في معركتى لانغفانغ و بيكانج.

---

[١٣١] - كان للهوى فى معسكر واحد للجيش أكثر من ٢٨٠٠ أسرة و٥٧٠٠ فرد .

وبعد قيام جمهورية الصين الوطنية (حزب الكومينتانغ) شارك الجنرالات المسلمون من أسرة ما وغيرهم فى اللجنة المركزية للحزب وولتهم الحكومة مناصب هامة فعينت جنرال / باي تشونغ شي (الهوي) وزيرا للدفاع الوطني ، وعينت الجنرال ما تشي (و) ما لين (أمير الحرب) ، وما بوفانغ حكاما عسكريين لتشينغهاي ، و ما هونغ حاكما عسكريًا لـ / جانسو و الجنرال ما هونغكوي حاكما لنينغشيا والجنرال ما فوشيانغ حاكما لآنهوي وتولى الشئون المنغولية والتبتية ثم حاكمًا عسكريًا لسويوان.

وحاول الجنرالات الحصول على غطاء دينى لمشاركة المسلمون فى المعارك الوطنية بالإتفاق مع الأئمة لشحذ الهمم ، بإعتبار قتال الغزاة اليابانيين وغيرهم واجبا دينيا (الشهَادة) ، وكانت جماعة ييواني (الإخوان) يتزعمها أئمة قوميين مثل هو سونغشان ؛ الذين روجوا للقومية الصينية في مساجدهم ، كما وجهت الجمعية الإسلامية الصينية للإنقاذ الوطني "رسالة إلى جميع المسلمين في الصين في رمضان عام ١٩٤٠ خلال الحرب الصينية اليابانية الثانية ؛ تحثهم على "حُب الوطن الأم " وتعزيز الوحدة الوطنية ودعم الحرب الدفاعية والمساهمة بالقوة في طرد اليابان .

وأتت هذه الدعوات ثمارها فإنضم الى الجيش العديد من مسلمى سالار ودونغشيانغ ، وشنت القوات المسلمة فى عهد حكومة الكومينتانغ (الحرب الصينية / اليابانية الثانية) الكثير من الهجمات ضد اليابان فى معركة بيبينغ تيانجن **Beiping-Tianjin** عام ١٩٣٧، وهزم الجنرال المسلم ما هو هونغ اليابانيين في معركة غرب سويوان عندما حاولت قواتها غزو نينغشيا **عام ١٩٣٩/ ١٩٤٠** لإقامة دولة دمية منفصلة للهوى ؛ كما اشتبك جيش ما بوفانغ في معارك دامية مع اليابانيين في مقاطعة خنان ؛ وقضت قوات تشينغهاي المكونة من الهان والمسلمين الصينيين (السلار والدونغشيانغ) والتبت بقيادة القائد المسلم ما بياو على القوة اليابانية عدا قليل من الأسرى وأجبروا قوة يابانية أخرى في سبتمبر ١٩٤٠ على التراجع بعد أن قتلوا الكثير منها ؛ وحارب الهوى كأعضاء فى جيش التحرير الشعبي ضد السوفييت عند غزوهم شينجيانغ.

و بخلاف الدفاع عن الوطن والقومية ، كان من أسباب تفانى المسلمون فى قتال اليابانيين حتى الموت فى الحرب الصينية اليابانية الثانية ، قسوة اليابانيون فى إستهداف الهوى فقد دمروا لهم ٢٢٠ مسجدًا طبقا لإحصاءات " لوان لي " ، وقتلوا عددًا لا يحصى من الهوي ففى أبريل ١٩٤١ تم إكتشاف مقابر جماعية ملئى بالجثث فى مساجد نانجينغ بخلاف إجبار الجزارين الهوي على ذبح الخنازير لإطعام الجنود وتلطيخ المساجد بدهنه ، وأجبروا الشابات على الترفيه الجنسى عن الجنود ؛ ناهيك عن بشاعة حوادث الإغتصاب الرهيبة التى تعرضت لها نساء أسرة مسلمة بكاملها فى نانكينج وما تضمنه الحادث من فظائع سجلها تقرير للقنصلية الألمانية وتدمير مقابر هوي.." ، كما دمر اليابانيون عند غزوهم بورما البريطانية عام ١٩٤٢ بلدة Panglong للهوى الصينين في بورما حرقا بالكامل وأصبحت ٢٠٠ أسرة هوي من اللاجئين ، فأرسلت حكومة الكومينتانج لجمهورية الصين المسلم الهوي / ما غوانغي قائدً

قوات الدفاع عن النفس الذي أنشأه سو ؛ لمحاربة الغزو الياباني لبانغلونغ عام ١٩٤٢.

وحارب جيش شجعان جانسو المسلم مع جيش كومينتانغ الوطني ضد الشيوعيين في شمال غرب الصين ، في جانسو وتشينغهاي ونينغشيا وشينجيانغ وكذلك يوننان فى الفترة من ١٩٥٠ إلى ١٩٥٨ ؛ وبعد رحيل الجمهوريين الى تايوان رحل معهم المؤيدون ومنهم أسرة ما فأصبح ما بوفانغ سفير تايوان لدى السعودية و بقي شقيقه / ما بوكينغ جنرالاً في تايوان ، وإستقر بقية الجنرالات باي تشونغشي وما تشينغ شيانغ آخرين من الهوي في تايوان **(ساعد باي تشونغشي في بناء مسجد تايبيه الكبير في تايوان)**.

كما قاتل جنرالات الكومينتانغ الهوى ضد التبت في الحرب الصينية التبتية وكذلك سحق التمرد التبتي في أمدو خلال انتفاضة التبت عام ١٩٥٩ ؛ وضد متمردي الويغور في تمرد كومول ؛ وقد برر القائد الصينى المسلم ما يوانجزانج رداً على الاتهامات بأن المسلمين كانوا موالين للصي فى قمع اخوتهم الإيغور بأن "حياتنا ومصادر رزقنا ومقابرنا في الصين (مفهوم الوطن)... وإستطرد قائلا لقد كنا مواطنين صالحين".

الفصل السادس
الخلاصات

الإسلام وتصنيف العهود الحاكمة

كان مد الإسلام بوجه عام مدا هادئا مزدهرا فى أقصى الحدود فى عهدى تانغ وسونغ وبلا منغصات أو قيود ؛ و كانت العلاقات بكل المعايير طيبة وحكيمة ومتنامية دون عائق ، وعهديهما (تانغ وسونغ) بحق عهودا ذهبية خالصة للمسلمين ، وبعدهما طغى مد الإسلام طغيانا جميلا فى عهد يوان فكإن المسلمون فى كل مكان بكثرة طاغية ولم يُعكر صفوه إلا بعض المنغصات ، وفى عهد مينغ إنحسر طغيان مد الإسلام بضغط محظورات سياسات هنغوو الإجتماعية ، وبمجئ المانشو إصطبغت رايات الإسلام دما سيالا فى صدامه بتشينغ ؛ وعلى المستوى القومى تحمل المسلمون مع بقية الأمة الصينية نصيبهم من معاناتها وآلامها وزاد عليها بالنسبة لمسلمى تركستان الشرقية نفحات آلامه الإستقلالية .

ولم تمسخ المذبحتين اللتين روعتا تجارالإسلام بفظاعتهما وحجم ضحاياهما فى آخر عهد أسرة تانغ ([١٣٢])؛ السماحة التى سادت عصر هذه الأسرة تجاه الإسلام ؛ وهى أول عهود التسامح والإزدهار الإسلامى فى الصين ؛ فقد كانت واحدة من المذبحتين حسدا عارضا لهوجة غوغاء ضد ثراء المستوطنين الغرباء ، والآخرى خطأ جسيما غير مبرر لمسئول ، ورغم ما يستثيره من علامات إستفهام ؛ إلا أنه لم يكن بحال توجها أصيلا فى ضمير السلطة الإمبراطورية.

أما عهد سونغ المتسامح والأكثر إزدهارا ، فقد أضاف الى قوة التجار نفوذا وسلطانا ؛ لم يُعكر صفو نقائه الا خيانة بو شوجينغ للأسرة فى آخر عهدها ؛ مستشرفا الواقعية بإستحضار المستقبل الذى لا محالة فى وقوعه والإنتفاع به .

و رفرفت رايات الإسلام والمسلمين الذهبية فى عهد المغول ، رغم المنغصات التى تجاوزها المسلمون بفضائل مكانتهم وخبراتهم ومساهماتهم العلمية وثرواتهم فى عهد أسرة

---

١٣٢ - مذبحة مدينة يانجتشو Yangzhou فى عامى ٧٥٦ - ٧٥٨ من عهد إمبراطور تانغ / Zhide عندما قمعت قواته تمرد ليو هويزان قامت بقتل خمسة الاف من العرب والفرس ونهبت ممتلكاتهم ؛ وذبح ثوار القرصان إمبراطورا وانغبا- عام ٨٧٩م -(مهرب الملح) الثائر هوانج تشاو - أكثر من مائة الف من تجار المسلمين فى لويانج فى عهد إمبراطور تانغ / هسي تسونغ Hsi-Tsung او Xizong.

يوان ؛ أما مينغ فلم يؤخذ عليها إلا محظورات سياسات هنغوو الإجتماعية التى لولاها لكان للإسلام فى الصين شأن آخر([١٣٣]) ، وعادة ما يُصيب الإسلامَ الضررُ من المحسوبين عليه ؛ لكن الأمور سارت بعد ذلك على أفضل حال .

وفى عهد المانشو ؛ فشلوا والمسلمون فى التفاهم ، ولكنهما تعايشا رغم أنفهما فقد سئم مسلمو الصين (الهوى) الصدام المستمر بأعبائه النفسية والإجتماعية والإقتصادية ؛ وعالجوا الأمر فى إطار الهوية الوطنية ؛ بينما أبى الإيغور بعزة الحس الوطنى "بالذات" والرغبة فى الإستقلال ، وأخطر ما تعرض له المسلمون فى عهد المانشو ولا مثيل له فى كل العهود ؛ محاولات المانشو بث الفُرقة بين الهان والهوى ، ولكن ما أظهره الفريقان من التفاف حول هويتهم القومية خلال الثورات الكبرى المشار اليها سابقا ضد المانشو أثبت فشل هذه السياسة فى كل الأحوال ؛ إلا فى بعض الحالات التى إستغل المانشو فيها خيابات المسلمين وتدنى نفوس بعضهم وأطماع بعض الحاقدين من الهان ، فضيق أفق الجماعات المنتسبة للدين بسطحيتها وعنفها إنساقت دون وعى لتخريب تضامن المسلمين ووحدتهم من ناحية وبثت الخوف والرفض والعداء من جهة اخرى لدى غير المسلمين ضد الإسلام والمسلمين.

ورغم ما كان بين المانشو والمسلمين من عداء وثورات ، إلا أنهم لم يتعرضوا للإسلام كعقيدة ولا لمساجده بسوء بل كانت المساجد منتشرة فى كل مكان بل رمم إمبراطور المانشو مسجد نيوجيه ببكين سنة ١٦٩٦ ؛ و ذكر أحد الرحّالة الأتراك أنه رأى **(فى عهد المانشو)** ثلاثين مسجدا في العاصمة الصينية بكين سنة ١٨٧٥ ، كان أحدها في الأصل معبدًا لأسرة أحد الصينيين الأثرياء الذين أسلموا ([١٣٤]) ؛ كما كانت لهم مساجد كثيرة فى المدن الكبرى فى خيان و **Hangzhou** و **Guangzhou** بخلاف ما لهم من مساجد فى تجمعاتهم بالأقاليم الغربية .

وضـع الاســـــلام كعقيـدة
بين الديانات فى كل العهود

رسخت قواعد إرتكاز الكنفوشيوسية والبوذية فى الصين وهما من أقدم عقائدها وأكثرها إنتشارا ؛ فالأولى وُلدت في صين القرن السادس قبل الميلاد على يد (كونغ فو تسو) أو - كون فوشيوس وتقوم على تقديس السماء (تيان) والأله الأعظم (بان كو) ، وإستقبلت صين / تانغ بروح سمحة الديانة السماوية بفروعها الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام عن طريق التجار وبعض المبشرين .

---

[١٣٣] - إتبعت العهود التالية بعضا من تطبيقاته للحد من نفوذ المسلمين
[١٣٤] - توماس أرنولد: السابق ص٣٤٨.

وكانت المنافسة بين جميع هذه العقائد سببا فى تعرضها للضغوط والحظر ؛ فالبوذية وهى منافس قوى للكنفوشيوسية تعرضت بسبب هذه المنافسة للحظر أربع مرات في فترة الأسر الجنوبية والشمالية (٤٢٠ - ٥٨١) ، وعهد تانغ لما شن إمبراطور ها / وو تزونج حملته العنيفة ضدها عام ٨٤٥ وأغلق ٤٦٠٠ معبدا لها و٤٠ الف مبنى ما أدى لتخلى ٢٦٠ الف راهب بوذى عن الكهانة والعودة للحياة المدنية ، ولم يمس الإمبراطور الإسلام ولا مساجده ولا المسلمين بسوء .

أما المسيحية فقد دخلت الصين في القرن السابع الميلادي في عهد إمبراطور تانغ / تاي تسونغ الذى سمح بنشرها وبني لها ديرا فى العاصمة شيان سنة ٦٣٨ ، بعد مقابلته الراهب ألوفين الذى ترجم بعض كتب اللاهوت إلى الصينية ؛ بل تذكر بعض المصادر دعوته البابا إرسال المبشرين الى الصين على نفقته ، وإزدهرت المسيحية وإنتشرت كنائسها فى عهد الإمبراطور قاو تسونغ (٦٥٠-٦٨٣) ، فقامت الإمبراطورة وو تسيتيان (٦٩٠-٧٠٥) بحظرها ؛ ولم يتم إعادة تشريعها إلا سنة ٧٤٥ ثم تلاشت لتعود ثانية عام ١٢٩٤ ، ثم غابت لتعود في أواخر القرن السادس عشر.

وفى عهد مينغ ؛ أمر الإمبراطور / هنغوو بحظرها هى والديانة المانوية لعدم توافقهما مع الكونفوشيوسية بينما إعتبر الإسلام واليهودية ديانات قانونية ، ولما حرم البابا **(في القرن الثامن عشر)** على مسيحي الصين ممارسة تقاليد الكونفوشيوسية وطقوس عبادة الأجداد ؛ قام إمبراطور المانشو / يونغ تشينغ بتحريم المسيحية عام ١٧١٤وإضطهد المسيحيين ، وسار على نهجه الإمبراطور / كانغ شي وإبنه الإمبراطور/ تشيان لونغ **(حكم ٦٣ عامًا ١٧٣٥ – ١٧٩٦)** ، وحظر إمبراطور تشينغ / جيا تشينغ المسيحية وجعلها بندا فى قانون محاربة السحر والهرطقة عام ١٨١٤، وعدل أحكامه إمبراطور تشينغ / داوغوانغ عام ١٨٢٦ بإنفاذ إعدام الأوروبيين إذا ما نشروا المسيحية بين الهان ومانشوس (التتار) ؛ وكانت عقوبة من لا يرجع عن المسيحية تسليمهم لقادة المسلمين والبايس كعبيد.

وإضطرت الصين مرغمة بعد هزيمتها فى حربى الأفيون الإستجابة للضغوط الفرنسية بإلغاء الحظر على التبشير المسيحى وفتح الباب للمبشرين بكل طوائفهم ، ولما إندلعت ثورة البوكسر **(الملاكمين)** في الصين فى الفترة ١٨٩٩ - ١٩٠١ ضد تعاظم الهيمنة الأجنبية تعرض المبشرون والمسيحيون الصينيون في العاصمة ومقاطعات شاندونج وشانخي لهجمات الثوار وقُتل منهم عشرات الآلاف ؛ فتحالفت الإمبراطورية النمساوية المجرية، فرنسا، ألمانيا، إيطاليا، اليابان، روسيا، بريطانيا، والولايات المتحدة الأمريكية ؛ وأرسلوا قوة متعددة الجنسيات من عشرين الف رجل لإنقاذ الرعايا الأجانب والبعثات الدبلوماسية والتبشيرية وأجبرت الحكومة الصينية على تعويض الضحايا وتقديم تنازلات إضافية للدول الكبرى.

وكانت بيئة الهيمنة الأجنبية التى وفرتها إتفاقيات الهزيمة ؛ التى تحجب كل من ينضوى تحت لوائها عن طائلة عقوبات القوانين الصينية ، كانت سببا فى إعتناق المسيحية كل من يريد الهروب من الخضوع لقضاء بلاده ، كما ساعد من ناحية أخرى إفتتان المسئولون الصينيون بالحضارة الغربية على إنتشار المسيحية والتى كان يبرز مستجداتها المبشرون على نحو ما فعله الراهب الإيطالي ماثيو ريتشي و ميكيلي رودجيري اليسوعيين في القرن الخامس عشر الذين بهرا حاكم لاية كوانتونج بما معهما من آلات وساعات وكتب وخرائط والإلمام بالعلوم التطبيقية كالفلك والرياضة ، وهو ما دعا لتأسيس التبشير عام ١٥٩٤ كلية القديس بولس فى ماكاو ؛ وهى أول كلية لهم خارج أوروبا ، وفى خلال القرن السابع عشر ركّز اليسوعيون فى مناهجهم على تعلّم اللغات ومنها الصينية علاوة على دراسة العلوم الإنسانية والحقوق ، وسلح التبشير المبشرين بمؤهلات فعالة للتبشير منها معرفة اللغة الصينيةوإعتناق الأسماء والباسً الصينى وهى كلها مؤهلات نجاح الداعية فى مهمته.

وسط هذا كله كان الإسلام واليهودية وحدهما اللذان لم يتعرضا لما تعرضت له بقية العقائد ودعاتها ، فاليهودية بإعتبارها ديانة غير تبشيرية خرجت من مجال التنافس ولم تستثر الضغوط ؛ أما الإسلام وهو عقيدة تبشيرية فهو الوحيد الذى لم تمسه الضغوط ؛ بفضل إبتعاد التجارعن التنافس مع الكنفوشيوسية عقيدة الصين الأولى أو التعرض لغيرها من معتقدات الصينيين بما يستثير الغضب ، وفى محاولة للتوفيق بين الإسلام وعقائد الصين كتب ما تشو عالم الكونفوشيوسية المسلم "الأديان الصينية تختلف عن الإسلام لكن الأفكار متشابهة" فى حين إعتقد بعض هوي أن الإسلام هو الدين الحقيقي الذي يمكن من خلاله ممارسة الكونفوشيوسية متهمين **(مثل معظم علماء الكونفوشيوسية)** البوذية والداوية بـ " البدعة ".

إكتساب الإسلام طوائف جديدة

لما كانت الدعوة بين غير المسلمين محدودة طوال عهود المد الإسلامى فى الصين ؛ لقلة الدعاة المتفرغين والمتخصصين وعدم قدرة التجار على تولى هذه المهمة لإنشغالهم بتجارتهم وعدم رغبتهم فى الصدام بسبب الدعوة مع العقائد الأخرى لوجود تناقضات عديدة جوهرية ومتضاربة بين مبادئ الإسلام وهذه العقائد ، كما أنهم إنشغلوا بالمحافظة على العقيدة داخل نسلهم الذى فقد كثير من الصلة والإرتباط بموروثهم منها بعد تغلغل الثقافة الصينية والكونفوشيوسية وغلبتها على ذريتهم ، فتقوقعوا بحكم العادة والتعود داخل مجتمعهم ، ولما أجبر الغرب الصين على الإنفتاح للتبشير بالقوة لم يكن المسلمين قادرين على القيام بعمل واسع مماثل للتبشير المسيحى لقلة الإمكانات المادية والمهنية وإفتقارهم لمؤسسة دعوية قوية مدعومة من العالم الإسلامى.

ورغم عراقة وأصالة الوجود الإسلامى فى الصين لقرون طويلة ؛ تشير التقديرات فى العقد الأول من القرن العشرين إلى وجود ٢٠ مليون مسلم في الصين **(باستثناء منطقتي منغوليا**

وشينجيانغ) ؛ يُقيم نصفهم في جانسو وأكثر من الثلث في شنشي والباقون في يوننان ؛ وتضم هذه الكتلة عشر قوميات هي هوي، اليوغور، القازاق، القرغيز، التتار، الأوزبك، الطاجيك، دونغشيانغ، سالار، باوآن ؛ ويعيشون في المناطق التي تقع على حدود آسيا الوسطى والتبت ومنغوليا ، المعروفة بحزام القرآن وهى نينغشيا ، جانسو ، شينغهاى ، وهو عدد أقل كثيرا ولا يتناسب مع أصالة وجودهم فى الصين حتى لو نالت الحروب من أعدادهم .

طرق إنتشار الإسلام

- الزواج المختلط بين المسلمين والطوائف العرقية الأخرى

كان هو السبيل الأكثر شيوعا فعند زواج المسلمة كان أهلها يُصرون على إسلام الزوج و بالمعاشرة كانت تُسلم فى بعض الحالات أسرهم .

- الدعوة ... فبعض المصادر الصينية أشارت الى تمكن الداعية محيي الدين الذى سبق الإشارة اليه من تحويل قرية من الهان من نسل Zhang بكاملها الى الإسلام .

- إسلام المسيحيين النسطوريين فى عهدى مينغ و تشينغ وقطاع كبير من اليهود خاصة فى نهاية القرن السابع عشر .

- شراء أغنياء المسلمون آلاف الأطفال الصينين الذين تخلت عنهم أسرهم بسبب مجاعة " تشانتونجن" وتقدرهم بعض المصادر الصينية بعشرة آلاف ، وكان بيع الصينيون أطفالهم فى هذه المحن أمرا مُعتادا على حد قول إبن بطوطة ؛ وكانت تجارة العبيد والإماء ما زالت رائجة فى الصين ، بخلاف من تتبناهم الأسر المسلمة من أطفال الهان وتنشئتهم على الإسلام .

- سبايا نساء المانشو فى مدينة شيان (شنشي) خلال ثورة شنغهاى ١٩١١ اللاتى طالتهن أعمال الإنتقام من المانشو وإقتسمهن أهل المدينة بعد المذبح التى تعرضوا لها (عشرين الفا منهم) ولم يجدن ما يفتدون به أنفسهن ، وكانت الصغيرات من نصيب المسلمين الذين أنشأهن مسلمات.

الإسلام بين الإنتشار والجمود

كان الإسلام لرسوخه فى الصين على مدى ١٨ قرن مهيأ لأن يصبح دين رئيسى ، وقد رصد المستشرق الروسي فاسيلييف فى زيارته الصين عام ١٨٦٧ وقت شيوع التمردات مؤشرات ذلك ، فكتب " إن الإسلام مهيأ لأن يصبح الدين القومي للإمبراطورية الصينية ، وأن يقلب تبعا لذلك الأوضاع السياسية في العالم الشرقي رأسا على عقب ""(١٣٥) ، ولكن

---

١٣٥ - كتاب - الإسلام فى الصين - عام ١٨٦٧ – لكاتبه فاسيلـييف - Vasil,Ev٣ صـ -٥-١٤-١٧..نقلا من الدعوة إلى الإسلام صـ ٣٤٧- توماس أرنولد.

عدم تحقق هذه الرؤية ، أثلج صدرالمؤرخ الإنجليزى توماس أرنولد الذى عقب فى كتابه : " .... وقد مر ما يقرب من نصف قرن على هذه النبوءة المزعجة ، ولم تتحقق هذه التكهنات بل على العكس كان الإسلام خلال القرن الأخير(التاسع عشر) آخذا في التأخر بدلا من التقدم ؛ وهو أمر يثير الدهشة والغرابة والتساؤل لتعثر خطى الإسلام في الصين وهو الذي غرس بذوره هناك منذ ١٣قرنا ?"

لنا أن نتسائل أيضا عن الأسباب وقد تكون :

- المذابح الهائلة التى أصابت المسلمين عند قمع ثوراتهم وقُضى فيها ملايين الأنفس وأكبرها فى يوننان الفترة ١٨٥٥-١٨٧٣ ؛ وثورة دونجان فى ولايتى جانسو الفترة ١٨٦٤-١٨٧٧ و شنشى الفترة ١٨٩٥ -١٨٩٦.

- عدم إعتناق الأسر الحاكمة الإسلام ؛ فالحاكم قدوة لتابعيه وهو عامل مؤثر فإسلامه يفتح الباب لإسلام جماعى سريع كما شهدنا فى حالة الشهيد المغولى أناندا فقد تبعه مئة وخمسون الفا من قواته مجاملة أو مهابة ؛ ولا يقل عن هذا المنحى سماحة الحاكم تجاه الإسلام إن لم يسلم ؛ كما فى عهد تانغ وسونغ والمغول ومينغ الذين بنى أباطرتهم كثيرا من المساجد على نفقتهم .

- إقتصار الدعوة داخل المساجد على خدمة أهل العقيدة ، بإعتباره مكانا جامعا للعبادة للمسلمين وتعريف الأجيال الجديدة من أبناء المسلمين سليلى الصينيات بأمور الدين والعبادة ، ولذلك لم تكن هناك حملات دعوية فتقنية التعامل مع أهل الإسلام غير تلك التى يتم التعامل بها مع غير المؤمنين ، لم يكن تجار الإسلام فى الصين من محترفيها لإنشغالهم بإعمالهم الضخمة من ناحية وتجنبا لإثارة المتربصين بالإسلام من ناحية اخرى ، تجنبا للفت الإنتباه وهو ما حجب النزاعات التصادمية مع العقائد الأخرى ومعتنقيها ؛ ومن اللافت للإنتباه أن بعضا من أحفاد كنفوشيوس إعتنقوا الإسلام ؛ وقد تم رصد هؤلاء الأحفاد المسلمون ضمن عرقية هوى ودونغشيانغ وهم ينحدرون من زواج تم في عام ١٤٨٠ بين ما جياغا (马甲 尕) وهي امرأة مسلمة وبين كون يان رونغ (孔彦嵘) من الجيل التاسع والخمسين لسلالة كونفوشيوس، وفي عام ١٧١٥ تزوج بعضا من سلالة كونفوشيوس بلقب كونغ في مقاطعة يونان من نساء هوي وتحولوا إلى الإسلام وتبرأت منهم فروع أسرة كونغ غير المسلمة ؛ وفي القرن التاسع عشر تزوجت امرأة من (هوي) من ذرية داتشوان من كونغ المنحدر من سلالة كونفوشيوس وبعد عشرته وعائلته لعائلة الزوجة إعتنق العريس وعائلته الإسلام .

- إنعزال المجتمع المسلم داخل الفان فانج وعادة ما كانوا يعيشون فى تجمعات مما

أبعدهم عن الإحتكاك والإندماج بطوائف المجتمع الصينى وثقافاته فلم يتمرسوا على اللغات المحلية أداة التواصل والتعريف والدعوة الا فى عهد المينغ ؛ علاوة على تأثير مناهج الكونفوشيوسية بالجامعه الإمبراطورية على المسلمين راغبى دخول إمتحان الخدمة المدنية فمالوا لإستخدام مبادئ الكونفوشيوسية فى تعلم الإسلام وشرحه لغير المسلمين ، فكتابات ليو تشى - و - وانغ دايو فى كتاب **(هان كيتاب - كتاب الهان)** تستخدم المصطلحات الكونفوشيوسية لشرح الإسلام لإثبات التوافق بينهما لإستخدامها فى الدفاع عن الإسلام ضد محاولات البعض من جانب السلطة الزج به فى مصاف الهرطقة ، وكل هذه الأمور كانت تنخر فى التزام المسلمين العقيدى ؛ خاصة من عمل منهم فى البلاط وإرتقى الدرجات العلا لكبار الموظفين الذى كان عليه أكل لحم الخنزير فى مأدب البلاط الإمبراطورى .

- عدم وجود داعية مثقف من أصل صينى واع وعالِم بمفردات العقيدة يجيد اللغة العربية متخصص ومتفرغ للعمل الدعوى ليتمكن من الإنتشار داخل المجتمع الصينى بدون حساسية مستغلا وحدة النسب معهم ليعزز من قدرته على الإقناع والتجاوب من جانبهم ، وهذا قد يكون متعذرا فى بلد يحترف أهله الزراعة مطحون بهمومه اليومية مع عمله ومع السلطة بما لم يترك مجالا له لحديث الدعاة او حضور منتدياتهم ؛ ، كما أن عدم وجود تراجم وافية وصحيحة لمعان القرآن جعل من الصعب على الأفراد الإعتماد على الذات للتعرف على العقيدة وهو ما جعل أصولها تخبوا وتضيع مع الزمن ؛ وقد حاول الأمبراطور تشينغ / كانغ شي (١٦٥٤ -١٧٢٢) في عام ١٦٧٩ ان يتعرف على ما في القرآن ولم يجد ترجمة له باللغة الصينية أو مسلما صينيا يعرف العربية قادرا على تعريفه به ، وعندما قدم أحد وفود العرب مصحفا الى هذا الأمبراطور عام ١٦٨٣ لم يجد أحدا للمرة الثانية يتعرف منه على مضمون الإسلام .

ترجمة القرآن

ترجم بعض الصينين في البداية معاني بعض الآيات للاستشهاد بها في كتبهم باللغة الصينية لإبراز الثقافة الإسلامية وتدريس كتبها فى الدعوة ، ثم تبعتها ترجمة (كه لان جينغ) وهى أقدم ترجمة ، وهناك ترجمات لغير المسلمين عن اليابانية والإنجليزية بها أخطاء كثيرة صدرت في بكين عام ١٩٢٧ و ١٩٣١ ([١٣٦]) ، وترجمات لأئمة صينيين عامى ١٩٤٦ و ١٩٤٧؛ الى أن صدرت ترجمة الأستاذ محمد مكين عام ١٩٨١ وعام ١٩٨٦ في الكويت ،

---

١٣٦ - المرجع تأليف "هيئة التحرير لعلوم التاريخ والحضارة" و"مركز البحوث للديانات لمكتب شؤون الديانات التابع للدولة"، الثقافة الإسلامية الصينية، صـ٤٤ المرجع السابق، صـ ٧٥ - لي هوا ين، التراث الثقافي والعلمي للمسلمين الصينيين، بكين بالصين: الجمعية الإسلامية الصينية، ١٩٩٥م - الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا مجلة الإسلام في آسيا العدد الخاص الأول، مارس ٢٠١١.

وعام في المملكة السعودية ؛ وهو من أبرز علماء الإسلام في صين القرن العشرين ، درس في الأزهر الشريف وأجاد اللغة العربية وتفقَّه في أمور الدين وحفظ القرآن وأتقن علوم الحديث.

- الأنشطة التبشيرية بين المسلمين ؛ التى بدأت منذ مطلع القرن العشرين عندما قرر المؤتمر التبشيري العالمي فى أدنبرة تشكيل لجنة لبحث سبل تنصير المسلمين بالصين ؛ وعهدت اللجنة إلى مارشال برومهول إعداد التقرير المطلوب ؛ وفى ضوء دراسة برومهول ركز التبشير نشاطه على مسلمى سنكيانج وجانسو وشانسى ذات الكثافة المسلمة العالية ؛ البخارية. ([١٣٧]).

هجرة المسلمين

(الى ماليزيا وتايلاند وسيام و تايوان والهند وكشمير ونيوزيلند)

وبالرغم من وجود المسلمين (هوى وتبتيين وتركستان) فى عصب الصين وفى كل مكان فى عهد المانشو سواء فى الجيش أو الإدارة إلا أنهم لم يكونوا مترابطين ، وإنما جماعات لا وحدة بينها إنفصل بعضهم وهاجر والبعض وناضل البعض الأخر من أجل الإنفصال بدولة اسلامية ، والبعض وهو ما يخص الهوى تمسك بإنتمائه الوطنى وبقى وناضل وأخذ معظم مبتغاه من الحقوق وهاجر البعض منه لأسباب سياسية .

هاجر مجتمع من هوي الى جنوب شرق آسيا منذ ٧٠٠ عام فى عهد مينج / تشنغ خه ، وبعد الثورات الإسلامية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ؛ وتحت ضغط إضطهاد المانشو هاجر فريق من الهوى عام ١٨٦٨ الى نيوزيلندا للعمل فى تعدين الذهب ، وهاجر قطاع آخر معظمه من منطقتى هوكين / فوجيان الى ماليزيا عام ١٨٧٥ (حتى عام ١٩١٢) ، وهرب العديد من الـ (تشين هاو) وثلثهم مسلمون عام ١٨٧٥ من مقاطعة يوننان عبر الحدود إلى دول الجوار فى تايلاند ولاوس وبورما ؛ وفى بورما أسس المهاجرون المسلمون مدينة بانلونغ في ولاية " وا " .

---

[١٣٧] ـ كانت تركستان القديمة تضم أراضى من الصين وجمهوريات آسيا الوسطى وصولا إلى أفغانستان ، وهذا الإقليم المترامي الأطراف كان يقطنه الناطقون بالتركية قبل ١٥ قرنا ، وكان يضم مدينتنا بخارى وسمرقند أكبر تجمعين مزدهرين للحضارة الإسلامية فى آسيا الوسطى .

وإستقر المسلمون الصينيون المهاجرون الى ماليزيا فى الحرب العالمية الثانية ومعظمهم من الهوكيين فى بينانغ ، جزيرة صباح ، سنغافورة ، بانكور ، ؛ويمكن تقصى أصولهم من ألقابهم التالية : **Koay** و **Ma** و **Ha** و **Ta** و **Sha** و **Woon** و **An** أو **Ang** .

وهاجرت كتل أخرى من مسلمى الساحل الجنوبي الشرقي فى الصين الى تايوان ، لحقتهم أعداد أخرى من مؤيدى الكومينتانغ بعد إندحاره فى الحرب الأهلية الصينية أمام الزحف الشيوعى ؛ ومن بين قدامى المهاجرين الى تايوان أحفاد السيد آجل (عائلة دينغ) الذين ترجع أصولهم الى تشيوانتشو / فوجيان ، ويقيمون في تايزي في مقاطعة يونلين ويدين البعض منهم حاليا بالبوذية أو التاوية ، و إستقر فى تايوان أيضا فرع عائلة قوه (قو) الذين تخلوا عن الإسلام وما بقى لديهم منه التمسك بعدم أكل لحم الخنزير ويمتنعون عن تقديمها في مزارات الأسلاف ، و حاولت الجمعية الإسلامية الصينية عام ١٩٨٣ إستعادة هوى فوجيان وتايوان إلى الإسلام وأرسلت لهم عدد من الأئمة ولكنهم لم ينجحوا فى ذلك .

و بعدما ضمت الصين الشيوعية التبت عام ١٩٢٤، هاجر مئات الهوى الجمهوريين المعادين للشيوعية من التبت أواخر عام ١٩٥٩ إلى الهند ومنها إلى كشمير فى الفترة ١٩٦١ - ١٩٦٤ ، كما هاجر الاف البخاريين الى آسيا والشرق الأوسط تحت ضغوط السلطة وفرارا من حملات التبشير فى مناطقهم .

التوترات الطائفية بين الهوي

صدام الجماعات الطائفية

حدثت العديد من حوادث القتال الطائفي بين طوائف هوى المختلفة كلها في عهد أسرة تشينغ ([١٣٨]) ؛ نتيجة لإنتشار الصوفية في شمال غرب الصين في العقود الأولى من عهد أسرة تشينغ **(منتصف القرن ١٧ وبداية القرن ١٨)** الخفية والجهرية ومينهوان (الإخوان) ، وقد شاب هذه الطرق الكثير من الخرافات التى كانت سببا فى نشوب الخلافات فى أمور تافهة مثلما حدث بين مسلمى مقاطعتى خيجو وشونخوا غرب البلاد عما اذا كان يتوجب على المسلم ان يصلى قبل او بعد الإفطار ، ووصلت حدة الخلاف لعرض الأمر على محكمة المانشو المدنية عام ١٧٤٧ **(محكمة مدنية لا تستند الى الشريعة فى احكامها)** ، وإتهم المدعى خصمه مؤسس جمعية الرمال المضيئة بالهرطقة لممارستها طقوسا غريبة بنفخ الرمال فى أذان أعضائها ؛ وانتهت الدعوى بإدانة المدعِى بالتشهير وإنزال العقوبة به المنصوص عليها فى حالة ما أُدين المدعى

---

[١٣٨] **- بعد وصول جمهورية الصين الشعبية إلى السلطة ، استؤنف القتال الطائفي في التسعينيات في نينغشيا بين الطوائف المختلفة.**

عليه ؛ وطالبه الحاكم العسكرى بإحترام ديانة الاجداد والإمتناع عن إتباع شعائر الجنازات حسب الشريعة .

ومن أسباب التوتر داخل الطائفة ، مساعدة قطاع من الهوى قوات تشينغ في قتال متمردي الهوى الجهارية ، فخلال تمرد بانثاى إندلعت أعمال عنف بين الجهريين والخفية ، وإنحاز المانشو للخوفية ، وسحقوا الجهريين بمساعدة الأحناف بزعامة الجنرال المسلم ما رو لونج ؛ وقمعت القوات الإسلامية الموالية للمانشو بقيادة الجنرالات المسلمين ما فو شيانغ - ما سيدا - باي تشونغ شي ؛ ثورة المسلمين عام ١٨٩٥.

وكان الكثير من الجنرالات المنتمين إلى الطريقة الخفية مثل (ما زاناو) و(ما أنليانغ) و(دونغ فوكسيانغ) و(ما قيانلينغ) وما رولونغ (١٣٩) ، قد ساعدوا الجنرال تسو زونغتانغ في إبادة الثوار المسلمين فى تمرد بانثاى وسلطنة سليمان ، وقمع الجنرالات المسلمون الموالون مثل و(ما إنليانغ)، و(ما قوه ليانغ)، و(ما فولو) و(ما فوكسيانغ) الثوار المسلمين بقيادة (ما داهان)، و(ما يونغ لين) و(ما وانفو) .

الحساسية بين الهوي والأويغور

أما خلافات الهوى والإيغور التى تسببت فى الحساسية بينهما فمرجعها عرقيا وبالتالى وطنيا ، فالهوى لا إنتماء لهم إلا للصين فهى الوطن والأم والأهل ، أما الإيغور فعرقية مختلفة وبالتالى إختلفت مطامحها الوطنية فهم أمه لها تراثها العريق وتعاملت بندية وصداقة مع الصين ونقاط الخلاف لا يمكن جسرها أو عبورها ؛ إلا بالعودة للإستقلال وهناك من يُغذى ذلك التوجه كما أنهم يتطلعون فى طموحاتهم لما حصلت عليه إمتداداتهم العرقية فى بقية دول آسيا الوسطى التى إستقلت عن الإتحاد السوفيتى .

ومن أسباب ميلاد الحساسية ؛ إستخدام تشينغ قوات الهوى فى جيشها فى سحق ثورات الإيغور التى لم تنقطع ، والتمييز بين الفئتين فى المعاملة فهؤلاء مسلمون صينيون والآخرون مسلمون إيغور ، وبالتالى إنعكس ذلك على تصرفات الطرفين ففى خلال حروب آفاق خوجة ، إختطف ثوار قوقند عام ١٨٥٧ الهوي من صفوف جيش تشينغ وباعوهم عبيدا في آسيا الوسطى ؛ وعندما طرد يعقوب بك قوات تو منغ (هوي) من أقصو وأجبرها على الانسحاب الى شمال جبال تيان شان ، قام بذبح من وقع فى يده من الدانغان (هوي) ؛ وساعد هوى / تشينغ في إستعادة شينجيانغ من يعقوب بك ؛ وكافأ المانشو الذين وقفوا معهم من هوي

---

١٣٩ - الخفية: طريقة نقشبندية أنشأها في الصين(Ma Laichi)(١٦٨١-١٧٦٦).

بمناصب عليا في الجيش الإمبراطوري منهم ما Anliang ؛ و إنحاز الهوي بقيادة الجنرال ما أن ليانغ إلى جانب تشينغ خلال ثورة مدينة شيآن في مقاطعة جانسو وهاجموا ثوار المدينة .

وشارك الهوى فى إخماد ثورات ألإيغور بمذبحة كيزيل ضدهم عام ١٩٣٣ ، ومعركة كشغر عام ١٩٣٤ ، وثورة شارلخليك عام ١٩٣٥ التى ثار فيها الأيغور بالثورة ضد الهوى المسلمين الموالين لحكومة الجيش الوطني الثوري الذين كانوا يسيطرون على منطقة تونغانيستان ، وكذلك خلال أعمال شغب شينجيانغ عام ٢٠٠٩ التى قام بها المتطرفون الإيغور.

وزاد الموقف صعوبة بين الفئتان تهجير المانشو للهان والهوي من مناطق الصين إلى كشغر لزيادة أعدادهم في شينجيانغ لإضعاف أغلبيتهم ، فالهوى يزيدون بمعدل نمو سنوي ٤,٤% ، بينما تصل هذه النسبة الى ١,٧% بين الإيغور علاوة على إستخدام المانشو الهوى كشرطة فى الإقليم وهو ما اضاف سببا آخر للحساسية ([١٤٠]).

تأثير ثورات المســـــلمين
على العلاقة بين الهوى والهان

لم يكن لثورات المسلمين الكبرى في منتصف القرن التاسع عشر التي قام بها هوي في شنشي وجانسو ويونان ، أو التى قام بها الأيغور في شينجيانغ ، تأثير سلبى على العلاقة بين الهان والمسلمين فى منطقة السهل المركزي ، بل إستمرت بشكل طبيعي في بكين وبقية الأقاليم فى الشرق والجنوب وفى قرى المسلمين فى هينان ؛ حتى سلطات المانشو التى سارت على مبدأ السيئة تعم كل المسلمين من شارك ومن لم يشارك ، لم تتأثر معاملتها للمسلمين فى مناطق آخرى .

الهوى والوطنية الصينية

أسفر الإنصهار العرقى للمسلمين بالعرق الصينى عن تبلور القومية الوطنية للهوى ، فهم أكبر القوميات المسلمة من أصل صينى ، وهم شريك أساسى بالوطن ينتشرون في كل

---

[١٤٠] - بلغت نسبة الهوى فى سينكيانج بين عامي ١٩٤٠ و ١٩٨٢ ، أكثر من ٥٢٠ في المائة – هذا مصدر صينى .

أرجائه ، جمعتهم بالصين وحدة الإنتماء ([١٤١]) والأمانى الوطنية ولذا يُسمون أنفسهم "الهوى الهان - هوي هانزي" للتعبير عن إتحاد جذورهم بـ الهان ، وهوى هم الأغلبية بين العرقيات المسلمة فى الصين ؛ يتركزون بالساحل الجنوبي الشرقي ، خاصة مقاطعة فوجيان والبعض فى منطقة تشيوانتشو في فوجيان/ جنوب الصين ؛ ومعظمهم لا يمارسون الإسلام لأسباب وضغوط كثيرة ؛ ومختصر أسمائهم بالصينية ، مصطفى Mo، مسعود Mai، محمد Mu أو Ma (المصدر صينى).

وحاول المانشو بث الفُرقة بين الهان والهوى ، ولكن ما أظهره الفريقان من التفاف حول هويتهم القومية خلال الثورات الكبرى المشار اليها سابقا ضد المانشو ، أثبت فشل هذه السياسة فى كل الأحوال ، كما كانت الوشايات ضد المسلمين لا تنقطع فمن قائل بأنهم طائفة متمردة على نحو ما ذكره الفارسي أبو بكر الذي جاب الصين عام ١٥٠٠ في عهد أسرة مينغ بأن " وزيرا قدم مذكرة إلى الإمبراطور زعم فيها أن المسلمين ، وعددهم ألف أسرة تقريبا يعيشون بين صفوف شعبنا مثل العشب في حقول القمح ، يجب استئصاله " ، وفى هذا الإطار جاءت الوشايات التى رفضها إمبراطور المانشو/ يونج تشنج (سبق الإشارة اليها) ، ومن الجهل بأمور الإسلام ما إعتبره موظف البلاط الواشى بأن صلاة الفجر إجتماعا للتآمر عندما أخبر الإمبراطور كانغشى " أن أبناء قومية هوي يتآمرون ضد الدولة ويجتمعون ليلا ويتفرقون صباحا" ، واقترح على الإمبراطور حظر إعتناق الإسلام إلى الأبد .

و لوأد مخاوف السلطة روج أئمة هوى منهم سونغشان لتمسك هوى بالإنتماء للقومية الصينية أى ربط العقيدة بالقومية ، وبعد أن هجر بعضا منهم (هوى) العقيدة ، فقد لفظ هوى مضمونه الأصلى بإرتباطه بالإسلام وأصبح لا يعنى المسلم الصينى على إطلاقه ؛ فمن إرتد عن الإسلام يبقى منتسبا للهوى حاملا للقب .

إنصاف الجمهوريون المسلمين

لقد إستشعر صن يات صن رئيس جمهورية الصين (١٩١٢- ١٩٤٩) ، مدى معاناة

---

[١٤١] أثبت علم الوراثة إشتراك هوي دونغشيانغ وبوان وسالار وغالبية تيبتو - بورمان وهان ونينغشيا ولياونينغ هوى في كروموسومات الأب Y من أصل شرق آسيوي والتي لا علاقة لها بالشرق الأوسط والأوروبيين ، فإن الآسيويين الشرقيين والصينيين الهان ومعظم هوي ودونغشيانغ في لينكشيا يتشاركون في جينات كروموسوم هابلوغروب O-M٣ ١٢٢ Y ويشير هذا إلى أن سكان شرق آسيا الأصليين اعتنقوا الإسلام وتم استيعابهم ثقافيًا في هذه الأعراق وأن السكان المسلمين الصينيين ليسوا من نسل الأجانب كما تدعي بعض الروايات بينما هناك أقلية صغيرة منهم فقط.

المسلمين فى عهد تشينغ فقال " ومن المعلوم أن المسلمين (الهوي) كما يبدو من تاريخ الصين قد قاسوا اضطهادا أشد من الآخرين، ولأنهم قاسوا أكبر المظالم وأوجع المصائب في القرون الأخيرة ، فمن الطبيعي أن تكون روح نضالهم أقوى وأشد ، وأضاف " من الصعب أن تبلغ الحركة الوطنية في الصين أكبر درجة من النجاح في مرحلتها الأخيرة بدون مشاركة من المسلمين" ، وتمتعوا خلال عهدهم بحريات كاملة فى ممارسة العقيدة ، وكان وفاء منهم الوقوف فى صف الكومنتانغ فى حربها ضد الشيوعيين ، ولما سقط عهدهم وانتقل الكومينتانج الى تايوان هربوا اليها.

الإستقطاب السياسى

سلم مسلمو الصين (الهوى) طوال تاريخهم من محاولات الإستقطاب السياسى إلا محاولة واحدة قام بها اليابانيون فى فترة إحتلالهم للصين عندما حاولوا خلق دولة دمية من الهوى فى نينغشيا **عام ١٩٣٩/ ١٩٤٠** ؛ وكانت محاولة أفشلها المسلمون أنفسهم وهزمتها قواتهم ، كما لم ينحازوا الى قضايا وسياسات خارج نطاق القضايا التى تخصهم وتخص الوطن وهى عامة قضايا تندمج فى الإطار الوطنى سواء تناقضت أو إنسجمت مع طبيعة سياسات النظام الحاكم أيا كانت هويته .

وفيما يتعلق بالقضايا الإسلامية العابرة للحدود مثل قضية فلسطين فهى قضايا هم بعيدون عنها بمشاكلهم وعزلتهم الطبيعية ، وقد لا يعرفون عنها إلا القليل إن لم يكن يجهلوها أصلا ، كما أن أمور السياسة عادة خاضعة لسيطرة الدولة ولا تأثير لهم فيها رغم أصالة وجودهم وطول أمده وحجمه ؛ وقد ساهم توافق سياسات دول الصين المتعاقبة مع قضايا عالم الإسلام فى عدم ظهور تناقضات فى هذا الشأن حتى عندما دخلت إسرائيل الى المسرح الصينى من باب توافق المصالح .

فإسرائيل طرف القضية المناوئ تفانى كالعادة فى الإقتراب من العملاق الصينى الصاعد الى قمة القوة العالمية عندما لاحت فى الأفق فرصة التلاقى بين المصالح مع سياسات دنج هسياو بنج الإنفتاحية ؛ وحاولت التجمل كعادتها فنبشت فى غيابات التاريخ بحثا عن ركيزة لتجذير علاقاتها مع الصين رمانة الثقل الجديد فى السياسة الدولية ، رغم أنها (إسرائيل) ليست فى حاجة لتركب موجة التاريخ ، فقد أغنتها عن ذلك تلاقى موجة المصالح المشتركة مع الصين .

وبحثت إسرائيل عن أصول يهودية / صينية لخدمة رؤاها ، ولم يكن الأمر صعبا فالصينيون يحرصون على تسجيل جذورهم فى إطار من إحترام عبادة الأسلاف ، وبالفعل وجدوا عائلة ذات جذور يهودية في منطقة كايفنج لا يتجاوز عدد أحفادها عدة مئات ، بمقاطعة هينان شرق الصين مثل عائلة «نوآي» التى قال المنقبون اليهود أن أصل اسمها آدم وعائلة «نولي» وأصل إسمها ليفي، وأقنعو هذه الأسر بالعودة إلى جذورهم اليهودية ، وقدموا لهم

الدعم والمساعدة ونظموا صفوفهم ، وإستقدموا بعضهم إلى تل أبيب ومنحوهم الجنسية الإسرائيلية وتطوع عدد منهم في الجيش الإسرائيلي ؛ ولدعم كثافة اليهود العددية عملت منظمة "شافي إسرائيل" على تهويد عدد من الصينيين رغم أن اليهودية ليست ديانة تبشيرية إلا أنه تم تجاوز هذا المبدأ ، بتشجيع زواج اليهود بالصينيات بعد اعتناقهن الديانة اليهودية.

وركزت إسرائيل على التسلل الى عملية صُنع القرار بالملاحة عبر النخب الأكاديمية ومؤسساتها التى تُقدم الرؤى لصناع السياسات في الصين ، فكثفت التعاون الأكاديمي مع الجامعات والمراكز البحثية فى الصين وإفتتحت جامعة في شانتو كثانى دولة بعد روسيا التي تقيم جامعة أجنبية فى الصين ، ومن يهود الصين ذوى المناصب الرفيعة / إسرائيل أبشتاين وسيدني شابيرو عضوي المجلس الاستشاري الصيني أحد الهيئات المسئولة عن توجيه السياسات الداخلية والخارجية للبلاد ، وتعاظم التعاون بين الجانبين لدرجة قيام الصينيون بتعديل خط سير مشروع طريق الحرير الجديد ليمر عبر إسرائيل ، وتعاقدت مجموعة شنغهاي الدولية على إستغلال مينائي حيفا وأشدود على البحر المتوسط لمدة ٢٥ عامًا **([١٤٢])**.

---

[١٤٢] - الدكتورة نادية حلمي، الأستاذ سابقا بكلية الدراسات الاقتصادية والعلوم السياسية –بجامعة بني سويف .

ملـــحق ١

مقتطفات من كتاب سفرياتى
(تشينج هسينج تشي)
للأسير تو هوان

" .....والعاصمة الكوفة (يا تشو- لو) ، والملك العربي يسمى مومين (أمير المؤمنين)، والرجال والنساء على السواء يتسمون بجمال الخلقة والوسامة وطول القامة ويرتدون ثيابا نظيفة ناصعة البياض وسلوكهم راق ؛ وعندما تخرج المرأة تغطى وجهها سواء كانت رفيعة أو وضيعة المكانة الاجتماعية.. يؤدون الصلاة خمس مرات يوميا.. ويأكلون اللحم ويصومون ، ويعتبرون ذبح الحيوان أمرا مقبولا.. ويتمنطقون أحزمة من الفضة يعلقون بها خناجر فضية.. وهم يحرمون الخمر ويمنعون الموسيقى.. وعندما يتشاجر الناس لا يصل بهم الأمر إلى حد تبادل الضربات..

" و يوقر المسلمون السماء، ولديهم بوذا **ويُسمى** **Ma-hia-wu** (يا هوو) ، و يواظبون على أداء الصلوات خمس مرات يومياً ويقومون في اليوم السابع الجمعة من كل أسبوع بقص شعورهم وتقليم أظافرهم ويصومون شهراً كاملاً في العام ؛ ويصلون فى قاعة احتفالات تسع عشرات الآلاف من الناس (يقصد المسجد الجامع).. ويخرج عليهم الملك كل سبعة أيام للقيام بالخدمة الدينية (يقصد صلاة الجمعة)، ويرتقى منبرا عاليا ويدعو الجميع إلى التمسك بالشرع فيقول: " إن الحياة البشرية صعبة والطريق المستقيم ليس سهلا، فالزنا خطيئة ، والسرقة خطيئة؛ وتأمين النفس بتعريض الآخرين للخطر خطيئة ، وغش الفقير وقهرالمسكين خطيئة – وليست هناك خطيئة أعظم من هذه الخطايا ، والذين قُتلوا وهم يحاربون أعداء الإسلام سوف يدخلون الجنة ؛ إقتلوا أعداءكم وسوف تكون السعادة الأبدية من نصيبكم..".

"..... والناس يتبعون الإسلام كما يتبع النهر مجراه ، ويُطبق الشرع بشكل لين على كل الناس سواء كانوا فى مدينة عظيمة أو فى القرى... وبلادهم محور الدنيا يتوفر بها بضائع تفوق الحصر تباع بأسعار رخيصة ، وتتوافرالأقمشة الموشاة بالقصب الفاخر واللآلئ ، والأموال تملأ الحوانيت ....، وتزدحم الشوارع والحارات بالجمال والخيول والحمير والبغال ؛ ويستخدمون القصب لبناء أكواخ تشبه العربات الصينية .. وفى الأعياد و المواسم يُحضر الأغنياء أوان من الزجاج والقوارير والنحاس ، ولا يختلف الأرز والدقيق عندهم عما هو فى الصين .... ومن فاكهتهم الخوخ والبلح الذى يزرعونه منذ ألف سنة ....و اللفت عندهم كبير الحجم مثل المكيال وهومستدير وشهي للغاية ، وخضرواتهم تشبه خضروات البلاد

الأخرى... والعنب كبير فى حجم بيض الدجاج... وأحب العطورعندهم نوعان: عطر الياسمين وعطر المر.

صنع الصينيون الأنوال الأولى عندهم لصناعة الحرير وهم أيضا من علموهم صياغة الذهب والفضة ؛ والرسم... ولدى العرب عربات تجرها الجمال والخيول ، ..... وعن الخيول العربية يقول تلك الخيول ولدت نتيجة التزاوج بين التنين وأنثى الحصان على شاطئ الخليج الفارسي .. بطنها صغيرة وقوائمها طويلة ، ويمكن للخيول الجيدة منها أن تقطع ألف "لي" **(حوالى ثلث ميل)** فى اليوم... و عندهم نعام طوله أربعة أقدام وأكثر ؛ وله أرجل تشبه أرجل الجمال ؛ ويمكن لرجل أن يمتطى رقبتها مسافة خمسة أو ستة "لي" وبيضتها كبيرة فى حجم ثلاثة مكاييل (لتر ونصف).... وهناك شجرة " تشى " التى لها ثمار تشبه بلح الصيف ويمكن إستخراج زيت الطعام منها، وعلاج الملاريا.....".

والطقس دافئ فلا جليد أو ثلوج... ويعانى الناس جميعا من الملاريا والدوسنتاريا ؛ ويموت بسببها كل سنة خمسة من كل عشرة... واليوم يمتلك العرب حوالى أربعين أو خمسين بلدا خاضعة كلها لهم ، ويرسل العرب قواتهم لتأمين أراضيهم الممتدة حتى المحيط الغربي ... ويقال إن " زارانج " تقع على مسافة تزيد على سبعمائة "لي" جنوب غرب " أمول ".... ومن هذه البلاد الفرس الذين يحملون لقب تشو ؛ وتبلغ مساحة مدينتهم خمسة عشر «لي» مربعا، وقد استخدموا الحديد لصنع بوابة مدينتهم ؛ وتوجد فى المدينة برك من الملح ، ومعبدين بوذيين... ومساحتها ١٤٠ لى من الشرق إلى الغرب؛ و ١٨٠لى من الشمال إلى الجنوب ... والقرى متقاربة والأشجار أيضا متقاربة جدا بحيث تتداخل ظلالها ؛ والرمال المتحركة فى كل مكان... وهناك نهر كبير فى الناحية الجنوبية يفيض فى أراضيهم، وتتفرع منه مئات القنوات التى تروى الإقليم كله.

والأرض خصبة ويتميز أهلها بالنظافة أما أسوار المباني، فعالية وسميكة والسطح مستو؛ والخشب مزخرف بالحفر، فضلا عن أن الأرضية مدهونة بالطلاء وعندهم أيضا الأقمشة الفاخرة، والمعاطف المصنوعة من جلود الخراف، ويصل ثمن أحسن أنواعها إلى عدة مئات من القطع الفضية.

وفاكهتهم : المشمش والتفاح البري الأبيض، والبرقوق الأبيض والأصفر، والبطيخ؛ والنوع الكبير منه يُسمى " هسون شيه " ، وتكفى بطيخة واحدة منه لعشاء عشرة رجال، واسمها " يويه- كوا " ويزيد طولها على أربعة أقدام... ومزروعاتهم اللفت، والفجل، والبصل الطويل والمستدير، والكرنب، والأرز البري الآسيوي، واللوبياء، ونبات النيلة، و"التان تان "، والشمر الحلو، والكراث، والقرع، والعنب الذى يوجد منه الكثير.. وعندهم الثيران، والخيول البرية، والبط، والدجاج.

ومن عادتهم أن يجعلوا الشهر الخامس بداية السنة فى تقويمهم وفيه يتبادلون الهدايا من الآنية المطلية وهناك أيضا احتفال الحمام (يقصد ذهاب العروس إلى الحمامات العامة قبل الزفاف ، وعادة ما كانت صديقاتها يغنون لها مع الفرقة الموسيقية؛ وكان العريس يخرج من الحمام فى هذا اليوم ليجد أصدقاءه ومعارفه لكى يصطحبوه إلى بيت عروسه فى احتفال بهيج ....ويقيم حاكم المناطق الشرقية فى هذا المكان ومن هنا العراق إلى الخليج الفارسي يسكن العرب والفرس متجاورين وهم يعبدون السماء، ولا يأكلون ميتة الحيوان ولا اللحم البايت ويدهنون شعرهم بزيت عطرى .

وتقع بلاد الشام «شان كوو» على الحدود الغربية لبلاد العرب ومحيطها يبلغ عدة آلاف «لي»، و أسقف بيوتهم من القرميد... والأرز والغلال عندهم رخيصة للغاية والتجار يروحون ويغدون لشراء الغلال وبيعها.... وهناك نهر كبير يفيض باتجاه الشرق يدخل الكوفة (نهر الفرات)... والناس أجسامهم كبيرة، وثيابهم فضفاضة، تشبه إلى حد ما ثياب العلماء الكونفوشيوسيين.... وفى بلاد الشام خمس مقاطعات عسكرية فيها ما يزيد على عشرة آلاف جندي بخيولهم... وحدود الشام تشترك فى الشمال مع الأتراك الخزر.. وشمال بلاد الخزر هناك أتراك آخرون أقدامهم تشبه أقدام الثيران، ويحبون أكل لحوم البشر...".

وعن صناعة الزجاج فى مصر سماه بالصينية " الليولي " يقول بأنه يأتي من إقليم تاشي " بلاد العرب "، والطريقة المتبعة في إذابته هي الطريقة الصينية نفسها، بتسخين أكسيد الرصاص ونترات البوتاس والجبس، لكنهم في تاشي يضيفون إلى هذه المواد مسحوق البورق (بوراكس)، وهي مادة تجعل الزجاج سهل التشكل دون أن يكون هشا سريع الكسر، ولا يتأثر بدرجات الحرارة، إلى الحد الذي يمكن معه للمرء أن يغمسه في الماء لفترة طويلة من الوقت من دون أن يؤدي ذلك إلى إتلافه ، ولذلك فقيمته أعلى من الزجاج الصيني .

أن مالو ماو في بلاد " تاشي " كانت تنتج شجرة المرّ التي " تشبه من حيث الطول والحجم شجرة الصنوبر الصينية.. وفي موسم جمع المحصول يقومون بحفر حفرة في الأرض أسفل الشجرة، ثم يثقبون ثقبا في لحاء الشجرة، مستخدمين بلطة صغيرة فيسيل منه العصير إلى الحفرة ويترك عشرة أيام ثم يرفع عنها([١٤٣]).

---

[١٤٣] - المرجع - ذكر بعضها في " تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية " الدكتور عبد القوي عثمان، في كتاب صدر عام ١٩٩٠ في الكويت.

ملحق ٢
مصر
فى كتاب مؤرخ أحاديث البحارة
شوجو كوا

عاش " شوجو كوا **chau ju – kua** "، مؤلف هذا الكتاب في أواخر القرن الثالث عشر وكان مفتشا على البضائع الواردة على متن السفن القادمة إلى ميناء كانتون بالصين ، وكتب ما إستمعه من حكايات البحارة العرب في كتاب " **التجارة الصينية العربية Chu-fan-eh** " ؛ وعن مصر **wu-ssi-Li** ذكر :

إنها تتبع الخلافة العباسية فى بغداد **Pai-Ta** ، وسلطانها عادل فى حكمه **(سلاطين المماليك)** ، يخرج فى موكب عظيم ممتطيا جواده و مرتديا عمامة وعباءة وينتعل حذاء أسود اللون ويتقدمه ثلاث مئة فارس على خيول مطهمة بالذهب والمجوهرات، ويحرسه ألف فارس وثلاثمئة آخرين يحملون السيوف والتروس ، و يحمل اثنين من خدمه سيف السلطان ودرعه ؛ ويضم الركب عشرة نمور مُسلسلين بسلاسل حديدية برفقة حراسها فضلاً عن ثلاثين رجلاً من حملة الصقور، ويتبع الجميع مئة من قارعى الطبول النحاسية على ظهور الجياد.

وسكان مصر يعيشون فى مساكن متجاورة ويعيش الأقارب جنباً إلى جنب ، ولا يأكلون الأرز، وطقسها جاف وعندما يهطل المطر يهطل بغزارة ويُتلف زراعتها ؛ ونيلها مجهول المنبع ومياهه عذبة وغزيرة ويعتمد عليه سكان مصر فى الزراعة، وإذا جف فإن أنهاراً أخرى تتدفق لتصب فيه ، وتطرق لقصة يوسف **shi su** عليه السلام (وهو من الجيل الثالث المنحدّر من إبراهيم **p'u-Lo-hung**) وكان وزيراً على مصر وقت الجفاف ، فقام بإنشاء ٣٦٠ قرية بالقرب من النهر ، ثم كلف سكانها بزراعة القمح ، وبعد عام سلمت كل قرية ما لديها من القمح الذى زرعته فتوفر لسكان مصر الطعامَ .

وكل عامين أو ثلاثة يخرج من النيل رجلا عجوزا بلحية بيضاء ويجلس على صخرة ، ويطلب منه الناس وهم راكعون معرفة فأل السنة المقبلة ؛ فإذا إبتسم العجوز فسيكون عاما سعيدا بلا جفاف أو وباء ، وإذا لم يبتسم فمعناه المجاعة أو الوباء هذا العام أو التالى ، و بعدها

يعود العجوز مرة أخرى إلى جوف النهر([١٤٤]).

وذكر أن القاهرة **Kie-Ye** تقع على ضفة نهر النيل ، وعن الإسكندرية **O-Kon-to** ذكر أن الإسكندر الأكبر المقدونى **Tsu-Ko-Ni** شيد برجاً ضخماً على ساحلها **(فنار الإسكندرية)**، تحته غرفتين سريتين متصلتين ببعضهما خزن فى إحداها الغلال وفى الأخرى السلاح ... وكان البرج مرتفعاً لمسافة ألفى قدم وبوسع أربعة جياد تسير جنباً إلى جنب أن تصعد إلى مسافة تبلغ ثلثى إرتفاعه ، وفى وسط هذا البناء بئر عميقة تتصل بنهر كبير ، ويحرس الفنار عشرون ألف جندى على أهبة الاستعداد للقتال، وعلى قمة الفنار مرآة ضخمة وعجيبة تكشف الأساطيل المعادية من بعيد، فتستعد القوات للدفاع عن المدينة ؛ وذكر أن أحد الأجانب جاء إلى الإسكندرية بغرض تدمير المرآة وتنكر لسنوات بالعمل خادما فى تنظيف الفنار دون أن يشك أحد فى نواياه ، وفى أحد الأيام قام بإلقاء هذه المرآة العجيبة فى البحر وفرّ هارباً ([١٤٥]).

---

[١٤٤] - ؛ وردت رواية شبيهة فى كتاب " حُسن المحاضرة " للسيوطى ، فى صورة سمكة تعيش فى مياه النيل، تشبه إنساناً ذا لحية طويلة، أسموها شيخ البحر ، وهى سمكة الفأل السيئ فإذا ما ظهرت فى فرع النيل الدمياطى أعقب ظهورها القحط والبلاء .

[١٤٥] - أورد المؤرخ المسعودى أن الإمبراطور البيزنطى أرسل أحد خصيانه إلى الخليفة الأموى الوليد بن عبدالملك ٧٠٥-٧١٥هـ مدعيا رغبته فى إعتناق الإسلام و ليحوز ثقة الخليفة أخبره بأماكن ثروات بعض المسيحيين المخبأة فى دمشق والشام ؛ ثم أخبره أن كنوز الإسكندر الأكبر مُخبأة فى غرف سرية تحت فنار الإسكندرية ؛ فأرسل الخليفة هذا الخصى مع بعض القوات لهدم الفنار بحثا عن كنوز الإسكندر ، وبعد تدمير الفنار هرب الخصى إلى القسطنطينية بسفينة كانت بانتظاره ؛ خوفا من بطش أهل الإسكندرية .

ملحق٣
الإمبراطورة وو تسه تيان

ولدت في أسرة ثرية لموظف بمقاطعة شانشي ، ولجمالها دخلت القصر الإمبراطورى وهى في الرابعة عشرة من عمرها لخدمة إمبراطور تانغ / تاي تسونغ ؛ الذي سماها مي ليعكس سحر جمالها وأنعم عليها بلقب محظية من المرتبة الوسطى ، ولما لم تنجب منه إكتفى بها سكرتيرة مدة ١٢ سنة .

وكانت وو تسه تيان ذكية وقوية ، عنيدة لا تعرف الخضوع والاستسلام ، وفي عام ٦٤٩ وهى فى عمر ٢٥ عامًا ، توفي الإمبراطور تاي تسونغ ؛ فأرسلوها إلى معبد بوذى لتُصبح راهبة كالتقليد المُتبع مع المحظية التى لم تُنجب من الإمبراطور الراحل ، ولكن الإمبراطور الجديد غاو زونغ (قاو تسونغ) البالغ من العمر ٢١ عاما كان مفتونا بها منذ أن كانت محظية والده ؛ فإتخذها محظية لنفسه وأنجبت له ولدين وبنت ... وشاركته الحكم الى أن مرض فإنفردت بالسلطة وأصبحت الحاكم الفعلي للبلاد ، ولما مات عام ٦٩٠ ، إعتلت العرش كوصية لوليديها منه ويُقال أنها تخلصت من ولديها وإبنتها ، وأعلنت نفسها إمبراطورة وأسست أسرة ملكية خاصة بها بمسمى " تشو" وأدارتها بيد حديدية ، وقبيل وفاتها أعادت السلطة إلى أسرة تانغ .

وكانت الإمبراطورة وو تسه تيان ، الإمبراطورة الأنثى الوحيدة في تاريخ الصين ؛ عاشت ٨٢ سنة ؛ حكمت منها ٥٠ سنة بالوكالة أو بالاصالة عن نفسها كما أسلفنا الذكر ؛ وكانت تتقبل أراء أعوانها المغايرة والمخالفة لرأيها ؛ إلا فى حالة واحدة مع شيوي يو قونغ المسؤول عن القضاء الذى غالبا ما كان يعارضها ، فقررت إعدامه بقطع رأسه ولكنها تراجعت عن ذلك وإكتفت بإنزال مرتبته إلى واحد من العامة ؛ وعندما خمد غضبها عادت للأخذ برأيه من جديد وأعادته رئيسا للقضاء.

ملحق ٤
المجاعات فى الصين وضحاياها

	٤٥ مليون			١٨١٠، ١٨١١، ١٨٤٦، ١٨٤٩
	نقص عدد السكان ٦٠ مليون		حروب تشينغ/ والإمبريالية الأفيون + تمرد تايبينغ +القحط + المجاعة	١٨٥٠ - ١٨٧٣
			خمسة ونصف مليون قتيل فى المجاعة الكبرى الفترة ١٨٧٦– ١٨٧٨ بشمال الصين	١٨٧٦–١٨٧٩
		١٨,٢قتيل فى شمال الصين والهند ؛ بسبب القحط		
		الصين		١٣٣٣–١٣٣٧
	١٨٩٦– ١٨٩٧	مجاعة شمال الصين أحد أسباب ثورة الملاكمين		
	١٩٠٧ - ١٩١١	مجاعة شرق وسط الصين		٢٥ مليون
	١٩٢٨–١٩٣٠	قحط شمال الصين / ٣ مليون قتيل		٣مليون
	١٩٣٦			٥مليون
	١٩٥٩-١٩٦١	المجاعة الكبرى ١٥ مليون قتيل / إحصاء الحكومة		٤٣ مليون

خريطة العرض

الفصل الأول

العملاق صين ذاك الزمان

اولا الوفرة المطلقة.

ثانيا الشطحات السلبية

ثالثا النظام الأبوى المطلق

رابعا إبداعات الصين

تأثير مكونات الصين على مسيرة تاريخ المسلمين

عالم الصين المتعالى

الفصل الثانى

الصين وتجارة الإسلام وتجاره

إتجار العرب والفرس

محاولات التواصل العربى / الصينى قديما

- المحاولات العربية

- المحاولات الصينية

تجارة الجزية الصينية

المسلمون وتجارة الجزية

استقرار تجار الإسلام فى الصين

إضطراب التجارة فى آخر عهد تانغ

سونغ ونهضة التجارة البحرية

- عودة التجار المسلمون

- مكانة التجار

المرور التجارى للصين عبر ارض الإسلام

بحـــرا وبـــرا

الفصل الثالث

الإسلام وإمبراطوريات الصين

- إمبراطور سوى / ون تى والنجم الزاهر

أولا الإسلام وأسرة تانغ

- إمبراطور تانغ/ تاى تسونغ

- الإمبراطور والمسلمين
- الدعوة الى الإسلام بالساحل
- الإمبراطور والإسلام
- الموقف الحكيم للإمبراطور من الصراع بين كسرى والمسلمين

- تواصل محاولات تانغ التعرف على الإسلام (دين ودولة)

- إمبراطور تانغ/ قاو تسونغ

رسالة الإمبراطور الى معاوية بن سفيان

- هبيرة مبعث قتيبة الى الصين
- تقدير أباطرة تانغ بيت النبوة وملوك العرب
- الوفود العربية الى الصين
- زيارات الوفود العربية اوقات التوتر

* سفارة الخليفة الأموى سليمان بن عبد الملك

* الوفد العباسى

زيارات أخرى

- إمبراطور تانغ/ شوانزونج

* نبذه عنه

* بعثة هبيرة

* إنتصاره على الأمويين

* هزيمة تانغ أمام العباسيين – موقعة طلاس

* إستغاثة تانغ / بالعباسيين فى الحرب الأهلية

- محظية إمبراطور تانغ/ شوانزونج
- آن لوشان – الجنرال المتمرد القوى
- هروب الإمبراطور / شوانزونج

* نجدة العباسيون والإيجور إمبراطور تانغ/ سو

* إنتهاء الحرب الأهلية

* رفض عودة بعض القوات المسلمة

بلورة سياسة تانغ من الإسلام والمسلمين

- إستيطان المسلمون الصين

- تقبل تانغ تقاليد الإسلام
- الفصل الجغرافى (الفان فانغ)
- تولى المسلمون الوظائف العامة
- رغد المجتمع المسلم فى صين تانغ
- المسلمون وإدارة الطب والأدوية

ثانيا المسلمون وأسرة سونغ

عصر التجارة الذهبى

النهوض بالتجارة البحرية

قوة التجار المسلمون

تنظيم أوضاع المسلمون

المعارف العربية فى الفلك

ثالثا أسرة يوان

المغولية

قبلاى خان

مواقف قبلاى خان الودية من الإسلام والمسلمين

إستعانة يوان بالمسلمين فى الإارة

إنتشار الإسلام

أوضاع المسلمون

- مدن المسلمين ووضعهم
- إنتشار الثقافة الفارسية

- تأمين التجار المسلمين
- تأمين البحارة الصينيين ومكافحة التهريب

منغصات المغول للمسلمين

الإنجازات العلمية والعملية للمسلمين وشخصياتها

- سيد آجال - تطوير الرى والسدود
- علاءالدين وإسماعيل السورى - صناعة المنجنيق
- جمال الدين – صناعة ا}هزة الفلك
- تخطيط دادو (بكين)عاصمة المغول – المهندس يحى الدين أردنغ
- الطب والصيدلة – عائلة لى الإيرانية
- الفنون والاداب

إدارات الدولة المختصة بالموظفين والجنود المسلمين

ثورات المسلمون

- تمرد إسباه

رابعا أسرة مينغ

أخر عهود إزدهار الإسلام

المشاركة فى ثورة الصين الكبرى لطرد المغول – ثورة العمائم

الثائر تشو يوان تشانغ - الإمبراطورهنغوو

هنغوو إسلاميا

تأثير سياسات الحظر الإجتماعى على الإسلام والمسلمين

أثر تقييد الملاحة وتجارة البحر على المسلمين

أثر العزلة والإندماج

الإمبراطورة ما شيو يينغ

إمبراطور مينغ / شنغدة

أهم الشخصيات المسلمة فى عهد المينغ

- الأدميرال تشينغ خه وأسطول الكنز
- أسطول الكنز ودبلوماسية الجزية

* النقش

*زفة السفير الإنجليزى

* العرب وتجارة الجزية (العنف والدبلوماسية)

سفارات العرب الى الصين

* تشينغ خه وإسلام ملك ملقا

وضع المسلمين فى عهد مينغ

- احوال المسلمين
- حماية الأباطرة للمساجد وبنائها وصيانتها
- التسامح
- دعوة الشاة بهادر التيمورى إمبراطور المينغ للإسلام
- الإسهامات العلمية للمسلمين

* صناعة السفن

* الفلك والجغرافيا

* الرى

ثورة الفلاحون وسقوط المينغ

خامسا أسرة تشينغ (المانشو)

إستيلاء المانشو على الحكم

المانشو وثورات المعارضين

- ثورة مسلمو الشمال الغربى – مى لا ين
- ثلاثى المسلمين المخلصين
- تمرد الأقاليم الثلاثة

المانشو وإخضاع الصين

يوان والمسلمين

- الإمبراطور يونغ تشونغ
- الإمبراطور تشين لونغ – الحروب والثورات الكبرى
- ثورات المسلمين : إنتفاضة جانسو- صدام الصوفية -
- إنتفاضة مدينة شيه فونغ بو

تعاون الثورات الكبرى فى القرن ١٩

- ثورة تايبينغ
- حركة نيان حملة المشاعل
- تمرد المسلمون الصينيون
- مقدمات المرد
- مخطط تصفية المسلمين فى يونان
- تمرد بانثاى

- تمرد ما تيك سن
- سلطنة دالى الإسلامية

هجرة المسلمون

ثورة شنشى

ثورة دونجان (هوى)

ثورة زعيم الصوفية ما هوا لونغ

الفصل الرابع

الصين وتركستان الشرقية

- مقدمة تاريخية- جذور العلاقة
- خوجات تركستان
- حملات تشين لونغ
- القضاء على دزنغار
- غزو التيشهر وحوض تاريم
- تدخل المانشو لحزم نزاع الأفاقى
- الأسيرة المسلمة عبيرهان
- ثورة أوش تةرفان
- كفاح الأفاقى لتحرير تركستان
- تحصينات المانشو ومعاقبة قوقند إقتصاديا
- حملة يوسف خوجة

- الحرب المقدسة للخوجات السبع ١٨٤٧
- حملة والى خان وتجميد حملات الخوجات
- تمرد دزنغان ونهاية الحرب المقدسة
- مملكة دونغان (سلطنة كشغر)
- إنتفاضة توه مينغ (داود خليفة)
- دولة يعقوب بك

الفصل الخامس

الخلاصات

تصنيف العهود الحاكمة والإسلام

وضع الإسلام بين الديانات

إعتناق طوائف جديدة الإسلام

الإسلام بين الإنتشار والجمود

- الأسباب
- هجرات المسلمون
- ترجمة القرآن

التوتر الطائفى بين جماعات هوى

التوتر بين الهوى والإيغور

عدم تأثر العلاقات المجتمعية بين الهوى والهان بثورات المسلمين

الهوى والوطنية الصينية

الملاحق

١. مقتطفات من كتاب سفرياتى للأسير تو هوان عن العرب

٢. مصر فى كتاب الراوى شوجو كوا

٣. الإمبراطورة وو تسيان

٤. سجل المجاعات فى الصين

المراجع

- العلاقات الصينية العربية الباكرة - د.قاسم عبده قاسم .
- كتاب الإسلام فى الصين - صـ ٥-١٤-١٧ لكاتبه فاسيلـ ـيف Vasil,ev- عام ١٨٦٧ ..نقلا من كتاب الدعوة إلى الإسلام صـ ٣٤٧-
- روبرت ألان – التاريخ الإقتصادى العالمى
- نشر المحاسن اليمنية صـ١٤٨ ١٤٩ في ذكر توزيع ذرية حمير
- توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام
- تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين – هيلدا هاخوم
- العلاقات العربية الصينية فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر: نموذج ثقافة الاعتراف الشرقي بين الحضارات- تأليف / حسنة االغامدي.
- – كتاب الإسلام فى الصين - للمؤلفة الإيطالية فرانشيسكا روزاتي..(موجز عز الدين عناية).
- مقال من الشبكة العنكبوتية عن كتاب " أفضل الملائكة من طبيعتنا" – لـ ستيفن بينكر
- المجلد الرابع من رحلات إبن بطوطة صـ ٢٥٥- ٢٧٠
- القصة الكاملة للاسلام فى الصين - وانغ لنغ قوي
- كتاب السجلات المحفورة لإنشاء مسجد جينغجيويه الذي ألفه وانغ عام ١٣٨٩
- الحوليات الصينية فى العصور الوسطى نقلا عن : تشا شينغ شينغ لان باللغه صينية – عام ١٤٣٦ وعنوانه يعنى "المسح الشامل للنجمة الطوافة " - الخليج العربى. .
- ندوة الجمعية الوطنية لدراسات هوى – فوجيان ٢٠١٢ – البروفيسور جين تشن – جامعة منتسو الوسطى – الصين .
- الإسلام فى الصين - لـ محمد حسن محمد حمد.
- لي هوا ين، التراث الثقافي والعلمي للمسلمين الصينيين - الجمعية الإسلامية الصينية ببكين .
- الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا مجلة الإسلام في آسيا العدد الخاص الأول، مارس ٢٠١١
- تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية- الدكتور عبد القوي عثمان - الكويت.
- العلاقات العربية الصينية فى القرنين ١٩-٢٠
- الإسلام فى الصين – د. فهمى هويدى
- الإسلام في الصين – دراسة عن الأقليات الإسلامية – محمد حسن – جامعة الخرطوم
- الثعالبى : يتيمة الدهر ج ٣ ، دمشق
- القزوينى : آثار البلاد ج ٢

المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١١ يناير ١٩٨٩، وهي منشورة في ((جريدة الشعب اليومية))، ١٦ يناير ١٩٨٩.خه تشياو يوانبلباى شو يى تحت عنوان

(٢) غالبا ما يسير المسلمون في المناطق الداخلية من بلاد الصين على هدى المذهب الحنفي في علم الفقه.خه تشياو يوانبلباى شو يى تحت عنوان

(٣) خه تشياو يوان: ((كتاب فوجيان))، جـ ٧، ((سجلات النواحي))، مادة جبل لينغشان.ل خه تشياو يوانباى شو يى تحت عنوان

(٤) ((Tongdian))، جـ ١٩٣، الدفاع الحدودي ٩، مادة بلاد التازيان.لباى شو يى تحت عنوان

(٥) نفس المصدر السابق ونفس المادة.لباى شو يى تحت عنوان

(٦) نفس المصدر السابق، مادة الإمبراطورية الرومية.لباى شو يى تحت عنوان

(٧) ف. هيرث وو.و. روخيل: ((تشاو رو كوه: ترجمة وتفسير (سجلات البلدان)))---لباى شو يى تحت عنوان

F.Hirth and W.W.Rockhill: ((Chau Ju-kua: His.Work on the Chinese and Arab Trade in the twelfth and thirteenth centuries, entitled chu-fan-chi)),st.Petersturg,١٩١١,P.١١٠. لباى شو يى تحت عنوان

(٨) اقتباس من مقالة باللغة الصينية لباى شو يى تحت عنوان ((حديث في حملة طراز وأقدم المعلومات حول الإسلام))، راجع عمل باى شو يى تحت عنوان ((مخطوطات تاريخ الإسلام في الصين))، دار الشعب للنشر بنينغشيا، ينتشوان، ١٩٨٢. لباى شو يى تحت عنوان

٤٣٥٧
٤٣٥٨
٤٣٥٩
٤٣٦٠
٤٣٦١

- كراتشكوفسكى : الرسالة الثانية لأبو دلف – موسكو – مسح الكتب الذى قام به رور - صوير وكراتشكوفسكى الرسالة الثانية

(-Rohr- Sauer Des Abu Dul - af Bericht)

٤٣٦٢

- Muslim Memories of Yuan-Ming Transition in Southeast China *liao oh a i*

٤٣٦٣

- - Popular Romance Of The Journey To The Western Ocean Of The Three Treasure Eunuch), Shanghai: Shanghai Guji Chubanshe

-Donald Daniel Leslie (١٩٩٨). "The Integration Of Religious Minorities In China: The Case Of Chinese Muslims" (Pdf). The Fifty-Ninth George Ernest Morrison Lecture In Ethnology.(مقال من النت)

- Susan Naquin -Peking: Temples And City Life, California Press - من النت

- Geoff Yanyi Nuch), Shanghai: Shanghai Guji Chubanshe

-Ma – Huan

- Muslim In China By Hj Ibrahim T.Y.Ma (J.S.M

٤٣٧٢

٤٣٧٣

٤٣٧٤

٤٣٧٥

٤٣٧٦

٤٣٧٧

٤٣٧٨

٤٣٧٩

٤٣٨٠

٤٣٨١

٤٣٨٢

٤٣٨٣

٤٣٨٤